

كيف يموت العيساء؟!

[هذا الكتاب فلسفة لعل يقال إنها من آثار الغرام ٠٠ كما أنه استعراض للقصص الغرامي بين الأدب الفصيح والأدب العامي، وبيان لقدرة الحكواتي النجدي على نسج الأسطورة]

ألفه

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

(محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيل)

— عفا الله عنه —

[في هذا الكتاب أخبار غرامية عن قيس
وليلي .. وعشاق بني عذرة .. وبشر الأسدي
وهند الجهنية .. وأبي زيد وعلياء .. وفهد
الشعلان وقوت .. والدجيمان والوليعة .. وغيرهم .

وأحوال العشاق بين العلم والرواية
التاريخية والأسطورة] .

فهرس إجمالي

اسم الموضوع

- ١- الاستفتاح والمقدمة . ٧ - ٢٠
- ٢- الباب الأول : ثلاثة مداخل :
 المدخل الأول : أجمع كتاب عن المحبين (أسواق العشاق للبقاعي) وما كتب في معناه . ٢١ - ١٦٩
 المدخل الثاني : عوام الجزيرة وتوليد الأسطورة . ٢٣ - ٣٥
 المدخل الثالث : كيف يموت العباد . ٣٧ - ١٢٨
 ١٢٨ - ١٦٩
- ٣- الباب الثاني : العشاق بين الوصل والحرمان :
 الفصل الأول : كيف يسلو العشاق ؟ ١٧١ - ٢٩٠
 الفصل الثاني : حديث « من عشق فعف »
 رواية ودراسة . ١٧٣ - ٢٠٨
 ٢٠٩ - ٢٤٥
- ٤- الباب الثالث : العشاق بين الموت والدفن والجنون :
 الفصل الثالث : العشاق والوصل . ٢٤٦ - ٢٦٢
 الفصل الرابع : فتاوى بين الإباحة والحظر . ٢٦٣ - ٢٩٠
 ٢٩١ - ٥٢٠
- ٥- الفصل الأول : عشاق يموتون بشهقة . ٢٩٣ - ٣١٣
 الفصل الثاني : عشاق يطاولهم الضنى
 فيموتون جلدأ على عظم . ٣١٤ - ٤٥٧
 ٤٥٨ - ٤٩٨
- ٦- الفصل الثالث : عشاق يقتلهم الأهل للأنفة . ٤٩٩ - ٥٠٦
 الفصل الرابع : عشاق يهيمون أو يختلطون . ٥٠٦ - ٥١٥
 الفصل الخامس : عشاق يموتون فرحاً بعد الوصل . ٥١٦ - ٥١٩
 الفصل السادس : شعراء يحبون فحسب . ٥١٩ - ٥٢٠
- ٥- ثبت بالمصادر والمراجع .
- ٦- فهرس تفصيلي .

[مما أضر بأهل العشق أنهم
هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم
في إثر كل قبيح وجهه حسن
تحمّلوا حملتكم كل ناجية
فكل بين عليّ اليوم مؤتمن
ما في هواجسكم من مهجتي عوض
إن مت شوقاً ولا فيها لها ثمن]

[أبو الطيب المتنبي]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستفتاح والمقدمة

أفضل ما أبتدئ به حمد الله عز وجل بما هو أهله ، ثم الصلاة على محمد عبده ورسوله خاصة ، وعلى جميع أنبيائه عامة ، وبعد :

عصمنا الله وإياك من الحيرة ، ولا حملنا ما لا طاقة لنا به ، وقبض لنا من جميل عونه دليلاً هادياً إلى طاعته ، ووهبنا من توفيقه أدباً صارفاً عن معاصيه ، ولا وكلنا إلى ضعف عزائمنا ، وخور قوانا ، وهاء بنيتنا ، وتلدد آرابنا وسوء اختيارنا ، وقلة تمييزنا ، وفساد أهوائنا (١) .

أما بعد : فقد كان الأدب أول معارفي قبل الحلم ومنذ نعومة أظفاري .

وأقصد بالأدب الأسطورة الخرافية المدونة كالتغربة الهلالية ، وسيرة عنتره ، والوزير سالم ، والمقداد والمياسة ، وأجزاء من ألف ليلة وليلة . . ولم أطق متابعة هذه الأسطورة حتى النهاية . فكان لي تمرُّس بالأسطورة منذ الطلب .

(١) هذا استفتاح الإمام أبي محمد ابن حزم - رحمه الله تعالى - لكتابه طوق الحمامة .

وكان سمري في صغري في قرיתי عن الشعر العامي والسباحين
والأخبار المحققة ، فكان لي بأدب العامة تخصص .
ولما أشرفت على البهو الذهبي لعلم الأدب بعد اليفاع أشرفت
على طرق الحمامة وتابعت أدب العشاق .
ولما طعنت في الكهولة أو أوشكت على الشيخوخة حننت إلى
أدب الطفولة واليفاع ، فكنت ألامسه بالتحقيق والبحث على هامش
ثقافتني في أويقات كلالي الذهني ، ومر على ذاكرتي أخبار العشاق في
الأدب العامي النجدي ، وتلذذت بأشعارهم ، ورأيت القوم يتلذذون
بها ، ولا يخالجهم الشك في قصص قتالي الغرام كما لا يخالجهم الشك
في كل ما يتلى عن بني هلال .

وذكر الأستاذ محمد الحمدان أن الراوية الشمري رضيعان بن حسين
الرضيمان معني " بجمع أخبار أولئك القتالي (٢) .
ونشر الراوية إبراهيم اليوسف بعض أشعارهم وأخبارهم بمجلة
اليمامة ، وزودني بأوراق لم ينشرها بعد .
قال أبو عبد الرحمن : ولم يفتني من أخبارهم إلا أخبار ابن حماد
راعي حرمة ، وتفاصيل أخبار الدجيم ، وعبد السلام الذي أشار إليه
الشاعر القطري ابن عبد الوهاب .

وقد جرت عادة شعراء الفصيح والعامية على تعداد المولاهين والعشاق

(٢) ديوان السامري والهجين ص ٤٤ .

قبلهم ليسوغوا عشقهم ، وربما اكتفى أحدهم بذكر واحد شهير سبقه .
قال ابن دويرج عن عموم الموليين :

ما يعرف الهوى الا نمر بن عدوان ودغيم الظلماوي
وقت يوم ان الهوى سلعة وكل في نفيس الثمن يشريها
قطفوا زاهي النوار في وقت مضى والدهر متساوي
لين كل قضى شفه وكل قال هاي دوك يا باغيها
وقال محيسن الهزاني :

قبلي عرار قالوا الناس مجنون
مع ذا واظن اني بطرياه أوحيت
وقال ابن غازي الشمري :

قبلي فهيد من هوى قوت قد مات
مودع على خيل المعادي معاصير
وقال ابن سبيل :

لو ان ما بي بالغصون الوريقة
غدن بيض كنهن المشاريق
أخاف من موت بلياً حقيقة
مثل الدجيم ما طرد به ولا سيق
ولقد شطرهما أبو ماجد فقال :

(لو ان ما بي بالغصون الوريقة)

الناعمات المثمرات المغاديق

سرى بهن سم الهلاك بدقيقة

(وامسن بيض كنهن المشاريق)

(أخاف من موت بلبا حقيقة)

أصير مضراب المثل للعشاشيق

يقال مات وفات من هو عويقه

(مثل الدجيمما لا طرد به ولا سيق) (٣)

وقال شاعر معاصر وهو عايض أبو بطين العتيبي من أهل

عفيف بروايتي عن أبي عفاص مطلق بن عبيد بن سعيد الشمري
أمير الدفينة سابقاً :

الهوى قد نبح له شمري

الدجيمما على موته شهود

صاحبي قال لي وقلت له

بالخفية تبائن السدود

وقال حسن بن مقبيل الدجيمما وهو شاعر معاصر :

والله اني من هوى صاحبي عمري خطير

والدجيمما جدنا من هوى الزينات مات

وقال سويلم العلي :

وطرد الهوى ما فيه منقود ادراه

من نور بشر ليا عزيز ابن خاله

بشر من الزهاد وادنت مناه
وعزیز ذاق الموت باسباب خاله
ولا ليم قبلي نمر عنت سواياه
وابن ربيعة يوم تذكر فعاله
ومحمد القاضي ومحسن وشرواه
ومجنون ليلي يوم صلح هباله (٤)
وقال الدغيري بن غازي :
قلب الخريصي تقل به نار كير
عسى يصير لهرجته عندهم نوح
يا حيف كيف الزوبعي والدغيري
يلعب بهم غرو تلا جل شرشوح
وقال ساكر الخمشي :
عساك من عواده اللي تعوده
اللي سقاني نبله في ضحى العيد
الجادل اللي كن زمة نهوده
نبت الزبيدي في محاجر جليعيد
من خلقت الدنيا وبنيت عموده
والبيض في كيد الهوى كيدهن كيد

(٤) ديوان سويلم العلي ص ٦٢ .

نمر على وضحا قصيده شهوده
ومن غيهن عينت عليا واما زيد
ولد الخفاجي راح وامه تذوده
غدن بقلبه بالمنى والتواعيد
يبي يوري مع هل الخيل جوده
واخر لنا قصر الاخضر وعرييد^(٥)
وقال الأمير سعود بن عبدالرحمن السديري يجيب متوجداً :
يا علي ضربت رب المهلكية
ما دريت ان الهوى رب صعب
لهوى نبح رجال صيرمية
وآخرين عقولهم راحت عزيز
عان فعله بالهواوية طمية
شالها من دارها يم الذويبي^(٦)

(٥) شاعر من نجد ص ٢٦٥ ، وانظر قطوف الأزهار ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٦) نكر لي معالي الأمير أسطورة عامية تزعم أن طمية رحلت من مكان بعيد من
لجل العشاق .

ووجدت في بلاد القصيم ١٤٩٦/٤ عن أبي عبيد الله للسكوني خرافة عربية
تزعم أن طمية للجل زوجة لجل عكاش ، وفي ذلك يقول شاعر الفصيح :

تزوج عكاش طمية بعدما

تأيم عكاش وكاد يشيب

وقال محمد بن قاسم الفيحاني القطري المعروف بابن
عبد الوهاب :

يا عدولي لا تلمني يا غشيم
عن محمد كف عذلك واللام
ما سمع سالم ولا طاع سليم
بالهوى والحب يرحمهم رجام
والهوى قبلي تلف عبدالرحيم
واستجار من الهوى عبدالسلام
واستغاث من الهوى راعي القصيم
وابتلى الناعي على ديم الخزام
صابني ما صابهم حتم وحتيم
يا ولد عيسى ولا عنه انهزام (٧)
وقال :

مشيت بما مشى راعي الحريق
وابن لعبون والحزب العتيق
تخاؤوا واركبوا بحر غميق
بلا بلد ولا معهم سناد

(٧) التحفة الرشيدية ٢/٢٧٦ ، وقد كتب الدكتور فضل بن عمار العماري عن الحب
العذري بين عروة بن حزام في نونيته وقاسم الفيحاني بمجلة الدارة السنة ١٦
عدد ٢ ص ١١٧ - ١٣٥ .

لحاهم غيهم وازووا نشاش
 على جمر الغضا راحوا مواشي
 تراهم بالهوى دوم غواشي
 يعضون الابهام بكل وادي
 وابن عشبان من قبلي مهاوي
 دوى به من غرام الحب داوي^(٨)
 وقال زبن بن عمير عن جيل المحبين :
 يسمى نور محسن والدجيماء ابن لعبون
 مكنت اتلاه والا فاوله قد فات عني
 وقال الدجيماء :
 انا لي موة اغدي بها غدية ولد باخوت
 على جال المنقى كل طرقية يمرونه
 وقال هوشل :
 طوني وقبلي من طونه
 على عصر ابوزيد الهلالي
 ولا سج محسن دونهنسة
 ولا ذكر ابن لعبون سـال

(٨) ديوان شعراء من الجزيرة العربية ٢٩/١ - ٣٠ .

صويت سمعته واحسبته

ننين الجرس والا الريال (٩)

وقبلهم قال المجنون :

عجبت لعروة العذري أمسى

أحاديثاً لقوم بعد قوم

وعروة مات موتاً مستريحاً

وها أنذا أموت بكل يوم (١٠)

وقال أيضاً :

وفي عروة العذري إن مت أسوة

وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند

وبي مثل ما ماتا به غير أنني

إلى أجل لم يأتني وقته بعد

وقال جميل :

فما وجدت وجدي بها أم واحد

ولا وجد النهدي وجدي على هند

ولا وجد العذري عروة إذ قضى

كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

(٩) بين الغزل والهزل ص ١٥١ .

(١٠) نم الهوى ص ٣٠٢ .

وقال الأحوص :

فعمروة سن الحب قبلي إذ شقي
بغفراء والنهدي مات على هند

وقال كثير :

وأصبحت مما أحدث الدهر خاشعاً
وكنيت لريب الدهر لا أتخشع
وعروة لم يلق الذي قد لقيته
بغفراء والنهدي ما أتفجع

وقال جرير :

هل أنت شافية قلباً يهيم بكم
لم يلق عروة من عفراء ما وجدا

وقال العباس بن الأحنف :

ما إن صبا مثلي جميل فاعلمي
حقاً ولا المقتول عروة إذ صبا
لا لا ولا قبلي المرقش إذ هوى
أسماء للحين المحتم والقضا

وقال عكرمة الأعرابي :

أصابني داء قيس وعروة وجميل
فالجسم مني نحيل وفي الفؤاد غليل (١١)

قال أبو عبد الرحمن : ولقد أحببت أن أحقق المتعة الأدبية بنشر

أخبار وأشعار عشاق العامية النجدية مع ربط ببعض قصص العشاق

من أهل العربية الفصحى ، أو الربط بشيء من شعرهم ، أو الربط بشيء من دراسات فلاسفة الغرام .

كما أحببت تحقيق المتعة العلمية بدراسة أحوال العشاق بين الحقيقة والخيال ، فحققت في الباب الثالث أن الموت المجاني خرافة ، ذلك أن العشاق يموتون ، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام ، وكل حي إلى نفاد وإن لم يكن عاشقاً !! .

وإنما أنكرت أن يكون موتهم مجانياً يقول لهم الحبيب : لا .. أو أنا عنك مشغول !! .

فيقول أحدهم : هاهنا انتهى أجلي ، وحضر داعي الرحمن ، ثم يشهق ويموت !! .

ولكن الشيء الذي لا أستطيع إنكاره ما حققه الأثبات الأئمة عن معاينة أو عن رواية من يوثق به .

فمصير العشاق عند هؤلاء الأثبات على خمسة أنحاء :

١ - عاشق يعتصم بربه ويتداوى بالمباح فيعود إليه عقله ويستقيم سلوكه .

٢ - عاشق يظفر ببيغيته وينعم بالوصل ، أو محب غير عاشق ينعم بالوصل فيموت غرامه ، لأن الحب إذا نكح فسد .

٣ - عاشق لم ينعم بالوصل ، واستعذب بكاءه ، وأجهش للتوباد فاختلف فكان مجنون غرام .

٤ - عاشق لا يموت رخيصة ، ولكنه لا يمتع بصحته بل

يوافيه الأجل بعد سنين من الهم والنحول والضعف .

٥ - عاشق يموت بشهقة ، وهذا لا وجود له عندهم إلا في الخيال ، فهو وجود فني لا موضوعي يتظرفون به ، وليس وجوداً موضوعياً .

قال أبو عبد الرحمن : ولقد عقد ابن الجوزي الباب التاسع والثلاثين من كتابه نم الهوى عن الآفات التي تجري على العشاق من المرض والضعف والجنون ، وذكر في هذا الباب آفات أخرى كالخرس والاستمرار على البكاء .

ومن بداية الباب الثاني والأربعين إلى نهاية الباب الثامن والأربعين ذكر من قتل نفسه ، أو قتل معشوقه ، أو قتل غيره . . . كما ذكر من زنى بمحارمه أو كفر . . . كل ذلك بأسباب العشق والشغف .

قال أبو عبد الرحمن : ولا ينكر في عالم الشهادة أن يبلغ المحب خبر وفاة صديق أو قريب أو حبيب (ويكون الخبر مفاجئاً) ، فيموت ، أو يشل ، أو يغشى عليه .

وموت المعشوقة المفاجئ يحدث شيئاً من تلك الأحداث . ولكن هذه الأحداث غير محتملة لمجرد موت الحبيب غير المفاجئ أو هجره .

وهناك عباد ونساک ومتصوفة يروي لهم التاريخ عجائب . . . يصعقون فيموتون بشهقة ، أو يغمى عليهم فيفيقون بعد عناء معالجة .

وذلك عندما يسمعون آية أو حديثاً أو كلمة حكيمة ، أو يُحركون

بموعظة ، وهؤلاء حققت أمرهم في كتيبتي « خشوع الصحابة رضوان الله عليهم » .

أما أهل الهوى على الأنحاء الخمسة المذكورة آنفاً فقد عالج أحوالهم هذا الكتاب في البابين الثاني والثالث .

وأما الباب الأول فتلاثة مداخل من مكملات البحث جعلت الأول إطلالة على كتب التراث التي بحثت أحوال العشاق ، وجعلت الثاني عن فلسفة حوك الأسطورة عند الحكواتي النجدي ، لأنني وجدت كثيراً من الأخبار من باب الأساطير .

وجعلت الثالث بعنوان : كيف يموت العباد ، لأنني من خلالهم تنبّهت إلى مسألة موت العشاق .

وبما أن مصير كل مخلوق من الأحياء إلى ممات فقد جعلت عنوان الكتاب : كيف يموت العشاق ؟ .

ولم أجعله عن نهاية العشاق التي تسبق الموت كالجنون والنحول ، لأن العنوان مثير أولاً ، ولأننا نتتبع حال العاشق إلى حين موته لنرى هل مات معافى من الهوى بسلو أو وصل ، أم أنه مات على آفة من آفاته ؟ .

قال أبو عبد الرحمن : ولقد تبرع معالي الدكتور غازي القصيبي بطباعة هذا الكتاب على حسابه فأرسل لي المبلغ مسبقاً . . كما تعهد في محفل بلندن أن يتبرع بتكاليف ترجمته إلى الإنجليزية . . وبدا لي أن أضاعف حجم الكتاب لمعارف استجدت لدي ، واستغرق ذلك أربع

سنوات ، فتوسعت بالمبلغ الذي أرسله الدكتور؛ لأمر معيشي ألم بي . .
على أن يكون طبع الكتاب ديناً في عنقي متى واثت الظروف ، وأنى
لها أن تواتي من كان مشقوق اليد مثلي !! .
ولما علم صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بقصة الكتاب
تحمل تكاليف طبعه ، وقال : أنا مكمل لغازي ، والحال واحدة . .
فشكراً شكراً للشاعرين السريين ، وجزاها الله خيراً .
ويبدو لي أن هذا الكتاب فريد في موضوعه ، والله الموفق
والمعين .

كتبه

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

- عفا الله عنه -

الرياض/سلطنة / دارة داوود ١٤١٢/٥/١١هـ
وجرت المعاودة والإضافة بعد ظهر يوم الإثنين
١٤١٦/١/٢١هـ في المكان المذكور .

ثم بدأت معاودته بالتهذيب والإضافة
في الليلة التي صبيحتها يوم السبت
الموافق ١٤١٧/٧/٢٦هـ بنفس المكان .

الباب الأول : ثلاثة مداخل :

المدخل الأول : أجمع كتاب عن المحبين : (أسواق العشاق

للبقاعي) وما كتب في معناه .

المدخل الثاني : عوام نجد وتوليد الأسطورة .

المدخل الثالث : كيف يموت العباد ؟ .

[قال أبوبكر محمد بن داوود الظاهري : أنشدني أبو العباس
 أحمد بن يحيى النحوي لامرأة من الأعراب :
 أرى الحب لا يقنى ولم يفنه الألى
 أحيثوا وقد كانوا على سالف الدهر
 وكلهم قد خاله في فؤاده
 بأجمعه يحكون ذلك في الشعر
 وما الحب إلا سمع أذن ونظرة
 ووجبة قلب عن حديث وعن ذكر
 ولو كان شيء غيره فني الهوى
 وأبلاه من يهوى ولو كان من صخر

[الزهرة ٤٥/١ - ٤٦]

المدخل الأول :

أجمع كتاب عن المحبين (أسواق العشاق للبقاعي)
وما كتب في معناه :

مؤلف « أسواق الأشواق من مصارع العشاق » بحر من بحور العلم ، وهو الإمام الجليل أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط الخرباوي البقاعي الشافعي توفي سنة ٨٨٥ هـ ، وعمره ستة وسبعون عاماً تقريباً .

ترجم له السخاوي ترجمة مطولة مظلمة (١) منتنة ، وتجنى عليه وفسّقه ، ويأبى الله إلا أن يكون من عدول هذه الأمة وأنمتها .
والسخاوي على فضله وجلالته لا يسمق إلى ذروة البقاعي .
إلا أننا رأينا على مدار التاريخ علماء أجلاء ينال بعضهم من بعض ، ويقذعون . . بسبب المعاصرة ، والتنافس في العلم ، أو الدنيا ، أو اختلاف الرأي .
ولهذا كانت القاعدة عند النقاد أن لا يقبل قول الأقران بعضهم في بعض .

وكان بين السخاوي والبقاعي منافسة وتناوب وردود .
ولقد شهد بفضل البقاعي كتبه النفيسة التي بين أيدينا ، وزكاه نوو

(١) الضوء اللامع ١ / ١٠١ - ١١١ .

العلم والفضل من أمثال فقيه أهل اليمن الشيخ محمد بن علي الشوكاني (٢)، ومؤرخ الحنابلة الشيخ أبي الفلاح عبدالحى بن العماد (٣)، وأفاد كلاهما بأن البقاعي بلي بمقلدين أنكروا عليه النقل من التوراة والإنجيل في تفسيره الجليل - الذي طبع في حيدرآباد الدكن - ، وأنكروا عليه تكفيره لابن عربي الصوفي وابن الفارض ، فقبل التحدي وتصدى للرد عليهم وفيهم كبار أهل عصره ، ولهذا فرح السخاوي بديوان شعر جمع في هجاء البقاعي وتناسى ما قيل فيه من مدائح •

ورام بعض المالكية الحكم بتكفير البقاعي ليستبيح دمه في وقت استبيحت فيه الدماء بغير حق ، وإنما هو التقليد ، والتزمت ، والاستتباطات الفرعية البعيدة •

وقد ندد الشوكاني بهذه الظاهرة لدى فقهاء المالكية ، ولو تتبع تاريخهم في الأندلس والمغرب منذ حل مذهب مالك محل مذهب الأوزاعي لرأى الكثير من أحداث ضحايا الأفكار •

كما أن ابن خلدون أشار إلى خصيصة تفسر بها هذه الظاهرة •
وقديماً غص بهم الشيخ الإمام أبو محمد ابن حزم حتى فلج بالحق مقولته ، فظهرت كتب الحديث ، وانتشر فقه السلف ، وخسنت كتب الفروع التقليدية •

(٢) البدر الطالع ١ / ١٩ - ٢٢ •

(٣) شذرات الذهب ٧ / ٣٣٩ - ٣٤٠ •

- لهذا الإمام كتب كثيرة مفقودة ذكرها المترجمون .
- وطبع « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » .
- و « مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور » .
- و « سرالروح اختصره من كتاب الروح لابن قيم الجوزية » .
- و « مصرع التصوف » .
- ولا يزال مخطوطاً من كتبه غير أسواق الأشواق الكتب التالية :
- « عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران » .
- و مختصره « عنوان العنوان » .
- و « الباحة في علمي الحساب والمساحة » .
- و « أخبار الجلال في فتح البلاد » .
- و « بذل النصيح والشفقة للتعريف بصحبة ورقة » .
- و « جواهر البحار في نظم سيرة المختار » .
- و « مسودة تاريخه » .
- و « مختصر في السيرة النبوية والثلاثة الخلفاء » .
- و « القول المفيد في أصول التجويد » (٤) .
- و « النكت الوفية » (٥) .
- و « النكت والفوائد على شرح العقائد للسعد التفتازاني » (٦) .

(٤) أفدت من الأعلام للزركلي ٥٠/١ و ١٠/٧-٨ و ٨/١١ .

(٥) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ٣١٧/١-٣١٨ .

(٦) المصدر السابق ٢ / ٢٥٤ .

قال أبو عبد الرحمن: بمكتبتي رف خاص بما طبع مما ألفه الأسلاف عن فلسفة الحب وأخباره ، وليس من بينها كتاب «أسواق العشاق» للبقاعي ، وما أظن المحققين أهملوا نشره إلا لتوهم بعضهم أن الكتاب مجرد اختصار لكتاب السراج المعروف بـ «مصارع العشاق» .

• وكتاب المصارع مطبوع

والواقع أن هذا الكتاب أحفل وأجل كتاب ألف عن أخبار الحب والمحبين ، وهو أكثر من اختصار ، بل هو تهذيب وترتيب وإضافة جليلة نفيسة كما سيأتي بيانه .

سأعرف به - إن شاء الله - من خلال صورة النسخة التي لدي ، وهي نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم ٣٣٢٤ .
ونكر بروكلمان من هذا الكتاب نسخة رئيس الكتاب مصطفى رقم ٧٤٥ ، ونسخة بشير أغا رقم ٥٥٢ (٧) .

قال أبو عبد الرحمن : وقد قام داوود الأنطاكي باختصاره ، وتهذيبه ، وترتيبه ، والإضافة إليه ، وسمى عمله «تزيين الأسواق بتفصيل أسواق العشاق» وطبع عدة مرات آخرها طبعة المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٢٨ هـ .

قال أبو عبد الرحمن : كتاب البقاعي كتاب حافل ، وفيه تحقيقات وتخریجات يفرح بها العلماء ، ونشره ضروري ، وهو داخل في

(٧) انظر مقدمة ريتز لمشارق أنوار القلوب ص هـ .

باب الأهم لا سيما أنه لم يطبع قط .

تقع نسخة الخزانة الملكية بالرباط في ٤٠٠ ورقة ، ويقع في الصفحة ٣٣ سطرأ بمقاس ١٧,٥ × ٢٣,٥ سم فهو كتاب ضخم جداً إذا خدم تحقيقه خرج في ثلاثة أسفار ضخام .

كتبت سنة ٨٧٦هـ أي في حياة المؤلف بقلم علي بن محمد

المنظر اوي بخط نسخي جيد واضح .

ترجم في المقدمة لصاحب الكتاب الأصل ابن السراج نقلاً عن وفيات الأعيان ، وعن مرآة الزمان ، ثم انتقد المصارع من النواحي التالية :

١ - أن السراج يذكر في الباب غير ما بوب عليه .

٢ - أنه يذكر من الحكايات ما يُمج أو لا يتشوق إليه .

قال أبو عبد الرحمن : هذان يتعلقان بتهذيب الكتاب .

٣ - أنه فرق بعض الحكايات .

قال أبو عبد الرحمن : هذا يتعلق بترتيب الكتاب .

٤ - أنه بحاجة إلى تتميم بنوادر الأخبار ولطائف الأشعار .

قال أبو عبد الرحمن : هذا مسوغ البقاعي في الإضافة إليه .

لقد قام البقاعي بتهذيبه واختصاره وترتيبه والإضافة إليه .

وفيما يتعلق بالإضافة ضم إليه جميع كتاب الواضح المبين (٨)

(٨) في ذكر من استشهد من المحبين للحافظ علاء الدين أبي عبد الله مغطاي ٧٦٢هـ

لمغلطاي ، وجميع حكايات كتاب شيخه الشهاب المعروف بـ «منازل
الأحباب ومنازه الألباب» (٩) .

وأضاف إليه من غيرهما أيضاً ، فحفل كتاب البقاعي بمصادر
نادرة ، وجعل كتابه في مقدمة وعشرة أبواب على هذا النحو :

١ - المقدمة : في رسم العشق وحده .

٢ - الباب الأول : في مصارع محبي الله جل وعلا .

وفيه فصل عن عجائب المحبين من عشاق الحور العين .

٣ - الباب الثاني : في مصارع عشاق الجواري .

وفيه فصل عن تعفف بعض المحبين .

٤ - الباب الثالث : في عشاق الغلمان .

قال أبو عبد الرحمن : بنس والله هذا النوع من العشق ، وهو

مما طرأ على واقع العرب بلا ريب .

٥ - الباب الرابع : عن السلو .

٦ - الباب الخامس : عن الوصال .

٧ - الباب السادس : عن الفساق من العشاق .

٨ - الباب السابع : في الغدر والهجر .

٩ - الباب الثامن : عن عشاق الجن .

(٩) لشهاب الدين أبي الثناء محمود بن فهد ت ٧٢٥ هـ .

١٠ - الباب التاسع : عن عشق الطيور والأشجار .

وفي مباحثي عن مسائل غرب - إن شاء الله - سأتناول تعذيب

غربان النوى من هذا الفصل .

١١ - الباب العاشر : في الشارع الجامع لما يلحق بالمصارع .

وجعله ثلاثة فصول على هذا النحو :

أ - الحكايات المستطابة الخالية عن ذكر العشق والصبابة .

ب - في المجنون .

ج - الأشعار الخالية عن النوادر والأخبار .

وروى مصارع العشاق بإسناده إلى مؤلفه ، وانتظم الإسناد

زينتي العلماء الموفق ابن قدامة وابن حجر العسقلاني .

قال أبو عبد الرحمن : من الكتب المؤلفة في معنى كتاب البقاعي

الكتب التالية :

١ - إرشاد اللبيب إلى معاشره الحبيب ، لأحمد بن محمد بن

علي ابن فليته اليمني [٢٣١هـ] .

منة نسخة بدار الكتب المصرية .

٢ - رسالة العشق والنساء ، للجاحظ [٢٥٥هـ] طبع عدة

مرات .

٣ - الزهرة للإمام محمد بن داود الظاهري [٢٩٦هـ] طبع

الجزء الأول في مطبعة الأدباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٣٥١هـ ،

وصورته مكتبة المثنى .

وصدر الجزء الثاني عن وزارة الإعلام في العراق سنة ١٩٧٥ م .

درس الزهرة الجواري في كتابه « الحب العذري » ، والدكتور مصطفى عبدالواحد في كتابه « دراسة الحب » .

٤ - اعتلال القلوب ، لأبي بكر محمد بن جعفر السامري الخرائطي [٣٢٧ هـ] منه نسخة في دار الكتب المصرية ، وأخرى في مكتبة غوطا ، وثالثة في مكتبة أولو جامع في بروسنة . وعلى طريقته كتاب « المحبة والشوق والأنس والرضى » لابن حبان البستي .

٥ - المصون في سر الهوى المكنون ، لأبي إسحاق الحصري [٤١٣ هـ] ، ولدي صورة من إحدى نسخه الخطية .

٦ - طوق الحمامة ، للإمام ابن حزم [٤٥٦ هـ] طبع مختصره باللغة العربية فقط ما ينيف على خمس عشرة طبعة . ولا يعرف له نسخة كاملة .

درس الطوق الجواري في كتابه « الحب العذري » ، والدكتور تركريا إبراهيم في كتابه « مشكلة الحب » ، والشاروني في كتابه « الحب والصداقة » ، والدكتور مصطفى عبدالواحد في كتابه « دراسة الحب » ، والدكتور الطاهر مكي في كتاب خاص .

قال أبو عبد الرحمن : وقد أشرت إلى من كتب عن الطوق في

السفر الرابع من كتابي «ابن حزم خلال ألف عام» الذي صدر عن دار الغرب الإسلامي ببيروت .

٧ - مصارع العشاق ، للسراج [٥٠٠ هـ] .

طبعته الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ ، ثم طبع في مجلدين ببيروت سنة ١٣٧٨ هـ ، وقد درسه الدكتور مصطفى عبدالواحد .

٨ - عطف الألف المألوف على اللام المعطوف ، لأبي الحسن

علي بن محمد الديلمي من أهل القرن الرابع والخامس .

ومنه نسخة في مكتبة (توبينغن) بألمانيا ، وهو على طريقة أهل التصوف .

وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٦٢م بتحقيق ج - ك . فاديه .

٩ - زم الهوى ، لابن الجوزي [٥٩٧ هـ] .

طبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٨١ هـ .

وقد اختار منه محمود مهدي إستانبولي ضميمة نشرها بعنوان

« أسرار العشاق » .

١٠ - روضة العاشق ونزهة الوامق ، لأحمد بن سليمان

الكسائي الشافعي [٦٣٥ هـ] .

منه نسخة في مكتبة السلطان أحمد الثالث في طوب قابي سراي

في إستانبول برقم ٢٣٧٢ .

١١ - دعة الشاكي ، للصفدي ، منه نسخة بمكتبة الأوقاف

ببغداد كما في فهرسها ١٧/٣ .

١٢ - جمحة النهى عن لمحة المها ، لمحمد بن إبراهيم الفيروزآبادي [٦٤٢ هـ] .

منه نسخة في مكتبة ولي الدين بإستانبول ، وهو على طريقة أهل التصوف .

١٣ - نسل الأسرار وسر الأسكار ، للفيروزآبادي المذكور آنفاً توجد منه نسخة في المكان المذكور آنفاً .

١٤ - مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ، لابن الدباغ الأنصاري [٦٩٦ هـ] نشر بعناية هـ . ريتز وطبعته دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٧٩ هـ .

قال أبو عبد الرحمن : هذا في حب أهل التصوف ، وقد تعقبت جنونه وحماقاته في كتابي « هكذا علمني ورد زورث » الذي نشرته مؤسسة تهامة .

١٥ - منازل الأحباب ومنازه الألباب ، لشهاب الدين أبي الثناء محمود بن فهد [٧٢٥ هـ] .

قال ريتز : توجد منه نسخ كثيرة ، وأهمها أيا صوفيا رقم ٤٣٠٧ هـ .

قال أبو عبد الرحمن : وقد أورد مادته البقاعي في « أسواق العشاق » .

١٦ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، لابن قيم الجوزية [٧٥١ هـ] .

طبع بمطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٤٩هـ على نفقة الملك
عبدالعزیز رحمہ اللہ .

وقد درسه يوسف الشاروني في كتابه « الحب والصدقة » .

١٧ - الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين ، للحافظ
علاء الدين أبي عبدالله مغلطاي [٧٦٢هـ] طبع القسم الأول منه في
الهند ، وأورد مادته البقاعي . . منه نسخة بمكتبة فاتح برقم ٤١٤٣ ،
وشهيد علي برقم ٢١٦٠ .

ولدي صورة من هذا الكتاب ، ولعلها تسنح فرصة للتعريف به .
١٨ - ديوان الصبابة ، لأحمد ابن أبي حجلة [٧٧٦هـ] طبع
بهامش تزيين الأسواق (١٠) .

١٩ - روضة التعريف بالحب الشريف ، للسان الدين ابن
الخطيب [٧٧٦هـ] .

طبع بدار العهد الجديد ، وصدر عن دار الفكر العربي سنة
١٣٨٦هـ .

وهو على طريقة أهل التصوف .

وله « عمل من طب لمن حب » منه نسخة بمكتبة الأسكوريال .
٢٠ - تزيين الأسواق ، لداود الأنطاكي [١٠٠٨هـ] وقد
مضى التعريف بطبعته .

(١٠) منه نسخ خطية كما في فهرس الأوقاف ببغداد ١٨ / ٣ ؛ وفهرس قاسم
الرجب ٢٠ / ٣ و ٢٦ .

٢١ - نشوة السكران من صهباء تذكّار الغزلان ، لمحمد صديق حسن خان [١٣٠٧ هـ] .

طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٣٨ هـ .

٢٢ - المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، للشاعر السري ابن أحمد الرفاء الموصلي [٣٦٢ هـ] .

طبع الجزء الأول ، وهو كتاب « المحبوب » بتحقيق الدكتور حسين الحسن ط م دار الرسالة سنة ١٤٠٢ هـ الطبعة الأولى .

وتناول قضية الحب تاريخاً ، أو دراسة واستتباطاً ، أو هما معاً بعض المعاصرين من أمثال : أنيس منصور في كتابه « من أول نظرة » ، وأحمد عبدالستار الجواري في كتابه « الحب العذري نشأته وتطوره » ، والدكتور محمد حسن عبدالله في كتابه « الحب في التراث العربي » ، وإبراهيم عبدالحميد في كتابه « قصص العشاق النثرية في العصر الأموي » ، وصادق جلال العظم في كتابه « في الحب والحب العذري » ، والدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه « الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية » ، والدكاترة زكي مبارك في كتابه « مصارع العشاق » ، وعبداللطيف شرارة في كتابه « فلسفة الحب عند العرب » ، وموسى سليمان في كتابه « الحب العذري » ، والدكتور مصطفى عبدالواحد في كتابه « دراسة الحب في الأدب العربي » ، ويوسف الشاروني في كتابه « الحب والصدقة » .

ودرس الحب من ناحية فلسفية الدكتور زكريا إبراهيم في كتابه
« مشكلة الحب » .

وتُرجمت نصوص أجنبية من أمثال « مائدة أفلاطون » لمحمد
لطفی جمعة ، و « الحب والغرب » لديني دي رجمون ترجمة د .
عمر شخاشيرو ، و « تاريخ الحب » لمارسيل نير ترجمة إبراهيم
المصري .

ومن الكتب التي نظنها مفقودة كتاب « منية المحبين وبغية
العاشقين » للشيخ مرعي بن يوسف [١٠٣٣ هـ] .
و « صَبَابَاتُ المَغَانِي وَصَبَابَاتُ المَعَانِي » .

قال أبو عبد الرحمن : والحب ركن ركين في كتب الأجناس
الأدبية والموسوعية ، ودراسات الشعر الغزلي ، وتراجم العشاق ،
وقضايا التصوف ، وكتب الفلسفة ، وما كتب في أخبار الجواري
والنساء .

وهو أعظم قضايا الشاعر والمغني والقاص والروائي وكاتب
النوادر .

* * *

[ولقيت في حُبِّك ما لم يلقه
 في حب ليلي قيسها المجنون
 لكنني لم أتَّبِعْ وحش الفـلا
 كفعال قيس والجنون فنون]

عن مشارق أنوار القلوب للأصاري

[ص ٩٨]

المدخل الثاني :

عوامُ الجزيرة وتوليد الأسطورة :

الشعر ديوان العرب لأنهم كانوا أميين ، وكانوا رجال شعر
وخطابة ، وكانوا يحفظون الشعر ، ولم يكونوا أهل كتاب .

حينئذ جعلوا الشعر سجلاً لحياتهم يدونون فيه أخبارهم
وخلجاتهم وحكمهم وأمثالهم السيارة .

وكل ما يعدّه العربي فضيلة يرد في شعره فخراً أو توصية .
وكل ما يعدّه رذيلة يأتي في شعره هجاءً وتعييراً ، أو تنفيراً
وتحذيراً .

لهذا كان الشعر ديوان العرب ، ولهذا كان العربي يأخذ من
الشعر برهانه على أن ذلك الأمر فضيلة أو رذيلة ، ذلك أن
الحكمة تلتبس من الشعر دائماً .

وكانوا أيضاً يأنسون بالأسطورة لأن شاهدها من الشعر، مثل
هذه الأبيات التي رواها الفراء عن النعمانة :

مثل النعمانة كانت وهي سالمّة

أذناء حتى زهاها الحين والجبن

جاءت لتشري قرناً أو تعوضه

والدهر فيه رباح البيع والغبن

فقل أذاك ظلم ثمت اصطلمت

إلى الصماخ فلا قرن ولا أنن (١)

وأصحاب المحاضرات والرقائق يؤلفون كتبهم ، ويجعلون
براهينهم من القرآن والسنة والشعر وأقوال حكماء الأمم وفلاسفتهم .
وفي عصور الأمية العامة بنجد أصبح العامي يهتدي بالشعر في
معرفة الأخلاق ، ويهتدي به على صدق الأخبار ، فإذا وجدت
القصة ومعها قصيدة ، فلك القصيدة شاهد صحة ، لأن الشعر إنتاج
ثمين وإعجاز موهبة ، فلا يتصور من شاعر أن يقول شعراً يتخلى عنه
لأبطال قصة ينتحلها !! .

وكلما كان الشعر جيداً كان أدل على صدق القصة .
والبرهان الشعري عند أهل المنطق برهان تخيلي لأن الشعراء
يضخمون العواطف ، ويغرقون في الخيال ليعذب شعرهم .
فالمنطق لاحظ الجانب العاطفي والخيالي في وصف برهان ما
بأنه شعري .

ويكاد يكون الشعر برهاناً حقيقياً عند العربي بالذات لأن الشعر
ديوان حكمته يوم كان أمياً .
وعند أهل نجد أساطير يحكون بعضها تسمى سباحين ، وأكثر
ما يتعلل بها العجائز ، ويستفتحونها بقولهم : سبحان هاك العالي في سماه .

ولا يشكون في أنها كذب ، وفيها شعر نجدي إلا أنه ضعيف ميت .
ومن نماذجها ما ورد بكتاب « أساطير شعبية » للأستاذ عبدالكريم
ابن جهيمان .

وهذه السباحين ليست محل عناية هذا البحث إلا ما جاء من باب
المقارنة ، لأنها عند المتلقي والسامع معاً من باب الأسطورة .
وإنما موضوع هذه الدراسة الأساطير التي تساق لأشخاص
تاريخيين حقيقيين ، وتتناقلها الدهماء على أنها تاريخ حقيقي .
وفي قمة ذلك القصص والأشعار المنسوبة لبني هلال برواية
العوام من أهل نجد (٢) .

قال أبو عبدالرحمن : وكل حدث هلاكي ، وكل شعر هلاكي بعامية
أهل نجد ليس له وجود كما هو في التاريخ الحقيقي ، أو الأسطورة
المدونة بلهجات البلدان العربية لاسيما لهجة المغرب ، أو الرواية
الشفوية في الأقطار الأخرى : فهو صياغة أسطورية نجدية ، ذلك أن
مصادر السيرة الهلالية وأدبها محصورة في تواريخ أهل العلم كابن
خلدون ، ونسخ الأسطورة المدونة ، والرواية الشفوية المتجددة .
والصياغة النجدية تلتبس مصادرها في التالي :

١ - نص تاريخي محقق .

(٢) لي كتاب عن بني هلال الحقيقة وبني هلال الأسطورة غير الكتاب الذي نشر
بمشاركتي للدكتور عبدالحليم عويس ، بينت فيه أسطورية الرواية العامية النجدية ،
ونشرت ومازلت أنشر بعض مواده بجريدة الجزيرة .

٢ - أسطورة مدونة .

٣ - رواية شفوية أقدم من الرواية النجدية .

فيكون الحكواتي النجدي نقل التاريخ أو الأسطورة بلهجة نجدية ، وربما حوّر وزاد ونقص .

فإذا عدت هذه المصادر تعين أن يكون عمل الحكواتي النجدي محصوراً في التالي :

أ - ابتداء الحدث والشعر .

ب - تليق عمله من أشعار أو أحداث أو أساطير (وإن لم تكن هلالية) عن عمد .

ج - رواية شعر أو حدث تاريخي أو أسطوري لغير بني هلال على أنه لبني هلال عن وهم وخطأ ، أو اعتقاد بأن كل شعر عامي قديم هلالي كما يسمي العرب الفصحاء كل قديم عادياً نسبة إلى عاد ، ولأن الرواية الهلالية النجدية الشعرية حددت مثلاً في الأذهان للشعر الهلالي قافية ووزناً ولغة تقرب من الفصح ، فيشتبه الأمر على الناقل النجدي ، فيحسب كل شعر بهذه الصفة شعراً هلالياً .

إن الحكواتي النجدي متعلماً وعامياً يجيد صنع القصة وشاهدها من الشعر والمثل ، ويخلق النكتة .

وقد يبتدع كل ذلك ابتداءً كما في أغلب السباحين .

وقد يحوّر مآثوره ، ويتصرف فيه ، ويخلق منه أسطورة ، ومآثوره إما نقل ثابت موثق من شعر وغيره ، وإما نقل

موهن أو مقطوع بكذبه ، فيولد الأسطورة من الأسطورة كمعظم القصص الشعبي والشعر العامي النجدي لسيرة بني هلال .

ولا يشترط أن يكون المأثور بعيد العهد جداً فهذه موبضي البرازية حديثة العهد عاصرت الإمام فيصل بن تركي ، ومحمد بن عبد الله بن رشيد فصاغ الحكواتي النجدي من شعرها أسطورة حجل .

وهذا نمر بن عدوان من أعيان آخر القرن الثالث عشر الهجري ، فحاك الحكواتي من فجيئته في وضحاء أسطورة موجزها أن نمرأ نفسه نبج زوجته وضحاء يحسبها حائفاً ، وساعد على ذلك أن نمرأ عمق المأساة بشعره الكثير .

قال أحمد شوحان عن هذه الأسطورة: « للعدوان أعداء كثيرون ، ولنمر منهم خاصة أعداء لا يحصون ، وقد كان يملك فرساً أصيلة صنع لها قيداً من الذهب الخالص وجعل مفتاح القفل لدى زوجة وضحاء لثقتة بها ومكانتها منه .

وقد كانت تلك الفرس أمنية كل لص وفارس ، ومطمع كل صعلوك وغاز ، لذا وهب أعداؤه لمن سرقها من نمرأن يملؤوا خرجها له ذهباً ، لذلك كان نمر لا ينام إلا وبارودته محشوة وجاهزة ومبسوطة بجانب فراشه خوفاً من مباغطة العدو له أو مdahمة اللصوص داره . وفي يوم من الأيام نسيت وضحاء الفرس بلا تقييد ، وفي منتصف الليل تذكرت الفرس فقامت من فراش زوجها بهدوء وبطء ، ثم ذهبت إلى الفرس وأخذت تدخل يديها في الزرد ، وفي هذه

الأثناء استيقظ نمر من نومه ، فنظر فشهد شخصاً ما بين يدي
الفرس ، ولم يفطن لوضحا ، فظن أن لصاً جاء يفك قيدها ليسرقه ،
فحمل بارودته وصوبها نحو الشخص ، ثم قدح زنادها ، فانطلقت
الحشوة نحو وضحا ، فانقلبت وقالت له : لقد قتلتي يا نمر .
قام نمر مولولاً باكياً نادماً على خطئه ، لكن الندم لم ينفعه إذ ماتت
وضحا ونفنها .

لكن نمرأ لم يدفن حبه ووداده معها ، بل جن جنونه ، واختل
توازن شعوره ، وطاش صوابه ، وعانى بسببها ما عانى ، ونظم
القصائد الكثيرة حتى قيل : إنه قد تزوج تسعين امرأة بعد ذلك كل
واحدة منهن اسمها وضحا من بنات شيوخ القبائل ، ولم تكن واحدة
منهن كوضحا الأولى إن صحت الرواية !! .

وقد تتاقل الناس والشعراء كثيراً من شعره ، وكان أبناء وادي
الفرات والبادية يحفظون هذه الأشعار ويتناقلونها (٣) .
قال أبو عبد الرحمن : لم يذكر الحاتم أسطورة قتل نمر لزوجته
خطأ ، بل ذكر وفاتها فحسب قضاء وقدرأ ، وليس في شعر نمر
الصحيح ما يدل على هذه الأسطورة ، بل فيها ما ينفيها وهو قوله :

(٣) ديوان نمر ص ١٨ - ١٩ ، وتابعه إبراهيم السليمان الطامي في ديوان من
الشعر النبطي المختار ١ / ١٥٦ .
قال أبو عبد الرحمن : قصة الفرس هذه مشهورة عند الحكواتية بنجد ، وعليها
شواهد شعرية منسوبة إلى نمر لا تصح .

- البارحة يا عقاب يوم القمر غاب
بليلة العيد السعيد الجديد
عيد سعيد في ضحى العيد لي طاب
حاضر وناظر في معايد وديدي (٤)
من عيدنا هذا طفر قلبنا وشاب
صار أتعس الاعياد يا عقاب عيدي
أمر جرى لي بالمقادير واسباب
غصب عني يا عقاب ويش عاد بيدي
محبوبي اللي قد سقاني شهد ذاب
أرياح من فحفاح سوق البريد (٥)
يا عقاب انا جيت المحلة من غياب
نبهتهم يا عقاب وإيا العبيد (٦)
سأيلتهم عن صاحبي وين هو غاب
قال استمع يا نمر ما هو بعيد
زائر هله يا نمر بالسايح ذياب
سريع يلقي والمحببة تزيد (٧)

-
- (٤) في الأصل : بمعايد .. بضحى العيد .. والمعنى : طاب لي العيد من أجل حبيبي (وديدي) أحضره وأنظر إليه .
(٥) في الأصل : محبوبي اللي انا سقاني شهد أصفا ذاب .
(٦) في الأصل : كنت غياب .. نبهت الخدم .
(٧) في الأصل : بسايح ذياب .
وانظر دراسات في الفولكلور الأردني ص ١٢٠ و ١٢٢ .

وأدركت في قريني قصصاً ونكتاً تعزى إلى بعض الأفراد ،
وهي بفصها ونصها بكتب التراث كـ « البصائر والذخائر » التي ذكرت
نكتة : « إن صدقت رؤياك مطرنا بكذا . . . » .

وليست هذه النكت من البدهيات فتقع وقع الخاطر على الخاطر
كما يقع الحافر على الحافر .

فتيقنت أن عبد الرحمن السبيعي - رحمه الله - هو الذي قرأها
وركبها وأشاعها .

قال أبو عبد الرحمن : ومن الأساطير المركبة على أعيان تاريخيين
أسطورة حجول وخروف ، أو حجول وبهلول .

والواقع قبل الأسطورة أن لمويضي البرازية اختأ اسمها بنأ ، وقد
فخرت بنأ بزوجهاتمدحه وتعرض برخاوة زوج أختها مويضي فقالت :

شوقي غلب شوقك على هبة الريح

ومحصل فخر الكرم والشجاعة

ركاب شوقي كل يوم مشاويح

وإذا لفي صكوا عليه الجماعة (٧)

يا البيض شومن للرجال المفاليح

لا تقربن راعي الردي والنداعة

فأجابتها أختها مويضي تقول :

ما هو بخافيني رجال الشجاعة

ودي بهم بس المناعير صلفين

(٧) ركاب شوقي : شوقي يركب .

أريد مندرس بوسط الجماعة

يرعى غنهم والبهيم والبعارين
وإذا نزرته راح قلبه رعاة

يقول يا هافي الحشا ويش تبغين ؟
وان قلت له هات الحطب قال طاعة

وعجل يجي بالقدر هو والمواعين
لو اضربه مشتدة في كراعه

ما هو يشاكيني ولا الناس دارين (٩)

قال أبو عبد الرحمن : سمعت عن نساء رجاليات لم يتزوجن ،
وأنفن أن يُسترحلن .

وأما مويضي فقد تزوجت ، ولكنها كانت تفد على الأمراء
وتسامر الرجال ، وتناظرهم ، وكانت هي ونورة المريحية ممن يفد على
محمد ابن رشيد . . ومويضي صاحبة الحوار مع محمد ابن رشيد حول
شارب يُخرج منه وشارب يُجلس عليه ، وقد غلبته .

أما الشاعر ابن سبيل فقد غلبها بيبتين أولهما :

ولّي عجوز يا مال الجزار

شهب ملاغمها من البيدا

ولمويضي وزميلتها أمثال في تاريخنا الفصيح كاللاتي يفدن

على معاوية بن أبي سفيان .

(٩) من البادية ٩٧/٧ ، وانظر شاعرات من البادية ١٩٧/١ - ١٩٨ ، وكنز الأساب
ص ٥١٢ ط ١١ .

ومن قصصها في مجلس ابن رشيد أنها غلبت بعض الشعراء
عندما طلب ابن رشيد ارتجال أبيات آخرها « أكله » !! (١٠) .
فقالت :

ما حليله وليد سرح بالذويد

(١١) ما حلا يوم يأتي مناداك له

ما حلا رمية الصيد يم الغميل

(١٢) غافل مايري وين مرمأك له

ما حلا كزة الدين يم العميل

(١٣) ما تعني عميلك ولا جاك له

ما حلا لمسة الردف فوق السرير

(١٤) مع صلاة الفجر مد يملك له

يالعتيبي لعبنا وجاك الذيب

كز الرمح مندوبنا جاك له

قال أبو عبد الرحمن : الشطر على وزن فاعلن أربع مرات ،
وهذا الوزن تأتي عليه بعض ألحان الرد .

قال أبو عبد الرحمن : والزوج الذي يكون في الطاعة يليق
بزعامه مويضي .

(١٠) في أوراقي الخاصة - ولا أعلم الآن من ناولتي تلك الأوراق - أن عتيباً
كان ضيفاً عند موزي ، فوعد بإعطاء رمحه من يقول أبياتاً نهاية كل
واحد منها : أكله .

(١١) في أوراقي : ما حلالك .. يقبل مناداك له .

(١٢) الغميل : الأرض المطمئنة ، والشئ المتراكب بعضه على بعض ، وكل

ما حبس نفسه بشئ فوقه ، والنصي البالي المتراكب .

وفي أوراقي : ما حلا رمية العيس وسط الشعيب

(١٣) في أوراقي : يأتي عميلك .

(١٤) الفنون الشعبية ص ١٩٠ - ١٩١ ، وفي أوراقي :

ما حلا تلة الخيطلي الجديل .. تالي الليل قلطت ..

والأسطورة جاءت مرة بعنوان : حجول وخروف على هذا النحو :
 كان حجول خريثاً ، وكان قاسياً على زوجته ، فعيل صبرها
 وطلبت الطلاق ، ولم يوافق حتى علم منها طموحها إلى أي الرجال ؟ .
 فاختارت رجلاً اسمه خروف كان راعياً عندهم ، وكان جاهلاً
 ناقص العقل .

فطلقها ورضيت بخروف لفراغه للفراش ، وفراغ قلبه من
 الأعباء .

وجزع حجول أن فضلت عليه خروفاً ، وكان أمير القوم وعقيدهم .
 وفي إحدى الغزوات ألزم حجول خروفاً بالغزو مع أن الرعاة
 لا يغزون !! .

وجعله نائباً عنه في رئاسة القوم !! .

ولرداءة تدبيره أمر قومه بإهراق الماء وإفراغ القرب ، لأنهم
 قريبون من المورد ، إلا أنه ضل الطريق بعد ذلك ، فعرض القوم
 لمهلكة .

فاقترح حجول أن يرجع خروف إلى أهلهم يخبرهم ، وأعطاه قليلاً
 من الماء كان قد احتفظ به .

فلما وصل إليهم لبس السواد إحداً ، وبلغهن وصية حجول ،
 وهي هذا الشعر :

إذا جيت اهلنا يا خروف

قل العرب هلكوا ظموا

دليلتهم وأنا حـول

إلى ما القمر غشاه نوا

اصددهن واوردهن حـول

بلا علامات ولا رجوم تسوى

فعرفن أنه مضحوك عليه ، وحثين على رأسه التراب ، وعاد
القوم سالمين بقيادة حـول ، فَبُدِّلَ الحداد بأفراح .
وملاً حـول قميص خروف من العيش ، وصب من المرق ،
وقال : يا خروف إن زوجتك تحب هذا .

فأتى خروف زوجته يخرخر على ساقيه وفخذية المرق والزاد ،
لكنها لم تبال وكتبت لحـول ما جعله ييأس منها ، ثم ذكر أبيات
مويضي على قافيتي العين والنون بوصل الهاء في الأولى .
إلا أنه أوردها مكسرة الوزن غير محققة الرواية ، وهي تحوير
لأبيات مويضي الواقعية (١٥) .

وأما الأبيات على الفاء والواو فمن وضع الحكواتي ، والشرط
الذي فيه كلمة خروف شاذ القافية ، والأبيات مكسرة .
ووردت برواية أخرى مقاربة إلا أن بطل القصة بهلول وليس خروفاً .
ولم ترد أبيات مويضي البرازية ، وإنما وردت أبيات حـول
لبهلول كالتالي :

(١٥) انظر نزهة النفس ٥٤/١ - ٥٦ .

دليلها وأنا حـجـول
الى من القمر غطاه نـوا
أوردها على دحـول
لا ضلع ولا رجم مسـوى
والى منك لفيت يا بهلول
فقل ترى القوم في المظمى تلوى (١٦)

قال أبو عبد الرحمن : الأبيات مختلة الوزن .

والبهلول معروفة قصصه الفصيحة في الأدب ، وهو في العامية بمعنى
المغفل .

ووردت قصة حجل بصيغته الثالثة فقال علي الصفراني : « في
إحدى القبائل كان يوجد رجل ثري أعطاه الله أنواع الخيرات ،
ولم ينجب إلا ابناً واحداً اسمه محماس كان له عم ، وعنده بنات
تزوجت إحداهن محماساً ، فلما توفي والده محماس ورثه في المال والخصال
الحميدة ، بل تعداه في خصلة الكرم حتى اشتهر صيته ، وأخذ إذا نزل
هو وعمه أرضاً يسابقهم في نصب خيمته على الطريق ليكون هو
الأول في إكرام الضيوف ، ولم يحدث أن تعداه الضيوف إلى بيت
عمه إلا بعدما يكون قد أكرمهم هو أولاً .

وفي ليلة شديدة البرودة غزيرة الأمطار ، وبعد عشاء لقيه محماس
استرخى في الليل وداعب النعاس عيونه فغلبه النوم .

(١٦) أساطير شعبية ٢/٢٣١ - ٢٤٠ .

وفي حالة نومه مرضيوف بالقرب من بيته، وتوجهوا إلى بيت عم حماس الذي أشعل النار، وأخذ صوت النجريدوي عالياً مما جعل حماساً يستيقظ من نومه مذعوراً، وسأل حماس زوجته التي هي بنت عمه عن الذي عند والدها، فأخبرته أنهم ضيوف مروا من أمام بيتهم، وسخرت من حماس بأنه يدري عنهم، ولكنه تجاهلهم بأنه نائم؟! . فأسرع حماس إلى بيت عمه ونادى عمه، وطلب منه بأن لا يسوي القهوة إلا هو من عنده، فلبى عمه طلبه، وأخذ حماس يعمل القهوة، فلما انتهت القهوة وقدمت للضيوف تناول حماس ربابته، وتمثل بهذه الأبيات :

يا كم سمي للمناعير زلفيت

جوف الصحن بين النشامى تداس

وحسبي عليك الله ان كان عنهم اغضيت

الا بعد عيني دخلها النعاس

لكن روعي طالقة مدور البيت

حلفت ما راسك يواسد لراسي

فلما سمع عمه هذه الأبيات من حماس فهم أن حماساً وزوجته التي هي بنته حصل بينهما خلاف أدى إلى طلاق بنته من حماس، فقام من فوره إلى حماس، وأقسم عليه أن يتزوج بنته الثانية فتزوجها (؟؟؟) .

قال أبو عبد الرحمن : أما انتظروا فوات العدة حتى لا يجمع بين

الأختين ؟ ! .

أما من جهة زوجة محماس الأولى التي طلقها فقد تزوجت
برجل بخيل كان محماس يشتري منه الغنم التي يذبحها لضيوفه ، وفي
إحدى الليالي كان عند محماس وليمة كبرى ، فأتى هذا الرجل البخيل
يطلب عشاء له ولزوجته ، ولعدم وجود أوانٍ فقد حمل عشاءه في
طرف ثوبه ، وأتى إلى زوجته وهو يحمل العشاء في ثوبه ،
فسألته من هو الذي أعطاك هذا العشاء ؟ •

فقال : محماس •

فتمثلت بهذه الأبيات التي تمدح بها محماساً ، وتأسف عما مضى
منها ، وتسخر من زوجها البخيل « (١٧) » •

ثم ذكر ثلاثة أبيات من قصيدة مويضي على قافيتي العين
والنون بوصل الهاء في الأخيرة •

قال أبو عبد الرحمن : قصة محماس وأبياته على التاء والسين مما
ضرب تحت المقفزية (١٨) •

ويلاحظ اعتماد الحكواتي على معاني أبيات مويضي ، إذ وجد
فيها أوصافاً لزوج له قصة مجهولة بعثها الحكواتي بخياله ، أو كان
يعرف واقع القصة المحدود فطول ذيوله بالخيال القصصي •

(١٧) من البادية ٨٤/٦ - ٨٥ ، وانظر الكنوز الشعبية ٨٤/٤ - ٨٥ •

(١٨) كان أحد الصاغة الفضلاء الصلحاء يصنع عملة نحاسية متداولة سابقاً نقش
عليها « ضرب في مسقط » فكان ينقش « ضرب تحت المقفزية » ، وهي

نخلة في حوش داره ، فانطلت على الخاصة شهراً •

وإنما أراد المزاح والتكيت ، لا تزوير العملة •

والحكواتي الثاني يسمع بأسطورة الحكواتي الأول فيحوّر الأسطورة وكأنه يقول : ذلك المحكي أسطورة ، وأما الحقيقة فهي حكايتي هذه .
قال أبو عبد الرحمن : وحاول الضويحي أن يجر الأسطورة إلى الواقع فقال : « حبول من شجعان الرجال ومن أعرف الناس بالطرق حتى ضرب به المثل فقيل فلان حبول ، ويقول حبول عن نفسه :
ليلتهم وأنا حبول
لا غطا المرقاب نوا
أصدرهم وأوردتهم حول
بلا علامة أو رجم مسوى
وكان ابن رشيد لا يرحل إلا وهو معه ، وكانت مويضي زوجة حبول فلم يكن ملتفتاً إلى ما تريده النساء ، وكانت جميلة وصاحبة لسان ، فترافعت هي وحبول الذي أبى أن يطلقها إلى أحد الأشخاص ، فذكر حبول أنه لم ينقص عليها من اللبن والتمر والسمن والبرشيئ ، فلما انتهى أجابته :

حتيش لو حظيت فتحة وباكور

مع جوخة تكسي قطاة العيبة

اقتك وسمنك كنه الشري مرور

لا طاب مقلوعك فعود عليه

ثم طلقها بعد ذلك حيث تأكد عدم رغبتها فيه ، فتزوجت بعده

ابن عمها واسمه خروف فأشبع رغبتها وارتاحت معه .

قالوا : وكان مغفلاً فلم ينقص حبه عند مويضي ، وتذكرت حبولاً .

ثم ذكر الضويحي أبيات مويضي على قافيتي العين والنون بوصل
الهاء في الأولى (١٩) .

قال أبو عبد الرحمن : أما ضرب المثل بحجول في معرفة
الطرق والمجاهل فلا أعلمه .

وأما البيتان على قافيتي الراء والياء بوصل الهاء فحري أنهما
صحيحان حقيقيان .

وحري أن تكون المرافعة صحيحة أيضاً .

وأما بيتا حجول ، وتسمية الزوجين حجولاً وخروفاً فحري أن
يكون ذلك مأخوذاً من الأسطورة .

وكما يحور الحكواتي النجدي الواقع إلى أسطورة : يضيف إلى
الأسطورة أسطورة كما في قصتي بشر وعزيز ابن خال أبي زيد
الهلالي اللتين ذكرهما سويلم العلي السهلي بقوله :

وطرد الهوى ما فيه منقود أذراه

من دور بشر ليا عزيز ابن خاله

بشر من الزهاد وادنت مناياه

وعزيز ذاق الموت بأسباب خاله

أما قصة بشر فتأتي - إن شاء الله - في الحديث عن عشاق

يموتون بشهقة في الفصل الأول من الباب الثالث .

وأما قصة عزيز فأصلها الأسطورة الهلالية التي دونت بعد ابن خلدون ، حيث ذكرت أن أبا زيد حن إلى علياء بنجد بعد قتل الزناتي خليفة ، فأبى قومه مرافقته من المغرب إلى نجد سوى ابن أخته عزيز .
 قالت الأسطورة : « فحينئذ قام الأمير عزيز القوم وفارس وحمي الميدان الذي شهد له الأقران بالحرب في بطايق الجولان ، وهو ابن خالد بن شيحا أخت أبو زيد . وأبوه قتل في مصر بتغريبة بني هلال بواقعة الملك فرمند ، ورُبِّي عند أمه في حمى أبو زيد حتى اشتدت أوصاله ، وراقت أحواله فصار فارساً عظيماً هابته الفرسان في الحرب والطعان .

وكان ابن سبع عشرة سنة أمرد لانبات بعارضيته ، وكان يضع برقاً على وجهه خوفاً من النساء تطرح من حسنه .
 فتقدم أبو زيد وقال له يا خال أنا رفيقك لنجد ، وكذلك يونس قال أنا معك يا عم لنجد .

ففرح أبو زيد واستبشر وأيقن ببلوغ الوطن وفي ثاني الأيام ودعوا أهاليهم وجدوا في قطع الروابي والآكام مسافة تسعين يوماً ، وفي اليوم الحادي والتسعين وصلوا الصحراء وأرضاً قفرة خالية من الماء فحرقهم الظمأ من شدة الحر في ذلك البر .

ففي اليوم الثاني نظروا من بُعد بئر ماء له علامة بتلك البيد ، فقصد يونس ووجد دلواً وحبلأ على جنب البير وأراد صعوده فانقطع وسد البير ، فهم عزيز القوم بالنزول فمنعه أبو زيد

وقال له : هذا بئر مملوء من الحشرات المؤذية فدعونا نسير إلى أن يفرجها الله تعالى .

فقال يونس : لابد من النزول إلى البئر لأنني صرت على تلف من كثرة العطش .

فقال أبو زيد : إن الروح ما هي حشيش (٢٠) حتى يتلف موضعها ، والحشرات المؤذية لا يعرفن لا أميراً ولا سلطاناً .

فقال يونس : دعك من هذا الكلام ما أحد ينزل إلا أنا ولو أشرب كأس الحمام .

فقال له أبو زيد : افعل مرادك فحينئذٍ أخذ الحبل ونزل إلى البئر ، فلأجل نفوذ القضاء والقدر راح الدلو وهم بالصعود ، فخرج عليه من جانب البئر ثعبان أزرق اللون شنيع المنظر وضربه بفخذه ، فلما استحس يونس بضربة الثعبان غاب عن الوجود ، وزعق بصوت ارتج منه ذلك المكان ، فغاب الثعبان عن عيونه ، وكان أبو زيد واقفاً على جانب البئر ، فقال : مالك يا يونس ، وما جرى عليك ؟ .

فقال له : لدغني ثعبان في هذا المكان ، فحينئذٍ نهض لخارج البئر وحس أن قلبه قد احترق بنار السعير ، وشكا حاله لأبو زيد وعزيز ، فنزلت دموعهم حرقاً عليه « (٢١) » .

(٢٠) من أمثال العامة بمدينة شقراء التي يتندر بها أهل القرى المجاورة : العمر ما

هو بقتة يحصد ثم ينبت ! .

(٢١) تغريبة بني هلال ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

ثم ذكرت قصيدة أبوزيد في هذه المناسبة ، وذكرت أن وصولهم إلى مضارب عليا صادف زواجها من نوفل فارس الجعبر ، وذكرت أنها بنت حسن الجعبري وزوجها السابق أبوزيد زحلان دريدي .
واتفق أبو زيد مع عجوز على أن تُلبس عزيزاً ثياب بنتها ليصل إلى عليا فيخبرها بقدم فارس أحلامها .

فذهبت عليا مع العجوز إلى أبوزيد ، وجلس عزيز مكان علياء .
قالت الأسطورة : « وأما ما كان من عزيز فإنهم بعد ذهابهم أخذ يستتظر قدوم العريس وبينما هو يفكر بهذه الأفكار إذ دخل عليه الأمير نوفل ولاقاه وأخذ يكلمه وجلس بجانبه ومد يده إليها فنفرت منه وقالت : ليست هذه أفعال العرب يا قليل الأدب .
فقال ما هذا السبب حتى تبادريني بهذا الكلام يا نخبة العرب الكرام ؟ »

فقالت له : اعلم أن العروس لها على العريس نقوط ، وأنا اليوم الذي أخذني أبوزيد أعطاني ألف دينار وأنت تكون أميراً وابن أمير .
ويا حيف أبخل من تتجير (٢٢) .
فلما سمع منها ذلك صار الضياء في وجهه كالظلام ، وقفز واقفاً على الأقدام ، وأراد أن يضربها بالحسام ، فقامت العروس ومسكت العريس ورفعته على زندها وضربت به الأرض ، وكادت تدخل طوله بالعرض ، وأوثقته بالحبال ، وربطته بالعمود تقتضي الوبال .

(٢٢) لعل الأصل « طنقير » وهو العبد .

وهو يذوق العذاب الأليم إلى أن أصبح الصباح العليم ، فأطلقت سبيله
ودام على هذه الحال يأتي الظلام طمعاً بالوصول ، ولا اطلع أحد
على أمره إلى اليوم الرابع » (٢٣) .

وبقية القصة تذكرها قصيدة عزيز . قال :

« يقول الفتى عزيز ما جرى

له ودموع عيني زادت سكايب

ونيران قلبي كلما أقول تتطفي

يزيد لها جوا الضلوع لهايب

من الغرب قد جينا حقيقاً بلا خفا

لنجد العذبة طالبين المكاسب

فقدنا الفتى يونس وكان رفيقنا

من بعده ما أظن نبليج مآرب

وأتيننا إلى نجد العذبة وأرضها

وجدنا بها الأفراح من كل جانب

وقالوا عرساً دايراً في بلادنا

عروس الأمير نوفل من القرايب

فقلنا من هي العروس واسمها

قالوا عليها راخيات الذوائب

لما سمع أبو زيد القول أضرب
 وعادت في قلبه يزيد لهايب
 لبست مثل عليا وذهبت لعهدها
 وعرفتُها بحالي كل الطلايب
 فلما عرفتني بسرعة قد أتت
 لعند الأسمر شيخ العرايب
 ولبست ملبوسها بلا خفا
 وتزأنت بزينات ام العصايب
 أتاني نوفل عند مغرب الضحى
 يريد وصالي كالنسا يا عرايب
 ربطته على العامود وحدي بهمتي
 ودعيتُه للصبح يقضي العذايب
 وفي ثاني الأيام أتاني بلا خفا
 فادعيتُه على الأرض مرمي غايب
 وفي رابع الأيام اتاني على ثقا
 ضربني بشيش الدم يا ابن الحسايب
 ضربني فياليت أنا ضربته
 ثنى علي بشيش من السم دايب
 جرح القديم يا خالي ضامني (م)
 جرح الجديد يشد عليك العصايب

وقد اخبرتك يا هلال سلامة

هيا بنا نرجع لأرض المغارب» (٢٤)

وفي طريقهم مات عزيز من السم، وقال قصيدة قبيل موته منها :

« وان سألوك يا خالي قول لهم

غدا رهين الموت تحت الترايب» (٢٥)

أما الحكواتي النجدي فيذكر أن بين أبي زيد وعلياء حباً وحرماناً

بسبب بُعد الديار، وبسبب أن المتحابين المشهور أمر حبهما لا يقتربان
بالزواج في عرف العرب .

فزوجت من غير ابن عمها فاستطاع أبو زيد بمعاونة من ابن

أخته عزيز الذي حضر الزفاف في زي امرأة أن يلتقي مع حبيبته
ويفضي أحدهما إلى الآخر بشجونه في عفة وصيانة .

واستطاع عزيز أيضاً أن يجلس في فراش عليا كأنه هي

فصارع الزوج ودرأ عن نفسه . قال الأستاذ أبو سهيل عبدالكريم ابن

جهيمان : « أما ما كان من عزيز مع زوج عليا فقد دخل الزوج

وحاول مع الزوجة بمختلف الوسائل أن ينال منها ما يريد الرجل من

المرأة ولكنه لم يستطع ، لأنه وجد أمامه قريناً قوياً لا تلين له قناة

ولا يفتر له عزم ، وصارع الزوج وبذل كل ما يستطيعه من قوة

ولكنه لم يفز بطائل .

(٢٤) التغريبة ص ٣٣٣ .

(٢٥) التغريبة ص ٣٣٥ .

فلما فتر عزمه وخارت قواه خرج من الغرفة كأنه سيقضي حاجة .
ووجد عجوزاً من أقاربه وشرح لها الوضع وأخبرها عن ظنه
بأن الذي أمامه رجل لا امرأة وسألها عن الحل .

فقالت له العجوز : اقطع واحدة من جدائل شعرها واجرحها مع
كفها الأيمن ، فإن كانت أنثى لم يضرها ذلك ، وإن كانت رجلاً مات
من هذه الجرح ، لأن عرق الأكل المميت يكون موجوداً في اليد
اليسرى من المرأة وفي اليد اليمنى من الرجل .

وهكذا حصل ، فقد رجع الزوج المقهور وقطع إحدى خصل
شعرها ، وجرحها في يدها اليمنى مع عرق الأكل أو الشريان
المميت ثم انتحى جانباً ونام .

وجاءت عليا مع طريقها الذي سلكته في رواحها وتسللت إلى أن
دخلت على عزيز فقام معها وأخبرها بما جرى ، وقال لها ليس أمامنا
إلا أن نقطع إحدى خصل شعرك ، وأن نجرحك في يدك اليمنى حتى
لا ينكشف أمرنا ، وقال شعراً :

مدي يمينك يا مليحة نجرحه

من خوفتي تزري علينا القرايب

ومدي الجذيلة يا عزيزة نقطعه

لا ينكشف من سرنا كل جانب

لا هوب بغض لك ولا مكرهية

لكننا ندرا حكايا الزلايب

فمدت عليا يدها فجرحها في يدها اليمنى ، وأخذ خصلة من شعرها فقطعها .

ولبس عزيز ثياب الرجال وربط جرحه الذي كان ينزف دماً وذهب مسرعاً إلى خاله فشدوا الرحال متوجهين إلى أهلهم بعد أن بلغوا كل ما أرادوه وفوق ما أرادوه فقد حصل اللقاء ، وأفضى كل من الحبيبين بما في نفسه إلى حبيبه ، وصار الوعد والعهد على أن العقبي لهما ، ولم يبق إلا أن يُجَدُّوا في السير ليصلوا إلى أهلهم سالمين ، ودهش أبو زيد بضروب الصبر والشجاعة والرأي الأصيل التي تتجلى في ابن اخته الشاب « (٢٦) » .

وتمضي القصة إلى أن أبازيد خاف من منافسة عزيز له ، وأنه احتال عليه لينزل بئراً ليسقيا قربهما ، وأنه كان يرشق عليه الماء متظاهراً بأنه من غير قصد ليبتل جرحه ، وأن عزيزاً أمر بأن يُخَفَّرَ له قبر وكتب وصيته بهذا الشعر :

أوصي على غر غرير من الصبا

يلعب مع الصبيان وابوه غائب

أحذرك أنا يا خال عن ضربة العصا

أو نزرة تدعي قلوبه حطايب

وقولوا لبنت أُمي تغطي^١ وتستحي

لا جوا لها الوراثة فوق النجايب

وقولوا لبنت العم ترحل لأهلها

حرم عليها اليوم شوف الحبايب

فلما انتهى هذا الكلام أسلم الروح لبارئها ، وكان كل شيء

جاهزاً فغسله خاله وطيبه وكفنه ثم دفنه فلما سوى التراب على قبره

رشه بماء قربته ثم وضع على القبر فتحة عزيز وجوخته وعقر

راحلته عند قبره ، وذلك لأنهم يعتقدون أن الإنسان إذا بعث بعث

معه هذه الأشياء فيستعملها في ذهابه إلى المحشر ، وعندما أتم هذه

الأمور أنشد شعراً :

دفقت على قبر الهالي قربته

وما ماها غدا يسبح من كل جانب

وحطيت على قبر الهالي جوخته

وتركتها تذري عليها الهبايب

وحطيت على قبر الهالي فتخته

في موقع يشوفها كل صاحب

وعقرت على قبر الهالي بكرته

وخليتها تعتب حوالي النصايب (٢٧)

(٢٧) أساطير شعبية ١/١٨٩ - ١٩٠ .

قال أبو عبد الرحمن : تميز الحكواتي النجدي بجودة الشعر ، وجعل أبا زيد سبباً مباشراً في موت عزيز غيرة منه ، وجعل أبا زيد وعلياء عشيقين لا زوجين ، وجعل أبا زيد يرحل وحده لم تصحبه علياء ولم يحسم قصتها مع زوجها نوفل .

قال أبو عبد الرحمن : وأبو زيد (سواء أكان واقعاً أم أسطورة) فهو من رجال التغريبة ، وأهل التغريبة عرب فصحاء لم يفسد شعرهم فيكون نظماً بالعامية ، وعهدهم وقت التغربة بنجد بعيد جداً فليس لهم بها علاقة بحبيبة يسمح سنّها أن تكون معشوقة ، ولم يعد أحد من عامة أهل التغربة إلى نجد فضلاً عن قانتهم ، وإذن فالقصة أسطورة .

ومن أصدقاء المأثور الشعبي - واقعاً أو أسطورة - في القصص النجدي ما ذكر في الكتاب المنسوب خطأ لابن المجاور الدمشقي عن قصة سقاء استنقذه فارس عربي بعد جوع وهلكة وأنزله عنده في بيت شعر ، فصار الفارس يغدو للصيد والسقاء تحت رعاية الزوجة أياماً . فلما صح السقاء وتعافى راود المرأة عن نفسها وقد نهته مراراً ، فلما لم يرتدع أدارت كتافه وشدته في جوار كلب عندها . واستشهد ابن المجاور لذلك ببيتين من الشعر لم ينسبهما لأحد ، وهما :

ففيهن من تسوى ثمانين بكرة

وفيهن من تسوى عقال بغير

وفيهن من لا بيض الله وجهها

إذا قعدت بين النساء بزيـر (٢٨)

فهذا شعر على بحر الطويل ، والعامية في كلمة واحدة هي

« تسوى » بمعنى تساوي .

بيد أن البيتين اليوم من قصيدة عامية طويلة تتسب لدليان (٢٩)

(٢٨) تاريخ المستبصر ص ٢٢٥-٢٢٧ والكتاب لمؤلف لا يزال مجهولاً اسمه وعصره ،

وإنما عرف أنه ابن "لمحمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي

النيسابوري ، وأنه عاش في حضر موت ، (ويحتمل أنه من رجال القرن العاشر) .

ونسب الكتاب لأبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني

الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٠ هـ .

وليس له يقيـن وإنما كان ينقل عنه .

وقد كتبت عنه في السفر السابع من كتابي ديوان الشعر العامي ، وذكرت

مافيه من أدب العامة وأسمارهم .

(٢٩) أوردها ابن خميس في كتابه من القائل ٣/٥١٤ - ٥١٥ وسماه عبد الغالبيات

سالم ومطلعها :

يقول عبد الغالبيات سالم

ينود ومن غر الناس ينود

والشطر الأول منكسر ، ويستقيم بتصغير العبد إلى عبيد .

وفي بعض الروايات « الدغلبات » ويستقيم الوزن بها وبالغالبات معاً .

وأورد منها الصقري بيتين في كتابه نواذر الأشعار ص ١٦٥ ولم ينسبهما لقائل :

وفي أوراقي ولا أدري عمن كتبتـه : ورد أول بيت هكذا :

يقول دليان عبد الفضلي

أول ما لمس الوشام بعود

--

عبد ابن فاضل ، إلا أنها بقافية الدال أرويهما عن الشيخ منديل الفهيد هكذا :

وايق على الما يا مشيط بن فاضل

عسى على الما يا مشيط ورود (٣٠)

عليه بنات البدو يلعبن حوله

وينسفن في وسط الغدير جعود (٣١)

-- قال أبو عبد الرحمن : يستقيم بضم لام يقول ، وتتوين دليان ، وتصغير عبد ،

وإدخال باء الجر على أول وكسر اللام منها .

وعند ابن خميس زيادة :

أخذت في عمري ثمانين راجع

وثمانين ما قلب لهن نهود

والبيت مختل الوزن ، ويستقيم بقوله :

أخذت على عمري .

أو مدى عمري .

وثمانين في الشطر الثاني بلا واو .

وقلب بتشديد اللام ، وتشديد نون لهن .

وفي أوراقي : « وعشرين ما قلب لهن » .

وبعد هذا البيت عند ابن خميس البيت الذي سيأتي :

يا عم واثر البيض فيهن تناقل .

(٣٠) لم يرد هذا البيت عند ابن خميس .

ويستقيم بواو العطف هكذا : « ووايق » ، ويستقيم بدونها عند من يصحح

الثلثم .

وبإبدال « عسى » بـ « لعل » ، وتتوين طاء مشيط في الشطر الثاني .

(٣١) لم يرد عند ابن خميس ، ويستقيم وزنه بنطق عربي بتحريك هاء عليه ،

وتحريك واو البدو ، وتسكين باء يلعبن مع تحريك النون ، وحذف الواو من

ينسفن مع تشديد سينها .

ولا يرى ان العبد في جذع سدره

مضف على راسه نوابه عود (٣٢)

لكن راس العبد بين نهودها

جناح غراب في سنام قعود (٣٣)

يا عم وائر البيض فيهن تتافل

كما الخيل فيها سبق وقعود (٣٤)

فيهن من تسوى ثمانين بكرة

وفيهن من ترخص بقيد قعود (٣٥)

(٣٢) لم يرد عند ابن خميس ويستقيم هكذا :

(ولم يدر أن العبد ٠٠ ٠٠) بتشديد فاء مضف ، وتسكين هاء راسه ،
وتحريك تاء نوابه .

(٣٣) لم يرد عند ابن خميس ، ولم يأذن لي الشيخ منديل في روايته ، وإنما
نسخته من أوراقه .
ويستقيم الوزن هكذا :

كان رويس العبد ٠٠٠ إلخ .

(٣٤) يستقيم بواو قبل (يا عم) وتشديد باء سبق وتوين قافها .
وعند ابن خميس :

يا عم وائر العذارى نفايل
عواتق جميلات وبيض خدود

والشطر الأول منكسر .

(٣٥) يستقيم هكذا :

ففيهن من ٠٠٠ إلخ .

--

وفيهن من تضوي ويضوي العنا

وفيهن من تتحي العنا بعود (٣٦)

وفيهن جنات تداعج نهورها

وفيهن نيران بغير وقود (٣٧)

-- وعند ابن خميس :

منهن من تسوى ثمانين بكرة

ومنهن من تسوى عقال قعود

وعند الصقري كرواية ابن خميس في الشطر الأول ، وكرواية منديل في

الشطر الثاني ، إلا أنه قال : ومنهن .

(٣٦) عند ابن خميس :

ومنهن من تضوي ويضوي لها الغنى

ومنهن من تنحى الغنى بعود

فمن ناحية المعنى فهما روايتان متساويتان من ناحية الترجيح .

ومن ناحية الوزن فرواية ابن خميس أصح .

(٣٧) ورواه ابن خميس والصقري .

وعند ابن خميس زيادة هذين البيتين :

ومنهن من هي هرة مستهرة

كنه هرير النار بالوقود

ومنهن من تاكل الصاع مثني

كبيرة جنوب وبالمقام تتود

والشطر الثاني من البيت الأول منكسر ، ويستقيم هكذا : كأن هرير الماء

عند الوقود .

ويستقيم البيت الثاني بتشديد نون مثني وفتحها ، وتسكن تاء كبيرة

وتحول إلى تاء مفتوحة ، وتحذف الواو من كلمة (وبالمقام) .

ومنها :

عيالي مع البدو عرفت وسمهم

ثمانين بكرة واربعين قعود (٣٨)

عيالي لا بانوا عرفنا اشباههم

عيالي قطمان الخشوم فهود (٣٩)

وكم واحد يعزل ابوه وهو لنا

عليه الليالي المظلمات شهود

قال أبو عبد الرحمن : وفي رواية :

« جناح غراب فوق رأس سنود » .

وأظن أن الشيخ إبراهيم العثمان حدثني بأنها للغاضي عبد بني

غاضرة .

قال أبو عبد الرحمن : لا نعرف من هو الغاضي ، ولا من هو

عبد ابن فاضل ، ولا من هو مشيط بن فاضل .

ولا نعلم عن الحادثة شيئا إلا ما يتمثله السامع استتباطا من

القصيدة .

وإنما المحتمل أن القصيدة من الأدب الشفهي المتوارث ، وأنها من

الأدب النجدي قبل القرن السابع الهجري ، وأن مؤلف الكتاب المنسوب لابن

المجاور الدمشقي سمع هذا الأدب العامي الشفهي فدون منه بيتين لأجل

الشاهد ، وأن الرواية في نجد حورت وبذلت وأخلت بالوزن ، وأن كل رواية

(٣٨) هذا البيت وجميع ما بعده لم يرد عند ابن خميس ، وهو من الشعر الداعر

ولم يأن لي الشيخ منديل بروايته . ثم نشر القصيدة بالجزء السابع من

كتابه ص ٦٠ - ٦١ .

ويستقيم الوزن بجمع كلمة الوسم هكذا : وسومهم .

وفي أوراقي : يا غول يا ملقح ثمانين بكرة .

(٣٩) يستقيم هكذا : الى بانوا . . . شيوهم . . . أقاطيم الخشوم .

وفي أوراقي : فتخان قطمان الخشوم فهود .

على بحر الطويل (أو يَسْنَهُلُ تحوير نطقها إلى البحر الطويل) هي الأصح .
ويحتمل أن بيتي ابن المجاور على الرءاء من الأدب الشعبي الشفهي
في عهده ، ثم اقتبس شاعر نجد عامي أحد البيتين في قصيدته الدالية .
وورد في روايات القصيدة أن الشاعر من عبيد آل غالب ، وفي
رواية أنه من عبيد غاضرة .

ووجد في التاريخ ما يجمع بين غاضرة وغالب ، وهو أن
غاضرة حي من بني غالب بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن
هوازن (٤٠) ولا يعلم في عصور العامية قبيلة باسم غاضرة .

وهذا يؤكد أن القصيدة عامية في عصور الفصحى تنطق نطقاً

(٤٠) انظر عن القبائل المسماة غاضرة معجم قبائل العرب لكحالة ٨٧٤/٣ ،
وانظر قصة عبد الدغالبه بسياق آخر في كتاب السير والملاحم الشعبية العربية
ص ٨٢ - ٨٩ وسماء عبيد الغالبة .

وفي القرن الثاني وجد علم غاضري لفقت حوله أساطير . قال الأستاذ
عبد السلام محمد هارون في تعليقه على الحيوان للجاحظ ٢٤١/٥ - ٢٤٢ :
الغاضري من أصحاب الفكاهة والنادرة لا يعرف إلا بهذا الاسم . وفي
الأغاني ١٠١/١٧ : « كان الغاضري لقيطاً منبوذاً لا يعرف له أب » .

وفيها : « كان الغاضري مندر أهل المدينة » . أي الذي يطرفهم بالنوادر .
وكان معاصراً لأشعب الطماع أحد أبطال الفكاهة ، وكانت بينهما في ذلك الفن منافسة
شديدة . وقد مات أشعب سنة أربع وخمسين ومئة كما في الأغاني ٨٣/١٧ .
وفي عيون الأخبار ٥٢/٢ : « أبو حاتم : عن الأصمعي : عن نافع قال : كان
الغاضري من أحق الناس ، فقيل له : ما حقه .

قال : قال لي مرة : البحر من حفرة ؟ وما حفر فأين نبيثته ؟ . أتري
أمير المؤمنين يقدر على أن يحفر مثله في ثلاثة أيام ؟ » .
وقد صنع في أخباره كتاب من كتب أحاديث البطالين ، لا يعرف من ألفه .
انظر ابن النديم ٤٣٥ وانظر بعض أخباره في البخلاء ١٧٧ ، والأغاني ١٣٢/٥
وأما القالي ٢ : ٢٤٢ .

فصيحاً يقيم وزنها على البحر الطويل ، ويكون جمهور العامية في اللحن من ناحية الإعراب نحواً ، وتقل العامية في المفردة .
وعلى هذا يكون الدغليبات تحريفاً للغالبيات ، ويكون التعبير بالغالبيات والغازريات من باب التناوب في التعبير عن معنى واحد لأن الغاضري غالبي ، ولأن الغالبي غاضري بدلالة الكل على الجزء ، أو الانتساب للجد الأبعد .

وكون اسمه سالماً لا يمنع من كون دليان لقباً له .
وفي كتاب « السير والملاحم الشعبية العربية » لشوقي عبدالحكيم قصة وشعر عبدالغالبه بسياق آخر على أنه ملك من الملوك وأن قصته من الفولكلور الروسي .
وله أيضاً قصيدة حائية أملاها على الشيخ منديل ، ونقلتها أيضاً من أوراقه .

وأوردها الضويحي في كتابه (٤١) وسماه سالماً عبدالغالبه ، وخصص بأنه عبدٌ كبيرهم ، ووصفه بالذكاء والحكمة وشدة البأس والحيافة (سرقة الخيل) وأنه يبيعها بدون علم عمه .
وأنه في إحدى حيافته اختبأ في العشب فرأى بنتاً جميلة تغتسل فوصفها لعمه (مولاه) بالقصيدة المذكورة .
أما الشيخ منديل فيرى أن البنت بنت لعمه ، أو زوجة ، أو قريبة له .

(٤١) أوردها ابن يحيى في لباب الأفكار ١٢٢/١ ، ووردت في الفنون الشعبية ص ١٣٣ - ١٣٤ ، وأورد منها ابن خميس أربعة أبيات في كتابه من القائل ٢٦٥ / ٤ .

وهذا هو نص القصيدة :

يقول عبد الغالبيات سالم

اكنها بالصدر ثم تباح (٤٢)

تباح على مثل المها عامرية

خدلجة حشو الثياب رجاح (٤٣)

حبلى لها بالعقل انا ومحمد

شريق ولا اوريت لها جناح

ويردن من المظى ويصدرن كالقطا

وياطن وعور والدروب سماح

(٤٢) هذه رواية منديل وهي رواية ابن يحيى إلا أنه قال : ملاح .

وسماه عبد الغالبيات سالم .

وعند الضويحي :

يقول عبد الدغليبات سالم

يكنه على ما في الضمير ثم يباح

وهكذا ورد عند ابن خميس إلا أنه قال : الغالبيات . . الضمير يباح - بدون ثم - .

وعند ابن يحيى : عبد الغالبيات يكن ما بالصدر ثم .

والوزن منكسر إلا في رواية ابن خميس .

ويجوز في الظن أن يقال : لم يجد الضويحي في قبائل جيله النجدية قبيلة

باسم غاضرة أو غالب فجاء بالدغليبات لقربها رسماً ونطقاً من الغالبيات .

قال أبو عبد الرحمن : بيد أن الأسطورة التي استجد العلم بها من كتاب السير

والملاحم لشوقي عبد الحكيم بينت أنه عبد الغالبة، فبان أن لنطق العامة في نجد

أصلاً أسطورياً .

(٤٣) هذه رواية منديل والضويحي إلا أن الضويحي قال :

يكنه على مثل . . الثياب ملاح .

وفي أوراقي : اكنها لمثل المها .

الا يا عم ليتني تحتهم يا طنني
 لو كنت بين اقدامهن رماح (٤٤)
 ساقين ساق الله عزا من يلومني
 دراريح موز هزهن رياح (٤٥)
 وفخزين يوم تجلي السراويل عنها
 كما تجلى عن بعض الزبار رياح (٤٦)
 وردفين كالحزقين في بيت تاجر
 يبيع غلاما هو يبيع سماح (٤٧)

-
- (٤٤) هذا البيت والبيتان اللذان من قبله مما تفرد به ابن يحيى •
 والبيت منكسر
- (٤٥) هذه إحدى روايات منديل •
 وفي أوراق له أخرى هكذا :
 ساقين ساق عزا من يلومني •
 وعند ابن يحيى : لام الله •
 وفي أوراقه : واعزي لمن هو يلوم دراج •
 وعند ابن ضويحي : ساق الله عزي •
 ويستقيم البيت بإضافة واو أول البيت : « وساقين » وتشديد النون من
 « هزهن » •
- (٤٦) تفرد به ابن يحيى •
 وهو مختل الوزن •
- (٤٧) هذه رواية منديل في موضع إلا أن القاف المثناة كتبت فاء موحدة •
 وفي موضع آخر : وردت بالراء المهملة والفاء الموحدة •
 وفي الشطر الثاني : ما قط باع سماح •

--

نوب ينشرها ونوب يكتنها

وبيعه غلا ما قد باع سماح (٤٨)

نهدين كالرمانتين بصدره

ما مز ثمرهن الجنين وصاح (٤٩)

-- وكلتا الروائتين مستقيمتا الوزن بإيراد واو العطف قبل فخذين .

وعند الضويحي وابن خميس :

وفخذين تتجال السراويل عنها

كما انجال عن بعض الزبارتين رياح

والشطر الأخير منكسر .

وعند ابن يحيى وردت حزقين بالفاء ، وورد الشطر الثاني هكذا : ينشرها للبيع

كل صباح .

وكل من سوى ابن يحيى ورد عنده : فخذين - بدل ردفين - .

وفي أوراقي : يبيع بالغالي ما هو بيع ، والحزقين سلك الحرير .

(٤٨) تفرد به ابن يحيى .

(٤٩) هذه رواية منديل . وفي روايته الأخرى : بصدرها .

وكلتا الروائتين مستقيمتا الوزن بواو العطف قبل نهدين وما مر تنطق بحذف

الألف وتشديد الراء هكذا : ممر .

وهكذا وردت رواية الضويحي بواو قبل نهدين إلا أنه قال : ما بعد مزهن

الجنين وصاح .

ويستقيم الوزن بحذف ألف ما بعد وتسكين عين بعد وتحريك دالها .

-- وعند ابن يحيى :

عين الوحش لامرها الكحل كنها

جناح غراب لا استقل وراح (٥٠)

وراس يغذى' يوم قضا كنه

انيال خيل ذارهن صياح (٥١)

ونهدين كتفاحتين بصدرها

مالهج منهن الجنين وصاح

وفي أوراقي :

ونهدينها رمانتين بصدره

ما بعد مزمن الجنين وصاح

(٥٠) لم يروه الضويحي ولا ابن يحيى :

والوزن يستقيم بواو قبل كلمة عين ، وتسكين حاء وحش ، وتسكين حاء

الكحل وتحريك لامها ، وتشديد لام استقل .

وفي أوراقي : كنه لا تقل .

(٥١) هذه رواية منديل ، ولم يروه الضويحي .

ويستقيم الوزن هكذا :

..... قصة كأنه

نيول خيول ذارهن صياح

وفي أوراقي : نيرهون بصياح .

وعند ابن يحيى :

وراس يسقى بالدهن لكننه

معارف خيل ذارهن ...

والورك يا ورك مهرة عربية

تمايز عن متنها الجلال وطاح (٥٢)

وبطن لييب لب البريسم بطيته

وثلاث عكايا كلهن ملاح (٥٣)

وعينين يا عمي إذا لجلجت بهن

سها القلب عما في اليدين وطاح (٥٤)

والخشم سلة سيف بيد نادر

سله من بين القبائل ولاح (٥٥)

(٥٢) لم يروه منديل ، وهذه رواية الضويحي .
ويستقيم وزنه هكذا :

وورك كورك مهرة عربية

تمايز عن متنه جلال وطاح

وعند ابن يحيى :

ووركين وركي مهرة

... تمايز عنها

(٥٣) تفرد به الضويحي .

ويستقيم الوزن هكذا :

لب بريسم (بسكون باء لب وتخفيفها وسكون ميم بريسم) ... ثلاث

(بدون واو قبلها) مع تشديد نون كلهن .

وفي أوراقي : البريسم بطينه .

وعند ابن يحيى : والبطن كما طي الحرير بلبه ثلاث .

(٥٤) تفرد به ابن يحيى والضويحي .

وعند ابن يحيى : يا عم الى لجلج بها سها ما بين اليدين .

(٥٥) تفرد به ابن يحيى .

وما بعد هذا البيت وصله ابن يحيى بقول العبد .
وقال الضويحي : إن عم العبد أطرق قليلاً ثم قال :
وصفتها يا العبد بس كلمة

ان جبتها والا فراسك طاح (٥٦)

فقال العبد :

تشابه لكدري القطا املط القفا

انا من مثلي عليه شحاح (٥٧)

(٥٦) هذه رواية منديل ، وفي روايته الأخرى :

وصفتها يا عبد بس بكلمة

ان جبتها والا ان راسك طاح

وعند الضويحي :

كملتها يا عبد لولا كلمة

ان قلتها والا ترى راسك طاح

ويستقيم الوزن هكذا :

ووصفتها بالعبد لولا كلمة

فان قلتها والا فراسك طاح

بحذف همزة إلا ، وبتحريك الكاف من راسك .

وعند ابن يحيى : وصفتها . . لولا كلمة ان قلتها والا راسك .

(٥٧) هذه رواية منديل .

وعند الضويحي :

وفرخ كما فرخ القطا املط القفا

من بين فخذين علي شحاح

والشطر الأول في الروايتين مستقيم .

ويستقيم الثاني بواو قبل من ، وبتنوين نون فخذين ، وبتشديد ياء علي .

ومثل رواية الضويحي رواية ابن يحيى إلا أنه قال : هناك مثل فرخ القطا املط .

شاح على ولد الردي ما ينولها

والا انت ومثلك ما عليه شحاح (٥٨)

وقد يقول الشاعر قصيدة ويكون لها قصة واقعية أو قصة
يدعيها الشاعر أو يضيف إليها ثم تتحول بعده إلى أسطورة ، ويصاغ
حدث لا تدل عليه القصيدة بذاتها .

خذ المثال من هذه القصيدة لشاعر عجمي يذكر صحبته
للذنب فيقول :

تخاويت انا والذيب سرحان

دعيت به بامان الله وجاني

لقيته خوي يقضي الشان

ندبت به على المرقب شفاني

عشية رقينا رجم سحان

رفيع الدرج زين المباني

في لايحه تسعين فنان

وثمانين عبد ططماني

ولبنه زمرد هو ومرجان

وطينه زباد وزعفران

(٥٨) تفرد به منديل وابن يحيى .

ويستقيم الشطر الثاني هكذا :

وانت ومثلك ما عليه شحاح

وعند ابن يحيى : يشح بهن والله على ولد الردي والا انت والله ما عليك .

أنا اللي فرى كبدي مسيان
مع فرجة له يوم بان
عشيري إذا هب الهوى لان
كما لان عود الخيزران
عشيري مواعدني بحقران
أنا كيف أسوي لاجفاني ؟
عشيري لبس له ثوب سبهان
يجر الهوى جر السواني (٥٩)
قال أبو عبد الرحمن: هذا الخطاب للذنب على منهج قول فهيد السكران:

(٥٩) أورد الأبيات ابن ضويحي في الفنون الشعبية ص ٣٥ ، وقال : وقصتها مع
قصص بدون قصائد .
ثم صورها الشيخ ابن خميس كغيرها من المصادر لتكون مادة من كتابه من
القاتل ١٦٥/٤ - ١٦٦ ، وقال : وقصتها مع قصص بدون قصائد ، ولم يعز إلى
كتاب الضويحي ، والقارئ لا يعرف أي قصص بدون قصائد يعني .
أما الضويحي فيريد موضعاً آخر من كتابه ، حيث أورد ثلاثة أبيات من
القصيدة مع القصة ص ١٦٧ - ١٦٨ .
وانظر بعض المتشابه ص ١٣٢ ، والقصيدة في موضوعها محاكاة لقصيدة
الفرزدق التي مطلعها :
وأطلس عسال وما كان صاحباً

دعوت بناري موهناً فأتاني
وعادة شعراء العامة التخيل ، وادعاء الحوار مع الحيوانات والطيور كما تجد
نماذج عديدة من ذلك في كتاب الفنون الشعبية للضويحي ، وكما في حوار
صقر النصافي للذنب ، وكما في قول بعضهم :
يا ذيب لا تاكل نراعي والاكتاف
أنا خويك والعرب هملوني
انظر ديوان الرشيد ص ٢١٢-٢١٣ ، والفنون الشعبية ص ٢٠٢-٢٠٣ ،
والشعر النبطي لطلال السعيد ص ٩٣ - ٩٤ .

يا من لقلب هيضه من شكا له

(٦٠) نيب عوى في مستقلات الاقذال

نيب عوى واصبحت اجر العواله

(٦١) انا بجال وابغث الجلد في جال

انا على رجم طويل قبالة

(٦٢) يقنب وانا انثر ساخن الدمع همال

يا نيب بالله ما تسوي جماله

(٦٣) بالله تعين وين منزل من زال

الصاحب اللي ولعن في دلالة

(٦٤) وقت مضى لي يعتني لي بالاوصال

ثم حلف باللي مرس جباله

(٦٥) ما شاف من دون الشفا زایل زال

فالشاعر العجمي يعوي كما يعوي الذئب على المرقب الذي يتنفس

على قننه العشاق ، فهما خويان في العواء هذا الجوعه ، وهذا لولوعه .

(٦٠) في رواية السدحان : نيب عوى له في طويلات .

قال أبو عبد الرحمن : وتخريج هذه القصيدة بالجزء السابع من كتابي ديوان

الشعر العامي . . في المجموع الذي به شعر فهيد السكران .

(٦١) في اللباب : وانا اصبحت اجر .

وهو منكسر .

(٦٢) تفرد به ابن يحيى .

(٦٣) عند ابن سدحان : بالله ما عينت .

(٦٤) تفرد به ابن يحيى .

(٦٥) عند ابن سدحان : وانه حلف باللي يصرم حباله ما شفت .

قال أبو عبد الرحمن : أبقى الضويحي القصيدة كما هي بدون تصرف ، ولكنه حاك حولها قصة لاتدل عليها ، أروى ماسمعه من الحكواتية فقال : « بَيَّتَ رجلٌ سرقةً بَيَّتَ من بيوت العرب القاطنين في البر ، ولما مشى في الطريق ونزل ما شعر إلا والنّيب عنده ، فحاول إبعاده فلم يستطع وظل عنده .

• ومن عادة النّيب الغدر •

ولما رأى الأعرابي أن النّيب معه لا محالة أعطاه باقي عشائه فأكله النّيب ، ولما رحل رحل معه النّيب ، وحينما قرب من العرب الذين صمم الأعرابي على سرقة إبلهم أناخ راحلته حتى إذا جن الليل جاء ليجد منهم غفلة فلم يجد ونحّته كلاب الحي فرجع إلى راحلته قد أيس منهم •

وكان النّيب عند الراحلة ، فلما رأى صاحبه قد عاد مفلساً انطلق (والرجل يرى هذا المنظر) وما هي إلا ساعة حتى رأى الرجل الإبل قد أقبلت وعددها عشرون ، فوقفت عنده ، وبحث عن جاء بها فوجده النّيب قد عمد إلى بو (وهو جلد ناقة صغيرة يحشى ثم يوضع أمام أمه فتظل سالية بذلك تظن أنه ولدها) ولما حمل النّيب البو وهو خفيف قامت النوق وراءه وتبعته •

فسار الرجل بالإبل ومعه النّيب ، ولما قرب من القرية عقر له ناقة وسلخها ثم ترك النّيب يأكل منها ، ولما دخل البلد نادى فيه أن له صاحباً في السفر وتهدد من يقتله ، وضمن لأهل القرية أنه

لا يعتدي عليهم ، وكان فيهم رجل أبى إلا قتله فقتله ، فقام الرجل
وقتل قاتل الذئب » (٦٦) .

وقبل الضويحي الأستاذ عبدالكريم الجهمان أورد القصة بسياق
مقارب بصياغته الأدبية المعروفة ، ولكن القصيدة وردت محورة
ليكون فيها بعض الدلالة على القصة الأسطورية .

وهذا هو نص الأبيات عند أبي سهيل ابن جهيمان :

تخاويننا أنا والذئب سرحان
ودعيتّه يوم انا شفتّه وجاني
وعطيته من طعامي بعض ما زان
واستانس الذئب وكل زادي بأمان
خوي في الخلا من خير الاخوان
الى تعالى على المرقب شفاني
أسري ويسري معي ما هوب كسلان
واصبح ويصبح قريب من مكاني
وعديت أبي صيدتي من جيش عربان
وهو عدا صوبهم أبراه ويبراني
ورجعت خايب وهو قد عاد ربحان
يا حي يوم لقيته والتّقاني (٦٧)

قال أبو عبدالرحمن : القصيدة محاكاة لقصيدة الفرزدق الفصيحة ،
والقصة أسطورية .

(٦٦) الفنون الشعبية ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٦٧) أساطير شعبية ٣/٣٦ - ٣٧ .

وتدل الأسطورة على أن صانعها نجدي بالكلمات التي فيها من أمثال وأسجاع وأشعار بلهجة نجدية مثل سبحونة الشاة المتجنسة ورد فيها :

تفوا على لحيتي
ما طعت شور مريتي
يديني مع مكيتي (٦٨)

وقد يكون الدافع لصنع الأسطورة شهوة إطلاق المثل واستملاح

العبارة التي اختيرت له مثل : على هامن يا فرعون ؟ ! (٦٩) .

قال أبو عبد الرحمن : والكتاب الوحيد في السباحين كتاب الأستاذ

عبد الكريم الجهمان ، وليس كل كتاب أبي سهيل أساطير ، بل فيه

قصص واقعية كثيرة (٧٠) .

ومن القصص ما يرتفع به عن الأسطورة والسبحونة إلى الخبر

لأنه مأثور عن أناس معروفين إلا أنه خبر يحتمل الصدق والكذب ، ويحتمل

أن يكون مصنوعاً في حكم السبحونة صنعة بطل الحدث أو غيره إلا

أنه يظل خبراً تاريخياً لأنه عن معلوم وليس فيه بُعدٌ خيالي .

مثال ذلك قصة رميزان مع الشريف .

قال له الشريف في أحد الأعوام : ما هو أحسن الطعام يا رميزان ؟ .

(٦٨) أساطير شعبية ٤٦/٣ ، وانظر ص ٤٨ و ٤٩ .

(٦٩) أساطير شعبية ٣ / ٥١ ، ومثله اسكت وإلا انسدت ٢٦٨/٢ - ٢٦٩ على أن

الأمر في النهاية رؤيا ، والرؤيا قد تدعى فتكون مكنوبة ، ويحتمل أن يكون

في حكم تلك عبارة جال الركية ولا جال ابن غنام ٣٦٤/٢ - ٣٦٥ .

(٧٠) انظر على سبيل المثال أبو عباة وشريكه في البئر ٣٥٠/٣ - ٣٥٢ وقصة

انوه زباد ٣٠٧/٢ - ٣٠٨ .

فقال رميزان : قرص البر يا سيدي !! .

وقال له في العام الآخر : بأيش يا رميزان ؟ .

فقال : بالسّمن يا سيدي (٧١) .

فإذا عدم النقل الموثق بقيت مرجحات تقربها من الواقع أو

تبعدها .

ويمنع من صحتها أن الشريف حاكم ورميزان زعيم ، فلو

صحت لكانا فارغين من الأعباء لغير خطير .

ولم تجر العادة بتقطيع السؤال والجواب خلال عامين لتكون

القصة دالة على ذكاء .

ومن القصص والأشعار التي تحتل الصحة أو يحتل ترجح

صحتها قصة المهادي وقصيدته (٧٢) ، فالقصة إلى الصحة أقرب

وإن تعددت صيغها ، وأصل القصة مذكور في القصيدة .

وأما القصيدة فلا يتطرق الشك إلى ثبوتها .

وقد ضرب المثل بصبر المهادي كما في قول اللّميع :

صبرنا ما يصبره كوده المهادي

شاي فخملة صديقه له سنيّنا

يوم شاف الجار بالنسوان عادي

حذر الخفّرات من علم يبينّا

(٧١) أساطير شعبية ١٨٤/٣ - ١٨٦ .

(٧٢) أساطير شعبية ٢٠٣/٣ - ٢١٢ .

ومثل ذلك قصة عفارم عفارم عفارم فيتساوى الاحتمالان في ثبوتها (٧٣) .

والراوية والحكواتي النجديان ينقلان واقع الشعر وأحداثه بتحويل لفظي يجعله يطابق اللهجة العامية النجدية .

ويصدق هذا على أي شعر هلالي بلهجة أهل نجد عرف ثبوته تاريخياً فيكون نقلاً واقعياً للواقع التاريخي ، أو عرف تدوينه في الأسطورة فيكون نقلاً واقعياً للأسطورة .

ويصدق هذا على الشعر الهلالي العامي في تونس وما حولها ، لأن صناع الأحداث في القرن الخامس عرب فصحاء أقحاح ، وإنما نقل الأحفاد سيرتهم في عصر ابن خلدون وقبيله بلهجة عامية .
والراوي العامي في نجد حكواتي يحول لغة غيره إلى لهجته هو .

ومثل الراوي والحكواتي في نجد الراوي والحكواتي في الأقطار المجاورة . قال شفيق الكمالي عن عموم العوام : « ويعرفون قصة ليلى والمجنون ، وقد روى لي أحدهم أبياتاً للمجنون قيس بن الملوح يخاطب بها ورداً :

أسايلك بالنبي يا زوج ليلى
بجنح الليل كم قبلت فاهـا

(٧٣) أساطير شعبية ١/١٢٤ - ١٢٩ رواها عن الشيخ محمد الهويش .
قال أبو عبد الرحمن : رويتها أنا والشيخ الهويش عن الوالد عمر رحمه الله .

وهذا البيت واضح أنه تحريف لبيت المجنون :
بربك هل ضمنت إليك ليلي

بجنج الليل أو قبلت فاهما

وقد رويت لي قصة عن عاشق آخر اسمه رميم وقالوا إن سبب تسميته بهذا الاسم راجع إلى أنه كان يضع في عنقه حبلاً رمة ، وهذه الشخصية هي شخصية ذي الرمة الشاعر المعروف ، ولكن تقادم الزمن أدخل عليها هذا التحريف وهذه الزيادات على ما أعتقد» (٧٤) .

قال أبو عبد الرحمن : تحويل السيرة التاريخية إلى أسطورة شعبية ، وتحويل أدبها الفصيح إلى لغة سواد الأمة وهي العامية يقرب العامي من موروث الأدب الفصيح خطوة .

فسيرة عنتر والمقداد وبني هلال متأثر شعبي أشرفت عليه العامة بالسماع من تلاوة المنشد .

وأضافوا هم سيراً شعبية ، فعندهم : وش يدري الثور إني عنتر ، والله يحلل الحجاج عند ولده .

ولا يعرف تاريخياً أن للحجاج ابناً تأمر فكان ظالماً كأيبه ، وربما وجدت بادرة تاريخية للابن فعظمت بجانب أفعال أبيه ولو مبالغة . ونكر أبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني» ، وابن قتيبة في «المعارف» ، وابن خلكان في «الوفيات» أن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم ولاحقيقة لهم ، ولا وجود لهم في الدنيا ، وهم مجنون ليلي ، وابن القرية ، وابن أبي العقب .

(٧٤) الشعر عند البدو ص ٤٨ ، وفي كتابي عن فصيح العامية ذكرت شيئاً من النقل

التاريخي المحرف عند العوام .

قال أبو عبد الرحمن : هذه مجازفة ، والمعقول أن أخبارهم دخلتها الأسطورة والمبالغة .

وقبل عوام نجد نقلت روايات كانت شفهية من شعر المجنون ، وهي في الواقع من التحوير الذي يراد منه إشراك العامة في التذوق ، وإليك هذه النماذج :

أبوس تراب رجلك يا لويلي
ولولا ذاك لم أدع المصابا
وما بوسي التراب لحب أرض
ولكن حباً من وطئ الترابا (٧٥)

وفي رواية أخرى :

أبوس تراب أقدام لليلى
ولولا ذاك لم أدعى مصابا
وما بوسي التراب لحب أرض
ولكن حب من وطئ الترابا
جننت بها وقد أصبحت فيها
محباً أستطيب بها العذابا
ولازمت القفار بكل أرض
وعيشي بالوحوش نما وطابا (٧٦)

فهذا تحوير لقوله الصحيح :

أمر على الديار ديار ليلي
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

(٧٥) بسط سامع المسامر ص ٢٢ .
(٧٦) المصدر السابق ص ٩٠ .

وما حب الديار أهاج وجدي

ولكن حب من سكن الديارا

وإذا هونوا من شأن شخص قالوا : لو أنك عمي قماري .

فهم عرفوا قماري من أمراء مصر ، وهو قماري الحموي (٧٧) .

إن الأحداث الهلالية وآدابها وأخبار قيس وليلى وبقية مآثور الأجيال

كل ذلك يتحول بالنقل إلى نجد من التاريخ أو الأسطورة فيحولها

الحكواتي النجدي من تاريخ إلى أسطورة ، أو من أسطورة مغربية

إلى أسطورة نجدية .

وهكذا شأن الرواية الشفوية إذا تحولت من بلد إلى بلد كالنسخة

الخطية من الكتاب إذا توالى على نسخها من نسخة إلى نسخة نساخ

جهال ، فإن كل نسخة تبعد عن أختها خطوات حتى تكون آخر

نسخة كتاباً آخر .

وهكذا أيضاً يكون الشعر النجدي ذاته إذا تجاوز الجزيرة ، فإن

الرواة يتلاعبون به ويحولون واقعه إلى أسطورة .

خذ هذا النموذج : تقول قمرا الدعجانية المرهوضة :

يا قلب يا لي من هوى زيد مطروق

طرق الحديد ملين بالضوياً

أمسيت قلبي في وأصبحت مسروق

وثورت في قلبي عميل وعيا

(٧٧) انظر عنه النجوم الزاهرة ٢٢٢/١٠ ، حوادث سنة ٧٤٨ هـ .

يفدى عشيري كل برقاً على روق

واللي بعيد الدار واللي هنيئا

ويفداه من يركب على الخيل بعروق

مع خيل ابن هندي وخيل المحيا

ويفداه من يمشي على الأرض من فوق

واللي يشوفون القمر والثريا

ويفداه حضر لجوا العصر بالسوق

هذا كلامي واسمعوا ما عليا (٧٨)

قال أبو عبد الرحمن : هذا نوع من التوجد كقول وضحا

العبد لله :

اهلي مع اهله كلهم فدوة له

يفدونه الفرسان واهل المناحي (٧٩)

وقالت غزيل التميمية :

يفدا عشيري عرب مدهوس

وعويشة والجداعين

(٧٨) من البادية ٨٧/٧ ، ثم أخذها الأستاذ الرداس بمقدمتها ونشرها بكتابه

شاعرات من البادية ٤٦/١ - ٤٧ ولم يحل إلى المصدر ، ونشرت في نواذر

الأشعار ص ١١١ .

(٧٩) شاعرات من البادية ٥٨/١ .

غليم يكسب الناموس

ويكثر الهيل بالصين (٨٠)

وقال شليويح العطاي :

يفدا عشيري من عظامه تشله

من البدو واللي يلبسون الحداري

ومن عرض ما يفداه غوج نثله

وقطعاننا ومثنديات المزاراي

وابن رشيد الشمري فدوة له

مودع فراقين البدايد وقاري

الشيخ يدمح له ثمانين زلة

واللاش ماني عن زراياه داري

ولما سمع الأمير محمد العبدالله الرشيد بهذه القصيدة قال :

يا طارش خبر شليويح قل له

قل له يوجهي عن خطا كل زاري

لا عاد قرم وكل رس يدلّه

وبالقيظ يتعب حافيات السماري

والله ما لومه لو فداني بخله

يا كود جار له من الود جاري

عمهوجة قلب هواوي تسله

سل السلوك المبهمة بالاباري

إلا أن الرواية الأردنية أفسدت شعر قمرء وحولته إلى أسطورة ، وذلك برواية شخص يقال له أبو منصور محمد بن منصور ، وقد نشر روايته عيسى الجراجرة ، وهذا موجزها : في عصر يوم من أيام القرن المنصرم نادى منادي الشيخ ابن عيد في أطراف البادية وصحراء الجزيرة العربية الشمالية بأنه لا يجوز لأحد أن يحب أحداً أكثر من حب شيخ القبيلة ابن عيد وإلا نال جزاءه ؟ ! .

وبمرور الأيام كاد الناس ينسون النداء وبلغ الشيخ أن زيدا من الناس يحب حبيبته عليا حباً فوق حب الأمير ؟ ! . وأحضرا إلى الشيخ فأبيا أن ينزعا عن حبهما ، وأبيا أن تكون محبتهم دون حبهما للشيخ ؟ ! .

وكان زيد قد تجاوز الخمسين إلا أن الشيخ ابن عيد أعجب بلامحه الرجولية وبجمال الفتاة وتمثل فيها بشعر لشاعر عامي اسمه مفلح المبيضين ، وهو من شعراء جنوب الأردن وشعر آخر له أيضاً مطلعته :

ضامر تقول بكرة حرة

وطولها كذا عود ريحان ؟ ! .

قال أبو عبد الرحمن : وبقيّة الأبيات على الحاء ؟ ! .

وحبسهما الشيخ وهددهما لعلهما يتراجعا عن الحب ؟ ! .
إلا أنهما لم يتراجعا وامتنعا عن الأكل وبعد ثلاثة أيام أطلت
على الشيخ من أعلى القصر تقول :

يا زين قلبي من هوى زيد مطروق

طرق الحديد ملوياته الضوياً

أفدي عشيري بكل بيضا ضنى روق

وأفدي غريب الدار هلي هفياً

وأفديه بمن ركب السلايل والعروق

من خيل أبو هندي وخيل المحيا

وأفديه بنجم معتلي بالسما فوق

وأفديه بمن شاف القمر والنثريا

وأفديه بحضران تمشي مع السوق

وابن عيد اللي على الحكم عيا

أواه على نفسي حاربت كل ما أذوق

على عشير كان لي ما تهيا

ثم ألقت بنفسها وماتت في الحال ، وصرخ حبيبها زيد ومات ،

ولحق الشيخ ابن عيد مرض من جراء ذلك بعد مدة قصيرة .

قال لافض فوه وأعيذه بالله من كل حاسد : « الرواة يذكرون

فيما يذكرون أن المحبين والشيخ قد جرى دفنهم في ساحة القصر ،

ويرى الزائر للمكان قبر الشيخ وهو قبر كبير يظهر الاهتمام في

بنائه يتوسط قبرين صغيرين ، يبدو عليهما الإهمال هما المحبان ،
وهكذا فرق الشيخ بين الحبيبين حياً وميتاً » (٨١) .

قال أبو عبد الرحمن : كسر الراوي الشعر ، وجعل الحبيبة عليا
وهي قمرا ، وجعل زيدا اسماً حقيقياً وهو رمز ، وسحب الشاعرة
العتيبية من سرّة نجد إلى كبد الشمال ، وجعل ابن رشيد ابن عيد ،
وأما الشاعرين في الحال وأتبعهما بالأمير بعد مدة ، وكأنهم
يعلمون بموته فجعلوا مكانه بين قبري العاشقين ليفصل بينهما .

وجعل الشيخ يغار من حب الرجال للنساء أكثر من حبهم له ،
فسبحان خلاق العقول ! .

ولو كان الخيال فعالاً هاهنا لضحك النجدي بملء شذقيه وطرب
لعبقرية الكذب ، ولكنه هاهنا يتقزز من إفساد الشعر وسذاجة الخيال .
والغبطة للمجلة العراقية الفصلية المتخصصة ؟ !! .

وعن تحوير الشعر العامي النجدي إذا شرق أو غرب عند ذوي
لهجات أخرى أوردت في كتابي عن الشعر العامي نماذج من تغيير
للنص ، ومن نسبة الشعر إلى غير قائله كقصيدة القاضي في القهوة ،
والهجينية المنسوبة للملك عبدالعزيز التي مطلعها :

وردوهن هيت واخطاه الدليلة

والموارد غير هيت مقضبات

(٨١) مجلة التراث الشعبي في عدد لم يذكر رقمه ولا تاريخه صدر عام ١٤٠٤هـ
على جميع غلافه صورة صدام ص ٣٠٥ - ٣١٠ ، ويميز هذا العدد أنه
الحق به ملف خاص عن الحرف والصناعات الشعبية في العراق .

وقصيدة جحيش السرحاني التي مطلعها :
قال الذي يقرأ بلياً مكاتيب

يا للي تقرون العمى من عناكم

وقول غانم اللميع :

ساهر بالليل ما جاني نوادي

من ظلايم شيخ جراهن علينا (٨٢)

ومثل ذلك قصيدة صالح السكيني التي مطلعها :
البارحة ما امرحت والدمع سفاك

واعزتا لك يالعيون السهارى

وقد نسبها المنشد الأردني إلى العبد الخيري ، وحرف لهجتها

وأخل بوزنها ، وقد فصلت ذلك في تحقيقي لشعر السكيني .

ومثل ذلك تركيبه أسطورة على قصيدة أبودباس ، وجعله

شيخ قبيلة ، وجعله من عنيزة ! .

وهناك شاعرة من البادية مجهولة رثت أهلها ووجهت

الخطاب لمملوك أهلها فقالت :

هنيكم يا هل القلوب المريحة

مالوم عيني لو جرى دمعها دم

ابكي هلي اهل الدلال المليحة

اخواني اللي لا بغوا لازم تم

(٨٢) انظر كتابي ديوان الشعر العامي ٢٢/٤ - ٢٣ ، وانظر دراسات في الفولكلور

الأردني ص ١٠٩ عن تحوير وإفساد قول ابن عبدالكريم :

خمسة عشر فنجال لحنيف صبيت .

يا العبد هذي من حكايا الفضيحة

خل السهر لي وانت يا العبد قم نم

من اول نامر تجي بالذبيحة

واليوم يا عصر الندم صرت لي عم (٨٣)

إلا أن الأسطورة حورتها وأضافت إليها نظماً عادياً ميثاً ،

وموجز الأسطورة أن العبد اغتصب مولاته واتخذها زوجة بعد أن

قتل أباهما وزوجها وأبناءها فقالت :

يا طول ماني عمة لك صبيحة

واليوم يا عبد الخطا صرت لي عم

(٨٣) من البادية ٩٩/٧ ، وكون الشعر على قافيتين وعلى لحن المسحوب دليل على أن الشاعرة قريبة العهد ، لأن الشعر أصبح على قافيتين منذ محسن الهزاني . قال أبو عبد الرحمن : ثم وجدتها في لباب الأفكار ١٢٥/١ منسوبة إلى عبثا البجادي من أهل الحايط ، ونصها :

يا ونتي لو هي بضلع تبيحه

لو هي بقصر يعلم الله تهدم

والا فهو جرح دوى فيه ريحه

والا قريص زج فيه الحنش سم

هنيكم يا اهل العقول المريحة

ما لوم عيني لو جرى دمعا دم

ابكي هلي هل العلوم المليحة

هل السيوف اللي لعافيزهن دم

يا فريج هذي من حكايا الفضيحة

خل السهر لي وانت يا العبد قم نم

من اول يا فريج عمك مليحة

واليوم يا عبد الخطا صرت لي عم

يوم انت بالمجزر تجر الذبيحة

ويديك من جر الذبايح بهن دم

ومن أول في السوق تشري الذبيحة
 لاسيادك اللي كل ما دبروا تم
 لأهل العطايا والدلول المليحة
 وأهل السيوف اللي لعابينها دم
 ماتوا بغدر العبد لاقى فضيحة
 وراحوا لرب يكشف الهم والغم
 ارجيه يرحم طايح في مطيحه
 ويشفي غليلي في أسود الخال والعم
 ياخوي ذخري في الليالي الشحيحة
 هو بعد أبوي الأب والأخ والام (٨٤)
 وقال العبد قبل أن يقتل :
 حبلت لغراب البين من عام الاول
 وعيا غراب البين ياطا الكفايف (٨٥)
 وبغيت أصيده بالتفق وانتبه لي
 وطار بوبرها في شويره لفاف

(٨٤) أساطير شعبية ٣١٥/٢ .

(٨٥) في رواية : حبلت لغراب الجول . والكفايف حباله تسمى طبله وضاروباً .

قال ابن دويرج في مناسبة مشابهة :

المس غراب الجول واثره هديفة

طار على أكل ثناده نيات

قال الأستاذ القوي في كتابه تراث الأجداد ٢٨٩/٢ - ٢٩٢ : جاء لهذه الأداة

ذكر في الشعر الشعبي مثل قول ابن جعثن وهو هنا يكتني عن الدنيا :

أشوف ما احد من غناها سالم

كل بوجهه مفقع ظاروبها

والظاروب يتكون من الأدوات التالية :

١ - عصا من الأثل القوي بطول المتر تقريباً .

٢ - عصا أخرى بطول ثمانين سنتيمتراً تقريباً ، وتكون ذات رأس مدبب

وهذه يسمونها المزوار .

٣ - الطبله .

وعرفت يا عمار انك تجيني
وأنا لاجي ما بين الاضلاع خايف
واليوم أنا حصلت ما كنت أريده
ودنياي بعده ما عليها حسايف

- ٤ - قطعة من القماش لتغطية الطبلية بما يناسب حجمها .
- ٥ - فخ كبير يعد من كرب النخل أو من عنوقها بحيث يكون الاختيار قريباً من شكل نصف الدائرة .
- ٦ - حبل من المطاط « خنزير » يكون بطول يتناسب وحجم الفخ .
- ٧ - خرزة كبيرة ، ويأخذونها من عظم ساق الضأن أو الماعز لا فرق المهم اختيار العظم ذي الشكل الأسطواني كي يؤدي الغرض المطلوب .
- ٨ - حبل من القماش المبروم « مقطية » بطول يتناسب وحجم الطاروب ، وهذا الحبل لا بد وأن يختار بعناية لأنه يتوقف عليه جودة هذه الأداة ، إذ إن هذا الحبل هو ما يمسك بالطائر ويعيقه ، لأنه يوضع على هيئة تكاك . والغرض من الطاروب هذا لصيد الطيور الكبيرة كالكروان والدرجلان والحمام وما هو بحجم هذه الطيور ، وكلها تصاد أثناء النهار ما عدا الكروان فيتم صيده أثناء الليل .

وطريقة الصيد بالطاروب :

- أ - يقوم الصياد بدفن هذه الأداة .
- ب - يثبت على جانبيه عودين الواحد بطول عشرة سنتيمترات تقريباً ، وكل من هذين العودين يثبت بأعلاه دودة صفراء تسمى بالسرو بتشديد السين ، ووجدتها في المعجم تسمى بالدحاس وجمعها دحاييس ، والهدف منها لإغراء الطائر وشد انتباهه للاقتراب من الطاروب .
- ج - يقوم الصياد بحماية الطاروب ببعض من العيدان والحجارة ، أو بهما معاً من جميع جوانبه ، وذلك بطريقة فنية تسمى « خراز » بحيث لا يدع للطائر إلا طريقاً واحداً فقط للوصول إلى الطاروب كي يضمن صيده .
- وقبل أن يصل الطائر إلى تناول هذه الوجبة التي أعدت له يكون قد وضع نفسه في مكن الخطة مما يجعل الطاروب يطبق عليه ، وكلما حاول الفكاك فإنه يزيد الخناق على نفسه حتى يأتي صاحبه لينعم بصيده وهو في غاية الفرح ، ومن ثم يعد الطاروب لصيد آخر وهكذا .

يا طول ما وسدت راسي نراعه

ويا طول ما مزيت نيك الشفايف

وافعل بعبدك بعد ذا ما تورى

الايام هذا طبعها في الطوايف

يوم على الاضداد نار لظية

ويوم على الاخوان هم والعرايف (٨٦)

قال أبو سهيل عن الفتاة وأخيها وقبيلتها بعد قتل العبد :

« وعاش الجميع في سبات ونبات ، ورزقوا الكثير من البنين والبنات ،

وحملت وكملت ، وفي أصيبع الصغير دملت !! » (٨٧) .

قال أبو عبد الرحمن : ويقال : تمت ، وانفتحت ثم انصمت .

وليس ضعف المستوى الشعري قاعدة ، ولكنه ظاهرة أغلبية فقد

يكون الشعر جيداً كهذه المقطوعة :

احذرك عن عود كبير قد انحنى

يموت وعيلاته عليك صغار

ولا تاخذي يا جهم شحيح بماله

يمرك عيد وما عليك خدار

ولا تاخذي يا جهم غرير من الصبا

يزيدك عند القاعدات حقار

(٨٦) أساطير شعبية ٣١٧/٢ .

(٨٧) المصدر السابق ص ٣١٨ .

ومثل ذلك من جهة الضعف الفني الشعر الوارد في ٣٥٦/٢ ضمن سالفه شيخ

القبيلة مع زوجته الخاتنة ، و ٣٨٨/٢ ضمن سالفه دويد أم الذبان ، و ٢٨٧/٤

في سبحونة بنت التاجر وابن السلطان .

ولا تاخذي يا جهم الا مجرب

رمحه نهار الكاينات كسار (٨٨)

بيد أن عناصر القصة إما من خيال لا تحتمله العادة المشاهدة
ككون الفتى جلال صاحب الشعر عشق من وصف موجز قبل الرؤية .
وإما على وفق أسلوب قصصي كثر استعماله حتى كان مبتذلاً ،
وهو أنه تغرب إلى مضارب قومها واشتغل عاملاً سائس خيل فأغار
القوم على أهلها فهزمت قبيلته فركب الفرس وجندل الواحد تلو
الآخر حتى كان أولى الناس بعشيقته جهم . . . إلخ .
وفي كتابي عن العجمان أشرت إلى كثير من التحيل الذي دخل
شعر راكان (٨٩) .

قال أبو عبد الرحمن : راجت الصفحات الشعبية في جرائدنا
المحلية ، وقد استهلكوا فيها كتب الشيخ منديل وغيره وبرامج البادية
في الرياض والكويت والإمارات وبعض كتبي ، فاضطر بعض شباب
الصفحات الشعبية إلى وصل الرواية بالضرب تحت المقفزية .
وبعضهم يصنع بيتاً يلحقه بالقصيدة ليغطي أخذه عن غيره ،
وليدعي رواية جديدة .

ومن الضرب تحت المقفزية ما هو لغرض شريف سببه الورع

(٨٨) أساطير شعبية ٢٢٣/١ .

(٨٩) وانظر أيضاً كتابي ديوان الشعر العامي ٢٢/٥ - ٢٥ .

ومتانة الدين ، وعلى هذا النحو شيخنا أبو محمد منديل الفهيد كان يعدل البيت أو يحذفه أو يضيف إليه .

عانيت ذلك لما كان يملئ علي ، وذلك تورعاً من غزل مكشوف ، أو إساءة إلى قوم أو إثارة لنعرة .
ومن إضافاته حفظه الله :

قلته على المزح والتوصيف

تفضاة بال عن الضيق

على النقا مبسمي ما شيف

ما فتشوه العشاشيق

أوردهما بدل قول الشاعرة :

لو يذبحونن هلي بالسيف

والله لا عطيه من ريق

وقالت شاعرة :

يا حلو رص الروح للروح من روح

متوالفين كلهم لا بلينا

مالي بتفطين المحبين مصلوح

بالذكر والا عن كذا مادرينا

فأضاف الشيخ منديل :

لو كان باب العشق للناس مفتوح

ندرى شرفنا مع رجال علينا

وكان أبو محمد منديل يذيل القصص بأبيات من شعره تختصر العبرة من القصة .

وقد انطلى الأمر على بعض الباحثين فظن أن القصائد من الشعر القديم المأثور .

فلما نشر الشيخ منديل شعره أفصح عن اسمه فعلم الناس أن الشعر شعره .

ولهذا سمعت الشيخ حمد الجاسر يتألم مراراً من التصرف في الرواية ، ويعلم غسل يده من الاعتماد على كثير من الرواية .
قال أبو عبد الرحمن : ولست أرى ذلك ، لأن الرواية باقية ، والرواية تصحح الرواية .

وأما الشيخ فعذره رهاقة حسه الديني والاجتماعي .
حدثني إبراهيم بن يوسف أنه في مجلس ضم سماحة شيخنا عبد الله ابن حميد - رحمه الله - ، والشيخ العبودي ، والشيخ منديلاً ، وأن شيخنا العبودي سأل سماحة الشيخ ابن حميد عن حكم التغيير في الشعر ؟ ! .
فأفتى بالجواز مع الفضيلة إذا كان ذلك لمصلحة تخص الشاعر أو تعم مجتمعه .

ولا يزال شيخنا منديل متمسكاً بهذه الفتوى مذكراً بها مستشهداً الحضور عليها .

ومن الضرب تحت المقفزية ما يكون بتحويل الشعر وتحريفه لتأليف قصة كهذا البيت :

القلب مصموم وبالكف قاطموم

ما هي حكايا رقصتك يا بو هادي
جعله المارك - رحمه الله - (٩٠) لعبدالله بن رشيد ، وذكر
قصة مخترعة لأبوهادي يتظاهر بالرقص وهو يريد الاغتيال .
وتابعه الدكتور السلطان لاسيما أن المناخ صالح لقبول القصة ، لأن
محاولة الاغتيال جرت لعبدالله كما ذكر ذلك ضاري في نبذته ، ولأن
عبدالله قال :

يوم أنهم عجزوا عني بالغيلة

شبووا لنار الحرب بالقيظ صوال (٩١)

قال أبو عبد الرحمن : قصة أبوهادي أسطورة مختلفة لاعتبارين :

أولهما : أن أهل نجد لا يعرفون هذا النوع من الغدر .
وحيلة الرجل رقصات شعبية ، وليست مجالس الكبراء يومها
تعمر بمثل ذلك ، وليسوا يأنسون لرقص الرجال إلا ما كان إيقاعاً في
فن العرضة الحماسية .

(٩٠) المارك - رحمه الله - من أعظم أبناء عصره نبلاً وشهامة ، وله من أصدقائه
مواقف مشرفة .

وتصحيح لرواية ما لا أثر له في مكانة الأستاذ رحمه الله في قلبي ، وفي
قلوب كثير غيري .

(٩١) الأحوال السياسية في القصيم ص ١٣١ ، وأصل القصة أسطورة في شيم
العرب ١٧٤/١ - ١٨٢ لفهد المارك رحمه الله ، ونيل بها حمد الجاسر على
نبذة ضاري بن فهد ص ٩٨ - ٩٩ ، وأوردها الدكتور العثيمين في كتابه
نشأة إمارة آل رشيد ص ٧٠ ، ٧٧ ، وبينت اختلاقها في السفر الثاني من
كتابي ديوان الشعر العامي ٢٢٥/٢ - ٢٢٨ ، وأوردها الدكتور العثيمين في
الطبعة الثانية من كتابه عن آل رشيد ص ٢٤٥ ولم يتببه إلى زيفها .

وقصة أبو هادي المنتحلة مغامرة فدائي ، لأنه إذا قتل ابن رشيد في مجلسه وهو يتظاهر بالرقص فسيقول لا محالة .
وأهل نجد لا يعرفون هذا النوع من الفداء ، وإنما يصل إلى غريمه علناً ويتماسكان حتى تكون العقبي لأحدهما .
وثانيهما : أن القصيدة لعبيد العلي الرشيد ، وليست لعبدالله ، وإنما حرفت تحريفاً يجعلها لعبدالله ويجعلها تساند القصيدة المزعومة ، وهو تحريف يخالف المصادر كالتحفة الرشيدية ، ويخالف الرواية الشفهية .
وإليك بيان ذلك من جهتين :

أ - عند المارك :

القلب مصموع وبالكف قاطوع

ما هي حكايا رقصتك يا بو هادي

والصواب :

وزانت من الباري على السيف بسنوع

ما هو قصيد ورحته يا ابن هادي

وفي رواية أبو بطين بكتابه من عيون الشعر الشعبي :

ما هو قصيد ودهجة يا ابن هادي

قال أبو عبد الرحمن : يعني شيخ قحطان محمد بن هادي ، وله

به علاقة كما في قوله من قصيدة أخرى يخاطب أحد الأتراك :

يا بيه انا لكروش ما اعطي ولا ابيع

قبلك طلبها فيصل وابن هادي

ب - عند المارك :

اخو عبيد الى هبا كل مسبوع

اسهر الى نامت عيون السراد

وهذا التحريف من أجل جعلها من شعر عبدالله .
والصواب :

انا عبيد الى هبا كل مسبوع (٩٢)

قال أبو عبد الرحمن : وأختم هذا المدخل بمأثور من الأدب

العامي والقصص الشعبي يورد على أنه تاريخ واقعي وعندي أنه
من الوضع والتحليل .

وعن تحليل الشعر وانتحاله كتبت كليمه بجريدة الجزيرة
أدرجتها تحت عنوان ضرب تحت المقفزية ، لأنه ثمة تماثل بين
الكنب في الرواية والضرب تحت المقفزية .

والقصة أننا في الصغر وأيام أعباء القرية نتعامل بعملة نحاسية
تعرف بالبياز يظهر أنها مسكوكة في عمان ، لأنه ممهور عليها :
ضرب في مسقط .

وأذكر أن أبناء القرية من شروق الشمس إلى غروبها يهبون
زرافات ووحيداناً يعاونون الصديق والقريب ببناء بيته أو حفر قليب
أو نزعها من نتن وشبهه .

ولا يأخذون كراء سوى الممالحة في وجبة بعد العصر أو وجبتين .

(٩٢) نشر هذا البحث عن للضرب تحت المقفزية بجريدة الجزيرة عدد ٢٥١٢
في ١٦/١/١٤١١ هـ .

أما الصبيان فيشاركون في لحاء الخوص من العسبان لتسقف بها
 البيوت وتكون أجرتهم بيزات تبلغ إلى ربع وثمان .
 وكلها من عملة : ضرب في مسقط !! .
 وربما كان نقدنا من نوى التمر نشترى به من بعض العجائز
 بيضاً مسلوقاً في قهوة البن مصفراً بتولها .
 وللنوى قيمة عندهن يرضحنه لمنائحهن من البقر .
 وبعض الأذكىء من أهل القرى يغسل النوى لفائدتين :
 أولاهما : الاستفادة من الغسيل يضاف إلى « نفيعة » البقر والغنم .
 وأخرهما : أنه يزل ولا يلتصق ببعضه ، فيكون الكيل أقل .
 وبعضهم يشتري النوى من البدو ثم يبيعه ثانية لهذا الغرض .
 وكان أحد الصاغة من نوى الفضل والورع والديانة وطهارة القلب
 يحب العبث والدعابة كثيراً ، فصنع بيزات على عدد الأصابع ومهر
 عليها (ضرب تحت المقفزية) وهي نخيلة في حوشه (ساحة داره) .
 وظلت مدة تزامم بيزات مسقط حتى لغت النظر إليها صانعها نفسه .
 هكذا تقول الرواية الدارجة المتواترة والله أعلم .
 واليوم صار يضرب تحت المقفزية كثير من الشعر العامي ،
 وينحل مجاهيل مختلفين كما ينحل مشهورين هم منه براء ، وينشر
 في صحفنا المحلية لا سيما جريدة الرياض .
 ومما نشر بالصفحات الشعبية بجرائدنا المحلية في يوم الأحد
 ١٤٠٩/٥/١٦ هـ قصيدة مصنوعة لشاعرة مصنوعة اسمها عنوة تقول :

بالمعركة ابوك يا عيد طشوه
مح سطت به من يدين المعادي
وتقول :

يا عيد شاور ابن براك لاحدت
شيخ النشامي للنشامي زبون
وهي من النظم العادي خلي من المعنى أو الرنين .
ونشر بالرياض عدد ٧٥١١ قصة مصنوعة ، ومطلع أبياتها :
الى بدا نجم اليمن قمت اخيله
وحاربت مما شفت باقي رقادي
ومن الضرب تحت المقفزية هذا الشعر لجارية فضحت به سر
مولاتها عند مولاها :

كريم يا برق عقبنا على الاهل
تلقى النعام الدرع فيه طفوح
ويا حر قلبي من فراق الحبايب
زوجي وطفل لا يجي ويروح
وما يستوي رجلين رجل على الشقا
ورجل على جال الفراش سدوح
ولا يستوي طفلين طفل على أمه
وطفل يعاجي ما بقي له روح
لو كان مي ودعتني سدها
ما كنت أنا يا مي للسد بيوح
لكن مي خربت لي بيتي
وحطت بقلبي ساطيات جروح
والكيد ما ينجح بدنياه صاحبه
وكم كاييد كيد ولطم راسه الصوح (١٣)

(٩٣) أساطير شعبية ٣٥٦/٢ ، وقصة وأبيات ٦٣/١ .

ومن الضرب تحت المقفزية سباحين تتلى على أنها من قصص العرب ولها أسانيد (٩٤) وبعض أبطالها يزعم أنه على الحياة قصة غريب الشلاقي الذي اختطف حبيبته وبيده من قومها ، وهو جار عندهم وتزوجها زواجا شرعياً ودفع مهرها ، وبعد سنين وقع أهلها في أسره وكان الفريقان غزاة ولم يعرفوه وعرفهم ومن عليهم ٠٠٠ إلخ . وقال عندما أحب وبيده مخاطباً أختها ضحية :

هلا هلا فيك يا ضحية

يا ليت أختك من حيي (٩٥)

ودي وبيده شلاقية

ودي ولا السود متهيي (٩٦)

وتكون القصة أسطورة بمعرفة الجميع ، ويكون الغرض توليد النكتة كضيف هرب مصداقاً بأن صاحب البيت يخصي ضيوفه ، وقد لحق صاحب البيت الضيف (لما أقنعت امرأته بأنه سرق الأرانب) وهو يقول : يا ولد واحدة فقط (يعني الأرانب) .

والضيف يقول : إن لحقتني فخذ الثنتين (يعني الخصيتين) (٩٧) .

قال أبو عبد الرحمن : وتروى على نحو آخر .

(٩٤) انظر من شيم العرب ٢٤٧/١ و ٢٤٨ .

(٩٥) حيي : أي ليتها تكون من أسرتي (المارك) .

(٩٦) شلاقية يقصد فخذ قبيلته الأكنى المدعو بالشلاق ٠٠ متهيي : أي متيسر (المارك) .

(٩٧) ديوان الرشيد ص ١٤٢ .

قال أبو عبد الرحمن : ويضرب تحت المقبرة ما يفسر به نشأة بعض القبائل حيث يجهل الناس تفاصيل حياة القبائل منذ ستة قرون فأكثر . ويستدل على النحل بضعف الشعر ، والبعد عن الواقع ، وعدم اشتها الرواية على النطاق العام .

من ذلك قصة رشيد جد الرشيدة . . قيل كان له ابنان هما ذياب وبنائية وسبع بنات ، وكانوا ساكنين تحت عيون المدينة المنورة ، وكان رشيد يرعى إبله في وادي الحمض شمال المدينة . فجاء أولاد من قبيلة أخرى يريدون إذلال القبيلة بسرقة عفاف البنات .

وانتهت القصة باحتيال أخيهن من الأم ذياب في إدخال الأولاد البيت ثم إسقاطه إياه عليهم وذبحه لهم واحداً بعد واحد . ولما عاد الوالد وبلغه الخبر قال :

نزلنا بحد الراس الأبيض من الدير
بزمان تحقق فيه كل الأمانيه
نرعى مساس الدار والدار دارنا
من راس القرى شرق الى ظلع أبائيه
جنوب من المغرب قليب حفرتها
ريدها يطلع على من سائيه
حرث لها شداد حتى وقع بها
عليها سمين الأرض يا ذياب بانيه

وعقبتني وأنا غائب على أهلي جماعة
 لكن عندهم في غيبتني ما كفانيه
 وتشاوروا بالأخذ والقطع والدنس
 ونفوسهم صارت على غير دانيه
 ويعيش نيا ب في غيابي يسدني
 وأنا أحسبه ما يسدني إلا بنانيه
 ساعة وصلت البيت شفته مطرح
 ولقيت حدر البيت روس الثمانيه
 والله لو ما صار شي فعل بهم
 لا قول والدته من الغير زانيه (٩٨)
 فقال نيا ب يقارض أباه :
 عينيك يا من قال بالفعل هدي
 هدة نمر ما هي فعول الحصانيه
 جونا رذال الناس بيون عرضنا
 ما يدري ان العرض له حال ثانيه
 يبي يحبل الناس لكن حبلت به
 هو يحسب انه بالمرام يخفانيه
 رامت عليه الأرض من عقب هيجته
 حسبت ولد الثور قبل يحسانيه

(٩٨) ديوان الرشيد ص ١١ ، وصور وأشعار بني رشيد ص ٩٤ - ٩٥ .

ضربته بشلفاكن وصفه اليامضى

لميع برق ومن حقوق الامزانيه (٩٩)

وقال الشيخ منديل : « كان لأحدهم من أبناء البادية مملوكة ولها طفل ، وفي أحد الأيام رجعت من غنمها لحاجة فوجدت عند زوجة عمها رجلاً ، فظنت الزوجة أن المملوكة سوف تخبر عمها ، فألحت عليه أن يبيعها لعدم صلاحيتها ، فسرى بها ليلاً وترك ولدها وهي لا تدري ما الخبر ، فرأت البرق لاثحاً أمامها ، فقالت أيتها عرف منها ما تشير إليه ، فرجع بها وتركها عند راحته وتسلل لبيته ، فوجد ما أشارت إليه رأي العين . . فقتل الرجل وجعله في عدل من ضمن عفش الزوجة المطلقة ، فسأل أهلها عن هذا العدل ، فقالت : حشية عرعر . . فصارت مثلاً مع الناس ، وتبين لأهلها خيانتها ، وربطوها بين جميلين فراحت نصفين ، وذلك من حرص العرب على البعد عن العار ، وهذه أبيات المملوكة :

كريم يا برق عقبنا على أهلكنا

جعله على دار الغرير يـلـوـخ

لا عود الله نكستي من رعيتي

يومي نكست ابغى غدا وصبوخ

(٩٩) انظر ديوان الرشيدى ، ص ٩-١٢ . . والشطر الأخير منكسر . . ومن الضرب تحت المقفزة أبيات في كتاب من شيم العرب ٢٧٥/٤ ، وكذلك الأبيات في ١١٨/٣ ، ١٤٢ و ١٨٤/٢ .

ما يستوي طفلين طفل على امه
 وطفل ايعاجي ما بقاله روح
 ما يستوي غرسين غرس امهمل
 وغرس على عد وماه يفوخ
 ولا يستوي رجلين رجل على الشقا
 ورجل على جال الفراش سدوخ
 يا ويلنا من طبله السوق باكر
 هذا يساومني وذاك يروح» (١٠٠)

ومن الضرب تحت المقفزية هذه القصة ، قال الشيخ منديل :
 « وهذه قصة قديمة يرويها لنا ذعار بن مشعان القبع الدغيبلي يذكر
 شيخ قبيلة قديم عنده زوجة اسمها السكوت . . بقيت سنين لم
 تدرب عليه ، ولم يعلم غايتها هل هي راضية عنه أو تتركه ؟ .
 وحاول منها الاطلاع على مقدار الحب فلم يفلح ، فشكا أمره
 إلى طاعنة سن كبيرة فقالت : أقضب داب واجعلها على بطنك كأنك
 ميت حتى تكتشف غايتها .
 وفعلاً رأوا الداب على بطنه ، وأخبروها ، فصاحت ، وقصبت
 بالحال ، وذكرت خصاله . مسندة الخطاب إلى ولد له منها اسمه زيد :
 يا زيد رد الزمل باهل عبرتي
 على ابوك عيني ما يوني هميلها

عليت كم من مجرم حلت دونه
 بالسيف والا حيلة تستحيلها
 وعليت كم من سابق عقت جريها
 بعود القنا والخيول حامي جفيلها
 وعليت كم من هجمة قد شعيتها
 صباح والازعتها من مقيلهها
 وعليت كم من جادل في غيا الصبا
 تمناك يا عذب السجايا حليلها
 سقاي ذود الجار لا غاب جاره
 وخو جارته لا غاب عنها حليلها
 لا مدخل عينه لشقان ثوبها
 ولا سائل عنها ولا مستسيلها
 وحين فرغت من الجواب نهض فرحاً بمحبته له وهي في
 حسرتها ، لأنها بينت ما تكن قبل ، فخلجت وهربت منه لأهلها ،
 وحاول عودتها فأبت ، وأقسمت أن لا تكلمه حتى يتكلم الحجر ،
 فرجع للعجوز الأولى ، وقال : حيلتك لي نفعت وضرت .
 فقالت : نسوي حصا مع بعضها (وهي الرحاء ، وقيل إنها من
 أوائل استخراج الرحاء) ، وحين ما عملوها ، وتكلمت تراجعت عن
 رأيها الأول « (١٠١) » .

(١٠١) من أدابنا الشعبية ١٩٤/٢ - ١٩٥ .

وقال الشيخ منديل : - وهي مما ضرب تحت المقفزية ، والشيخ منديل إنما يروي - « كانت فتاة من فخذ السويلمات من عنزة تسمع بفارس من السبعة من عنزة لشجاعته وكرمه ، وكانت في سن الزواج ، وكثر خطابها لجمالها وهي ترفض الزواج حتى ترى هذا الفارس المذكور لتحظى به زوجاً .

وفي يوم اجتمع به قبيلة عنزة بما فيهم أهل البنت وأهل الفارس على موضع يسمى حصيبا والقرينين بين العراق وسوريا ، وكانت هذه الفتاة مع مجموعة من النساء يجمعن الأرضى لدباغة جلودهم بعيداً عن العرب ، وكانت تسأل عن هذا الفارس خفية كل من رآته وحده ، ومر على النساء هذه احد عابري السبيل ، فسألته عن فلان ، فقال : أعرفه .
قالت : أسألك بالله .

قال : أنا البارح ضيف عنده .

فقالت : سأودعك أمانة توصله ما أقول لك ، وتكتم السر ، ثم أعاهدك أنا أنني لم أره ، وإنما ذكره على البعد يصلني فأحببته ، وأنا رفضت الزواج من جميع الخطاب . . إذا له رغبة في فليات للخطبة لأراه قبل الزواج في هذا المكان لعوبتنا لعدة مرات لجمع الأرضى .
ومن قوة وفاء هذا العابر وصدق صداقته للفارس المذكور ترك حاجته التي هو يسعى إليها ، ورجع لصديقه ، وبات عنده ، وأعطاه الخبر ، وقال : إنني لم أر أجمل منها .

ومع الأسف أنه لم يسألها عن اسمها ، ولا عن اسم أهلها لظنه أنهم سيجدونها في المكان نفسه .

وفي صباح اليوم الثاني ركبا قاصدين المحل ، وعند وصولهم وجدوا أن العرب قد شدوا من مكانهم لظروف طارئة ، وعلموا أن النساء لا تروح إلى المكان المذكور حسب الشئد ، فسأل الفارس صديقه : هل سألتها عن أهلها ، أو اسمها ؟ .

قال : شغلني جمالها عن سؤالها ، وهي أودعتني هذه الأبيات :

بالله عليك احفظ خفي الوصيّة

وداعتك والعلم بالك يبين

ذالي سنين من خطبني معية

ما أريد كود اللي مديحه يجين (١٠٢)

وابديت مكنوني لراعي المطيّة

للي يريد القلب شوفه بعيني

ان صاب قلبه مثل ما كان فيه

لا باس لو جريت خاف الونين

وان كان ماله يمنا قيد نيّة

جداي عبراتي وفرك اليديّن (١٠٣)

(١٠٢) معية : آية .. وأصلها معيه من عيا بمعنى أبي .

(١٠٣) يمنا : جهنّا .. قيد نيّة : نيّة تقيدّه .. جداي : جدواي .

وعندما سمع أبياتها زاد عليه الأسف الشديد ، فأخذ يبحث بين
أسلاف الشديد بأصوات رفيعة يسألون عن بكرة وضحا مفقودة
لعلها تسمع أن تتعرف عليهم .. والعرب في طريقهم مسرعين ولو
رأته لا تقدر أن تفيدهم شيئاً ، فابتدأ يلوم صديقه كيف لم تسألها ،
أو أخفيت عني هذا الخبر المؤذي للعنا والندم بدون فائدة ؟ .

فأجاب صديقه الفارس بما يلي :

ليتك كميت العلم الاول عليه

والا عرفت الذاهبـة يا ضنيني

يا شيب عيني والتفرق نويـة

مدري على يسراي والا يميني

والا مع اللي غربوا للغضـة

والا مع اللي شرقوا حادريـن

سببت فيه علة باطنـة

ما ظننتي تمحي طوال السنين « (١٠٤)

ومما ضرب تحت المقفزية ما رواه الشيخ منديل .. قال :

« وهذه قصة بنت من البادية الذين يقطنون الدوامي .. كانت عند
عمها يتيمة ، فزوجها لابنه صقر (وكان هذا الابن ما اتضح له
فعل) ، ونساء العرب لا تعجب بالزوج إلا بأفعاله .. لا تريد

العيش فقط ، أو النظر ، بل إنها زهدت في حياتها مع المذكور الذي لا يذكر له ذكر تعتز به ، فقالت يوماً لعمها :

يا عم طلقني من ابنك كما أنه

رقود الضحى ما هو لعيني يشوقها

فقال العم لابنه : طلقها (وأقسم عليه) .. فطلقها رضا لوالده ونفسه متعلقة بها .. وكانوا في مصيفهم على الدوامي ، وكان هناك تاجر مشهور بالكرم ، ويبيع على البادية بالتأجيل ، وقد امتلأت بطونهم له معروفاً ، وكانوا يجلونه ويحترمونه كثيراً ، فسمع التاجر عن البنت وخطبها ، فأجابوه ، وعندما أرادوا الارتحال من الدوامي (في سنة الزواج أو بعدها) تذكرت البنت مرابع البادية ، وطلع نجم صقر بالغزوات ، فصعدت بالسطح ، وتمثلت بهذه الأبيات ، ومن الصدف أن أبو بكر العنقري زوجها الثاني كان يسمعها :

يا شيب عيني من قعودي بقرية

ومن بيقران ربطها في حلوقها

يا عنك ما سيرت فيها لجارتي

ولا سيرت رجلي لبيعات سوقها

هني بنات البدو يرعن بقفرة

ريح الخزامي والنفل في غبوقها

شوفي لعيني للبيوت هدمت
والزمل شالوا غالي القش فوقها
شفي بهم صقر تباريه عندل
ربيقية در العربا علوقها
أيضاً الى شدوا تباريه هجمة
حم الذرا ما يحلب الا شنوقها
فأجابها زوجها أبوبكر العنقري :
روحي مني لصقر عطية
عطية عنقري مالها من يعوقها
فأجابته معذرة منه وأنها تتسلى ولا تريد غيره أحد :
يا أبو بكر ما للنفس عنكم تخير

مير ان زوعات البوادي تشوقها
فأصر على طلاقها ، وعلى حماية كلامه شيمة عنقريه ، فشد
لها أحد الجمال ، وأعطاهما ما تحتاجه ، ومشى بها لأهلها ، ومشى
معهم ، وبقيت الكلمة عنقريه مثلاً مع العموم .
وبعد أن أخذها صقر مرة ثانية ، وأراد العنقري أن يختبر
طيبتهم ووفاءهم معه لما أسدى عليهم من الجميل . . وفي إحدى
السنوات انتحوا بعيداً طلباً للمرعى ، فركب راحلة وقد شوهاها
بالدهن لتكون بعين الرائي جرباء ، ولبغض العرب للجرب لإذهابه
مالهم في اعتقادهم ، ومتكراً بصفة الضعف وقلة ذات اليد ، وقد

سار حتى وصلهم ، وعندما أقبل على بيتهم عرفته زوجته ، وقالت لصقر : هذا أبو بكر .

فأراد أن ينيخ بعيره بعيداً عن مراح الإبل خوفاً عليها من العدو ، فقال له صقر : تقدم .

قال أبو بكر : أنا خليف على إيلكم .

فقال صقر : الله يحييك أنت وراحتك إن ما أخذها البيت تأخذها عيوتنا . . أنت صاحب المعروف الأول ، فبادروا بالنبا الطلق والإكرام والإجلال ، وسأله صقر عن حاله لما يعرف عن تجارته ، فقال : الدنيا هكذا تميل على من أراد الله عليه نقصاً . . أنا مالي غدوا به البوادي ، وبقيت على هذه الحال ، وتذكرتكم لأعرفكم عن ما حل بي .

فقال : أهلاً ومرحباً نحن وما نملك لك ، فأعطوه عدداً كبيراً من الإبل منهم الكثير والبقى من أقاربهم ، وطلب منهم أن يعينوه على إيصالها إلى مقر إقامته فأرسلوا معه من أولادهم من يساعده ، وعند وصوله حمل الإبل طعاماً وردّها عليهم ، وشكر لهم حسن صنيعهم وهكذا يحصل الاختبار بين الناس « (١٠٥) » .

قال أبو عبد الرحمن : وورد الاستشهاد بجملة « عطية عنقري » في أسطورة أخرى ذكرها الشيخ منديل فقال : « تزوج بشرحسناً ،

وطابت لياليهم بحسن الصحبة لما فيها من حسن الخلق .. وله زوجة أخرى ، وكانت والدته تحب الزوجة الثانية ، وفي أحد الأيام غاب عن الحي بشر ، وعند عودته أخبرته أمه أنها رأت عليها رجلاً ، وأقسمت له بالله أنها رأت رجلاً على بطنها صغير الهامة كبير العمامة (وهي تقصد ابنه منها) ، وهي قد ألبسته شماغ والده ، وأجاسته على بطنها لمداعبته ، وأوهمته بهذا اليمين أنها بارة بيمينها .

وعند ذلك كره قتلها بالحي والفضيحة ، وسرى بها ليلاً وأطال المشي بدون راحة لمدة ليلتين ويوم ، وبعد ذلك قرب من منازل القبيلة المعادية لهم ، فأناخ آخر الليل للمبيت والراحة فنامت بعد تعب ، وتركها في مكانه راجعاً إلى أهله ، فلما أصبحت عرفت أنه يريد هلاكها ، فاتجهت إلى أقرب المنازل إليها ، ولجأت إلى صاحب بيت منهم ، وادعت أن رجالها قد ذبحوا ، وأخذ مالهم .. وبقيت عندهم مدة ، ولكنهم رأوا منها حياة كثيراً ، وأوصافاً جميلة ، فخطبها ابن حمرون أحد زعماء القبيلة (وهي من بوادي العراق) ، وتزوجها ، وكانت متخذة اللثام بصورة مستمرة حتى عند الأكل ، ولم يروا فيها إطلاقاً طيلة إقامتها عندهم ، وهي مشترطة هذا الشرط على الزوج .

أما والدته بشر فقد أصيبت بمرض يمكن أن يكون عقوبة ظلمها لهذه العفيفة الشريفة (وهو مرض يشبه السرطان بدأ

بأصبعها وصار يقطع منها كل عضو ثم يسري بما يليه بعد القطع) ،
وقالت لبنتها وبشر يسمع : يا ابنتي هذه عقوبة ظليمتي بحسن .
وعند ذلك عرف أنها مظلومة فركب يلتمسها ، فأدركها بعد
تعب طويل ، وضاف زوجها ابن حمرون ، وكان بشر كثير البكا
قليل الأكل فشكا ابن حمرون حالة الضيف على حسن بقوله :
يا حسن عيا يا كل الزاد ضيفنا

هيا جميع نشتكى لبكاه

فأجابته :

خير الملا عندي بشر ما بكيته

وباقى الملا لو مات ما تنعاه

وعندما رآته عرفته فقال لها :

يا حسن يا حسينة الدل طالعي

عليّ ابن حمرون يهوز عصاه

فقالت :

امنع عنه يا حامي الخيل بالقنا

عسى جميع الحاضرين فـداه

فقال بشر :

يا حسن وش تجزين من جاك عاني

من الغرب وخلا والديه وراه

فقلت :

اجزاه انا في حبة من ذبلي
من اشافي ما شافهن حذاه
وهي قصدها تغضب زوجها ابن حمرون لأجل الخلاص منه ،
فغضب ابن حمرون وقال :

من عافنا عفناه لو كان غالي
ومن جذ حبلي ما وصلت رشاه
روحي مني لبشر عطيه
عطية عنقري ما يريد جزاه

فطلقها ابن حمرون شيمة عندما عرف أمرهم السابق ، ورجع
بها بشر ، وفي وصولهم طلبت والدته بشر السماح منها وأن تحللها
عن الظليمة السابقة ، وحين رأت عظم ما رأت عليها سامحتها ،
وعاقها الله عما فيها ، وهذا من نتائج الظلم والبهتان « (١٠٦) » .

وكذلك شعر شاعر نويد أم الذبان وقصتها من الضرب تحت
المقبرة :

« يا طفيلات الريم يا شرد المها
ساليكم برب العرش وين تلفون

(١٠٦) من أدابنا الشعبية ٦٦/٢ - ٦٧ ، وقصة وأبيات ٢٢٩/١ - ٢٣٠ .

قالن طفيلات المها بصوت واحد

يسمعه من هو بالهوى مفتون

نلقي على شهم كريم مجرب

لا طلبت الاشياء عليه تهون

لو تطلبه باعز شىء عنده

يقول تم وما تبني مضمون

هذاك أخو وضحا قوي العزائم

اللي له الطولات حيث يكون « (١٠٧)

والحكواتي النجدي يتمثل الملاحم التاريخية والأسطورية

فيحولها إلى أدب قومه ، وربما خلط عامداً لإثراء حكايته بين

وقائع تاريخية وأسطورية لتشكيل حديث واحد كما سنرى من تليفق

بين أسطورة جحا وحروب مهلهل .

وقد رويت عن محمد بن مانع وغيره من نوي طيب معشر

وحلاوة محضر من الشبارمة بسميرا آخر عام ١٤١٢هـ من يسرد

قصة كليب ومهلهل ، فيذكر أن مهلهلا كان يتظاهر بالجنون ، وأن

كليبا يصل إليهم الحرب .

ومرة استشار كليب أخاه مهلاً في الزواج ، فقال مهلهل :
أحذرك عن الهمس ، والدنس ، والبرص ، وبيت القطاعة ، وانحش
عن درب الفرس !! .

وكان جساس قتيل كليب في قليب ، فقال أبو جساس :
يا جساس تلفح بك شمرة
واسمع عندكم ربة صياح
عساك يا وليدي ما غترته
وراعي الغتر مكسور الجناح
فقال جساس :

لا والله الا يا ابي غتر
ولولا الغتر ما جينا صحاح
مار ترى الزير ولد الزير
مثلك ما يجفل الى سمع صياح
وقال الأب :

ترى اقشر ما جرى بي عمر ابوك
قولة : « عاقية » عقب الصياح
وترى احلى ما جرى بي عمر ابوك
منازي الخيل بالقاع السماح

وترى احلى ما جرى بي عمر ابوك

تنازى عن علايه الرماح

وروي عن الحكواتي النجدي قول مهلهل وهم في حرب :

اراكم في وجاوج واشتسراك

وانا بينكم عدي غريباً (١٠٨)

وقال رجل من قوم جساس :

جعلنا يا فتى اكل جملكم

والدم من جنب الجمل ينزف خضيبا

فقال مهلهل :

جملكم يا فتى ما يا كل جملنا

الا نيم والا في قاعة قليبا

وبعد ذبح كليب أخذ مهلهل يدرب مهاره ، وأما بنات كليب

فأخذن يطفئن النار ، وعندما مر عليهن قالت إحداهن :

ألا يا عم يا عمي مهلهل

ألا يا عم يا عم الهوان

ألا يا عم وان ذليت منهم

فأنا يا عم شد لي الحصان

وحط القطر والقطراز فوقهم
تنازى عن قطاها القطرزان (١٠٩)

فقال مهلهل :

أنا عمك وأنا عمك مهلهل
أنا عمك ما أنا عم الهوان
لكن الهوش بي راسي يجوش
جوش القدر يطمئه ثمان

فصارت كل واحدة تأتي بحزم الحطب وظلوا يوقدون النار
ثلاثاً ، وكل ما أرسل قوم جساس أناساً لإطفاء النار أوقد بهم مهلهل
حتى جاء الأمير ، فقال :

أخذك الله خذني عن كليب

أمير خذ القضاء به دوك اميرا

فقال مهلهل :

أخذك الله ما تسوى كليب
ولا تسوى خنصره الصغير
ولا تسوى من الحشوان حاشي
كبير البطن مدعول صغير
وقال مهلهل بعد أخذه بثأر أخيه :
ليت القبر يبلج عن كليب

يشوف الطرد بوادي سميرا

يمين ذريع ويسار غسل
 وبوادي الدوح لا اكثال الزحيرا
 أنا اودع نثرهم من واردات
 إلى الكتلا كما حب الشعيرا (١١٠)
 أنا اقول لك لا تعترضني
 إلى شفت الاشقر بي مغيرا
 لكن اننيه في فاعوس راسه
 مثل الاقلام وباريهم بصيرا
 ليا مني لكنته واطرد بي
 كن الغوج رماتي ببيرا
 وسمعت الغازا بسبع من الماعز ليس لهن قرون ، وجمل
 اوضح ليس له سنون •
 يراد بنات نعش والقمر ، ونسيت الشيء الذي كنى به عن ذلك ،
 وإنما رووا تعليق والد جساس على اللغز بقوله :
 علوم تضحك المفقينه منها
 وتبكي من عواقبها رجسـال
 قال أبو عبد الرحمن : بمثل هذا صنع الحكواتي النجدي المتأخر بالشعر
 العامي أسطورة بني هلال ، وإن كان في العناصر ما هو تاريخي صحيح •

وأورد الأستاذ السويدي أسطورة جساس وكليب على أنها من أخبار بني هلال فقال : « وهناك روايات في منطقة حائل لقصائد تنسب لبني هلال سواء ما كان منها يتحدث عن الحروب التي جرت بينهم في سميراء البلد الأثري العريق قاعدة بني أسد وما حولها جنوب شرق حائل ، حيث ينسب إلى شاعرهم قوله . . قال جساس :
خذاك الله خذني عن كليب

أمير في مكانه ولد اميرا

فرد عليه المهلهل :

خذاك الله ما تسوى كليب

ولا تسوى خنصره الصغير

ولا تسوى من الحشوان حاشي

كبير البطن مدعول صغير

لو ينباج القبر عن كليب

ويشوف الطرد في وادي سمير

يمين غسل يسار واردة

بواد الدوح تسمع له زحيرا

انا أقول لك لا تعترضني

ليا شفت الأشقر بي مغيرا

كن اننيه بفاعوس راسه

أقلام قصب حانيهن بصيرا

وقال والد جساس :

يا جساس تلفح بك شـمـرة

وحوالي بيوتكم نسمع صياح

يا عليك يا وليدي ما غدرتـه

وراع الغدر مكسور الجناح

فرد عليه جساس :

لا والله يا بوي غدرتـه

ولولا الغدر ما جينا صحاح

تري الزير ولد الزير مثلك

ما يجفل ليا سمع الصياح « (١١١) »

وعن هدف الحكواتي قال الدكتور عبدالمجيد زراقة: « فالقصص

الشعبي ينتمي في نشوئه وتطوره إلى فترة متأخرة من تاريخ الأدب

العربي نقدر أنها فترة العصرين المملوكي والعثماني ، إذ جاء هذا الفن

ليلبى من ناحية أولى على لسان القاص أو الحكواتي حاجة اجتماعية

للتسلية يتطلبها أبناء المدينة الناشئة في سهراتهم وجلسات سمرهم ،

فيستمعون إلى قصص موضوعه الحب والغرام يُلقى بأسلوب سردي

ركيك ومسجع يتخلله شعري قرب بلغته الفنية من العامية والبساطة .

وليعبر من ناحية ثانية عن هموم الناس المتلقين وأحلامهم

(١١١) الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

في قصص غرامي يطرحها ويحققها، وربما تم ذلك بأسلوب رمزي وغير واع كما نرى في قصة جريح الهوى على سبيل المثال (١١٢) التي تشير إلى سيطرة فئة من المماليك ممثلة بالعبيد على البلاد ممثلة بزهر الورد، وتحكمهم بها، وإلى ركون أبناء البلاد ممثلين بجريح الهوى، إلى الخشوع المؤدي للموت الذي لا ينقذهم منه سوى منقذ قوي عادل، ممثل بالقاضي، يعيد البلاد إلى أهلها « (١١٣) ».

* * *

المدخل الثالث :

كيف يموت العباد

قال أبو عبد الرحمن : ثبت أن زرارة بن أوفى - رحمه الله تعالى - شهق ومات .
وقال الإمام أبو محمد ابن حزم : « وبلغنا عن شهق من خوف الله تعالى ومحبه فمات » (١) .

(١١٢) انظر عشاق العرب ص ٣٦٥ - ٣٨٣ .

(١١٣) للمصدر السابق ص ٦ - ٧ .

(١) مداواة للنفس ضمن رسائل ابن حزم ٣٦٩/١ . وعن أخبار من شهق فمات انظر أسواق العشاق ورقة ٣٨-٤٢ عن حلية الأولياء ، وابن أبي الدنيا ومغلطاي والسراج وانظر المستدرک ٤٩٤/٢ - ٤٩٥ .

وتحدث أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي عن شوق فمات أو غشي عليه ، فذكر أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمع رجلاً يقرأ ﴿ إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع ﴾ [سورة الطور / ٧ - ٨] فصاح صيحة خرواً مغشياً عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضاً شهراً .
وذكر أن الشافعي أغمي عليه لما سمع قارئاً يقرأ ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ [سورة المرسلات / ٣٥ - ٣٦] .
وذكر أن علي بن الفضيل بن عياض سقط مغشياً عليه لسماع التلاوة .

وذكر موت أبي جهير الضرير البصري (٢) وهو يقرأ على صالح المري ، وذكر موت زرارة بن أوفى ، ولم يسند هذه الأخبار ، ولم يحلها إلى مصادرهما (٣) .

قال أبو عبد الرحمن : ما ذكره من صياح عمر وغشيه يتنافى مع ما ذكره - وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً - من سلامة الصحابة من هذه الحال كما سيأتي في سياق كلامه .
ورويت عن عمر - رضي الله عنه - هذه الحادثة بأخبار لا تصح وليس فيها صياح أو غشي .

(٢) ورد في كشف القناع للقرطبي باسم أبو جهين ، وقال محقق الكتاب : لم أعثر له على ترجمة .

(٣) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع ص ١٨٤ - ١٨٥ .

قال ابن كثير: « قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبي :
حدثنا موسى بن داود : عن صالح المري : عن جعفر بن زيد
العبدي قال : خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من
المسلمين فوافقه قائماً يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ ﴿ والطور ﴾
حتى بلغ ﴿ إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع ﴾ .
قال قسم ورب الكعبة حق !! .. فنزل عن حماره واستند
إلى حائط فمكث ملياً ثم رجع إلى منزله فمكث شهراً يعود الناس
لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه (٤) .
وقال الإمام أبو عبيد في فضائل القرآن : حدثنا محمد بن
صالح : حدثنا هشام بن حسان : عن الحسن : أن عمر قرأ ﴿ إن
عذاب ربك لواقع ما له من دافع ﴾ فربا لها ربوة عيد منها
عشرين يوماً » (٥) .
وأخرج أحمد بن حنبل في الزهد عن مالك بن مغول قال :
قرأ عمر ﴿ والطور وكتاب مسطور في رق منشور ﴾ .
قال : قسم ٠٠٠ إلى قوله : ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ فبكى
ثم بكى حتى عيد من وجعه ذلك (٦) .

(٤) إذن كيف عرف جعفر بن زيد علة مرضه ؟ ١٤ .

(٥) تفسير ابن كثير ٤٣٠/٦ .

(٦) الدر المنثور للسيوطي ١١٨/٦ .

قال أبو عبد الرحمن : مرة كان القارئ رجلاً ، ومرة كان القارئ عمر .

ومرة صاح وخر مغشياً عليه ، ومرة حمل إلى منزله ، ومرة استند إلى حائط ومضى إلى منزله .

ومرة بكى فحسب .

ومرة عيد شهراً ، ومرة عيد عشرين يوماً ، ومرة عيد من وجعه فحسب .

قال أبو عبد الرحمن : فإن صح أن للقصة أصلاً فهي عن حال الصحابة - رضوان الله عليهم - المعهودة من البكاء والخشية .

قال أبو عبد الرحمن : وأما زرارة بن أبي أوفى أبو حجاب العامري قاضي البصرة - رحمه الله - فقد سمع عدداً من الصحابة وحدث عنهم .

صحح الذهبي سبب وفاته سنة ٩٣هـ وأنه كان يصلي بالناس الفجر في مسجد بني قشير فلما قرأ ﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾ [سورة المنثر / ٨] خر ميتاً (٧) .

(٧) سير أعلام النبلاء ٥١٦/٤ . قال أبو عبد الرحمن : يكون مات فجأة بمصادفة تلاوة هذه الآية الكريمة . وأعلم من مات ساجداً ، ومن سقط من الصلاة وغشي عليه ثم مات في غير حال تلاوة مثل محمد بن مطر وسليمان بن علي من جماعتي أهل شقراء رحمهما الله . ولهذا عبر ابن سعد عن وفاة زرارة فقال : مات فجأة سنة ٩٣هـ .
قال أبو عبد الرحمن : ولم يزد على ذلك .

وأسند أبو نعيم الخبر إلى عون بن زكوان وبهزبن حكيم
وكلاهما شاهد عيان (٨) .

وأبو بشر صالح بن بشير المري القاص من وعاظ أهل البصرة
عابد ضعفوه في رواية الحديث .

قال عفان : كان شديد الخوف من الله كأنه تكلّى إذا قص .

وقال ابن عدي : قاص حسن الصوت عامة أحاديثه منكرة . . .
أتى من قلة معرفته بالأسانيد .

وقال ابن الأعرابي : كان الغالب على صالح كثرة الذكر
والقراءة بالتحزين .

ويقال : هو أول من قرأ بالبصرة بالتحزين .

ويقال : مات جماعة سمعوا قراءته .

توفي سنة ١٧٢هـ أو ١٧٦هـ (٩) .

وقال أبو نعيم : « حدثنا محمد بن أحمد بن عمر : حدثنا أبي :

حدثنا عبدالله بن محمد بن عبيد : حدثنا عبدالرحيم بن يحيى الديلمي :

حدثني عثمان بن عمار : عن صالح المري . قال : قدم علينا ابن

السماك مرة فقال : أرني بعض عجائب عبادكم ؟ .

فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له فاستأذنا

عليه فدخلنا ، فإذا رجل يعمل خوصاً له فقرأت ﴿ إذ الأغلال في

أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾

(٨) حلية الأولياء ٢/٢٥٨ .

(٩) سير أعلام النبلاء ٨/٤٧ .

فشق الرجل شهقة فإذا هو قد يبس مغشياً عليه ، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله ؟ .

وزهبنا إلى آخر فاستأذنا عليه ، فقال : ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا ، فدخلنا فإذا رجل جالس في مصلى له فقرأت ﴿ ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ﴾ فشق شهقة فبدر الدم من منخره ثم جعل يتسحط في دمه حتى يبس ! .

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله حتى أدركته على ستة أنفس كل يخرج من عنده وهو على هذه الحالة ، ثم أتيت به السابع فاستأذنت فإذا امرأة له من وراء الخصر تقول : ادخلوا ، فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في مصلاة فسلمنا فلم يعقل سلامنا ، فقلت بصوت عالٍ : إن للحق غداً مقاماً .

فقال الشيخ : بين يدي من ويحك ؟ .

ثم بقي مبهوتاً فاتحاً فاه شاخصاً بصره يصيح بصوت له ضعيف حتى انقطع .

فقلت امرأته : اخرجوا عنه فإنكم ليس تنتفعون به الساعة .

فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم ، فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله عز وجل .

وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتاً متحيراً

لا يؤدي فرضاً فلما كان بعد الثلاثة عقل « (١٠) » .

قال أبو عبد الرحمن : هاته حكايات عن قاص لا يقرها شاهد
الواقع والحال .

وقال أبو نعيم أيضاً : « حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر :
حدثني عبدالله بن عبد الوهاب : عن محمد بن زكريا : حدثنا الحسن
ابن حسان : قال : كنا يوماً عند صالح المري وهو يتكلم ويعظ ، فقال
لرجل حدث بين يديه : اقرأ يا بني .

فقرأ الرجل : ﴿ وأنبأهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر
كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ فقطع عليه صالح
القراءة فقال : وكيف يكون للظالمين حميم أو شفيع والطالب له
رب العالمين ؟ ! .

إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في
السلاسل والأغلال إلى الجحيم حفاة عراة مسودة وجوههم ، مزرقة
عيونهم ذائبة أجسامهم ، ينادون : يا ويلاه يا ثبوراه . . ماذا نزل
بنا ، ماذا حل بنا ، أين يذهب بنا ماذا يراد منا ؟ !! .

والملائكة تسوقهم بمقامع النيران ، فمرة يجرون على وجوههم
ويسحبون عليها منكبين ، ومرة يقادون إليها مقرنين من بين بالك
دماً بعد انقطاع الدموع ، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت .

إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظراً لا يقوم له
بصرك ، ولا يثبت له قلبك ، ولا يستقر لفظاعة هوله على
قرار قدمك .

ثم نحب وصاح يا سوء منظره ٠٠٠ ويا سوء منقلباه ٠٠٠
وبكى وبكى الناس (١١) .

فقام شاب به تأنيث فقال : أكلُ هذا في القيامة يا أبا بشر؟
قال : نعم والله يا ابن أخي ، وما هو أكبر من ذلك !! .
ولقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم فلا
يبقى منها إلا كهينة الأتئين من المدنف .

فصاح الفتى : إنا لله ٠٠٠ واغفلناه عن نفسي أيام الحياة .
ويا أسفي على تفريطي في طاعتك يا سيداه ٠٠ والأسفاه على تضييع
عمري في دار الدنيا !! .

ثم بكى واستقبل القبلة ثم قال : اللهم إني أستقبلك في يومي هذا
بتوبة لك لا يخالطها رياء لغيرك ، اللهم فاقبلني على ما كان مني
واعف عما تقدم من عملي وأقلمي عثرتي وارحمني ومن حضرني ،
وتفضل علينا بجودك أجمعين يا أرحم الراحمين ، لك ألقيت معاهد
الآثام من عنقي ، وإليك أنبت بجميع جوارحي صلواً بذلك قلبي ،
فالويل لي إن أنت لم تقبلني ، ثم غلب فسقط مغشياً عليه ، فحمل
من بين القوم صريعاً يكون عليه ويدعون له (١٢) .

(١١) قال أبو عبد الرحمن : إذا كانت دروس الوعاظ والصلحاء بهذا النحيب
والتخويف وغيض النظر عن المبشرات فسيدخل الهلع في قلوب العامة الذين
يحضرون الدرس على طول السنين .

(١٢) قال أبو عبد الرحمن : ابتهاج هذا الشاب دليل على حضور قلب ، ودليل على
تعلقه بالرجاء فكيف صرع ؟ ! .

وكان صالح كثيراً ما يذكره في مجلسه يدعو الله له ويقول :
بابي قتيل القرآن .. بابي قتيل المواعظ والأحزان ، فرآه رجل في
منامه فقال : ما صنعت ؟ .

قال : عمّني بركة مجلس صالح فدخلت في سعة رحمة الله
التي وسعت كل شيء .

قال : وكنا في مجلس صالح المري فأخذ في الدعاء فمر رجل
مخنث فوقف يسمع الدعاء ووافق صالحاً يقول : اللهم اغفر لأفساننا
قلباً ، وأجمدنا عيناً ، وأحدثنا بالذنوب عهداً .
فسمع المخنث ، فمات ، فرئي في المنام فقيل له : ما فعل
الله بك ؟ .

قال : غفر الله لي .

قيل : بماذا ؟ .

قال : بدعاء صالح المري ... لم يكن في القوم أحد أحدث
عهداً بالمعصية مني ، فوافقت دعوته الإجابة فغفر لي « (١٣) .

وقال أبو نعيم أيضاً : « حدثنا أبي : حدثنا أبو الحسن : حدثنا
أبو بكر : حدثنا محمد بن الحسين : حدثنا أحمد بن إسحاق
الحضرمي . قال : سمعت صالحاً المري يقول : للبكاء دواعٍ بالفكرة
في الذنوب ، فإن أجبت على ذلك القلوب ، وإلا نقلتها إلى الموقف

(١٣) حلية الأولياء ١٦٥/٦ - ١٦٧ .

وتلك الشدائد والأهوال ، فإن أجابت وإلا فاعرض عليها القلب بين أطباق النيران .

قال : ثم بكى وغشي عليه وتصايح الناس « (١٤) » .

وقال : « حدثنا إبراهيم بن محمد : حدثنا عبيدالله بن جرير بن

جبلة : حدثني عمي عباد بن جرير وغيره من المشايخ : قال : كنا نجلس إلى صالح المري فكان أول ما يبتدئ فيقول : الحمد لله ، فإذا أعين الناس قد سالت « (١٥) » .

قال أبو عبد الرحمن : وقال نذير حمدان في تحشيته على سير

أعلام النبلاء : « القاص هو الواعظ الذي يجلس إلى الناس فيذكرهم بسرد قصص النبيين والصالحين ، وشرحها بأسلوب مشوق محبوب ، واستتباط العبر منها ، وفي ذلك عبرة لمعتبر ، وعظة لمزجر ، واقتداء بصواب لمتبع .

وهو عمل سائغ يثاب عليه فاعله إذا كان المتصدي له عالماً

بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يتحرى الصدق في مرويّاته ، ويحترز عن إيراد القصص الخرافية ، والأحاديث المكنوبة ، والحكايات التي

(١٤) حلية الأولياء ١٦٧/٦ . قال أبو عبد الرحمن : هذا نموذج لقيام القصص

بتطبيع الناس على الحزن والقنوط .

(١٥) الحلية ١٦٨/٦ . قال أبو عبد الرحمن : لذلك للتطبيع أصبح البكاء عادة قبل

المواعظ !! .

تتأقض ما جاء في كتاب الله وحديث رسوله ﷺ « (١٦) » .

قال أبو عبد الرحمن : ومن الشرط أيضاً أن لا يحمل الناس على القنوط .

وأما ابن فضيل فقال عنه أبو نعيم : « حدثنا محمد بن علي : حدثنا أبو يعلى الموصلي : حدثنا عبد الصمد بن يزيد . قال : سمعت إسماعيل الطوسي يقول : بينما نحن ذات يوم عند الفضيل (١٧) مغشياً عليه ، فقال الفضيل : شكر الله لك ما قد علمه منك .

قال : وسمعت إسماعيل الطوسي أو غيره قال : بينما نحن نصلي ذات يوم الغداة خلف الإمام ومعنا علي بن فضيل فقرأ الإمام ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ فلما سلم الإمام قلت : يا علي أما سمعت ما قرأ الإمام ؟ .

قال : ما هو ؟ .

قلت : ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ و ﴿ وحوور مقصورات في الخيام ﴾ .

قال : شغلني ما كان قبلها ﴿ يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ « (١٨) » .

(١٦) سير أعلام النبلاء ٤٦/٨ - ٤٧ (حاشية) .

(١٧) قال أبو عبد الرحمن : في العبارة نقص ، ولعل تمامها : فسقط علي (يعني ابن فضيل بن عياض) .

(١٨) حلية الأولياء ٢٩٧/٨ - ٢٩٨ .

وقال الذهبي : « قال إبراهيم بن الحارث العبادي : حدثنا
عبدالرحمن بن عفان : حدثنا أبو بكر بن عياش . قال : صليت خلف
فضيل بن عياض المغرب وابنه علي إلى جاني ، فقرا : ﴿ أهلكم
التكاثر ﴾ فلما قال : ﴿ لترون الجحيم ﴾ سقط علي على وجهه مغشياً
عليه ، وبقي فضيل عند الآية .

فقلت في نفسي : ويحك أما عندك من الخوف ما عند
الفضيل وعلي ، فلم أزل أنتظر علياً ، فما أفاق إلى ثلث من
الليل بقي .

رواها ابن أبي الدنيا : عن عبدالرحمن بن عفان . . . وزاد وبقي
فضيل لا يجاوز الآية ، ثم صلى بنا صلاة خائف ، وقال : فما أفاق
إلى نصف من الليل .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني عبدالصمد بن يزيد : عن فضيل بن
عياض قال : بكى علي ابني ، فقلت : يا بني ما يبكيك ؟ .
قال : أخاف ألا تجمعنا القيامة .

وقال لي ابن المبارك : يا أبا علي ما أحسن حال من انقطع
إلى الله ؟ ! .

فسمع ذلك علي ابني ، فسقط مغشياً عليه .

مسدد بن قطن : حدثنا الدورقي ، وحدثنا محمد بن نوح
المروزي : حدثنا محمد بن ناجية قال : صليت خلف الفضيل ، فقرا :
﴿ الحاقة ﴾ في الصبح ، فلما بلغ إلى قوله : ﴿ خنوه فغلوه ﴾ غلبه

البكاء فسقط ابنه علي مغشياً عليه . . وذكر الحكاية « (١٩) .

وقال الذهبي: « أنبأني المقداد القسي : أخبرنا أحمد بن الديبقي :

أخبرنا أبو بكر الأنصاري : أخبرنا أبو بكر الخطيب : أخبرنا أبو

الحسن بن بشران : أخبرنا علي بن محمد البصري : سمعت أبا سعيد

الخرّاز : سمع إبراهيم بن بشاريقول : الآية التي مات فيها علي

بن الفضيل في الأنعام ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا

ليتنا نرد ﴾ [سورة الأنعام / ٢٧] مع هذا الموضع مات وكنت فيمن

صلى عليه ، رحمه الله » (٢٠) .

وقال أبونعيم : « حدثنا أبو بكر بن مالك : حدثنا عبدالله بن

أحمد بن حنبل : حدثني الحسن بن عبدالعزيز الجروي : حدثنا محمد

ابن أبي عثمان . قال : كان علي - يعني ابن الفضيل - عند

سفيان بن عيينة يحدث سفيان بحديث فيه ذكر النار ، وفي يد

علي قرطاس في شيء مربوط فشقق شهقة وقع ورمى بالقرطاس (٢١)

- أو وقع من يده - فالتفت إليه سفيان وقال : لو علمت أنك هنا

ما حدثت به .

فما أفاق إلا بعد ما شاء الله » (٢٢) .

(١٩) سير أعلام النبلاء ٤٤٣/٨ - ٤٤٤ .

(٢٠) المصدر السابق ٤٤٦/٨ .

(٢١) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : فشقق شهقة فوقع ورمى .

(٢٢) حلية الأولياء ٢٩٨/٨ وسير أعلام النبلاء ٤٤٥/٨ .

وقال : « حدثنا أبو محمد بن حيان : حدثنا عمر بن بحر قال : سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : سمعت أبا سليمان يقول : كان علي بن فضيل لا يستطيع أن يقرأ القارعة ولا تقرأ عليه » (٢٣) .

قال أبو عبد الرحمن : الذي في القرآن الكريم من الثناء على أهل السماع المبارك أنهم مأمورون بالإتصات والسماع ، وأنهم يخرون للسجود ، وتفيض أعينهم من الدمع ، وتوجل قلوبهم ، وتقشعر جلودهم .

وفيه عكس ما يجلب الغشي والموت ويحقق الإيمان ، لأن الإيمان معرفة وطمأنينة لا يكون معها الصياح والغشي والموت .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَّيْت عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

جاء هذا بعد السياق عن وجل القلوب ، ومن زاد إيمانه وتوكل على الله لا يموت خوفاً .

وجاء في الأخرى : ﴿ فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ﴾ وليس مع البشرى غشي أو موت .

وقال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ وقال تعالى بعد أن ذكر قشعريرة الجلد : ﴿ ثُمَّ تَلَّيْن جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

ولم يذم الله من لم يغش عليه عند سماع القرآن ، أو لم يضطرب ، أو لم يموت .

(٢٣) حلية الأولياء ٢٩٩/٨ وسير أعلام النبلاء ٤٤٥/٨ .

وإنما ذم المعرضين كأنهم حمر مستفزة ، الصادين عن السماع استكباراً ، والصادين عن تعقل معانيه لو قدر أنهم سمعوا الكلمات .
ونهى عن قسوة القلوب المناقية للخشوع ، وقد بينت معنى الخشوع في كتيب « البكاء المبرور » وهو شئ غير الاضطراب والموت والغشي .

قال أبو عبد الرحمن : وربما قال قائل : أينهى الإنسان عن الموت أو الغشي أو الاضطراب أو الصياح وذلك أمر قهري ؟ !! .
قال أبو عبد الرحمن : إن تسبب ذلك عن سلوك غير شرعي يصل إلى حد الوجد الصوفي والاصطلام فمن المحقق أن وراء ذلك وسطاء من الجن يخلون لذوي الشطح بأضواء وأنوار وملاح وأصوات على أنها الحق جل جلاله ، أو عن الحق ، أو على أنهم ملائكة نورانيون .

فيكون ما صدر عن غير الشرعي غير شرعي .
وقد يتسبب ذلك عن تطبع بأن لا يستحضر الإنسان إلا آيات العذاب ، ويستحوذ على قلبه أن النجاء غير محقق إلا للأنبياء ومن يلي درجاتهم ، ثم يعظم له الشيطان سيناته فيزداد خوفه ويكاد يتحقق بأن مصيره مصير أهل البوار .

فما تسبب عن ذلك من موت أو غشي أو اضطراب أو صياح فهو غير شرعي ، بل هو خلاف الشرع ، لأن المؤمن مطلوب منه الجمع بين الخوف والرجاء ، والموازنة بين عمله وبين ما هو

مطلوب منه شرعاً ، وهذا هو محاسبة النفس ، وتجديد التوبة كما
مر في صدر هذا الفصل عن أحوال أهل السماع المشكور .

والذي يصعق أو يموت لم يحقق الإيمان القلبي الصحيح الذي
يحصل به البشرى والتوكل وزيادة الإيمان واطمئنان القلب .

والفاصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ تَقْشَعْر منه جلود الذين
يخشون ربهم ﴾ ولم يعقب القشعريرة يبوس الجلد أو كسر القلب
بالموت أو الغشي ، وإنما يعقبه الاستعداد للتقبل إذ قال تعالى : ﴿ ثم
تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ .

ويجب اليقين بأن الغشي والصياح والاضطراب والجنون
والموت ليست مطالب شرعية ، لأن المطلوب الخشية والخشوع
والبكاء ولين القلب والقشعريرة .

وعلى هذا فأصحاب تلك الأحوال ليسوا أكمل حالاً من الصحابة
رضوان الله عليهم .

ومن ثم فأصحاب تلك الأحوال لا يكونون قدوة ، ويبقى الخلاف
هل هم معذورون فيما وصلوا إليه من عجز عقلي أو جسمي أو
موت أم لا ؟ .

ويكون القول بعذرهم مرهوناً بإمكان وقوع هذه الأحوال دون
يأس وقنوط وتصور عذاب محقق .

ويمنع من إمكان وقوع هذه الأحوال دون يأس محرم أن تعادل
الخوف والرجاء والجد في العمل ومحاسبة النفس والطمع في رحمة

الله وشهود المؤمن في نفسه آثار الحياة الطيبة في الحياة الدنيا لا ينتهي بالجد إلى صياح أو غشي أو جنون أو موت .
ولا أستثني من هذا المنع إلا احتمال غلبة الوسواس بتحقيق العذاب وفقدان الأمل فحينئذ تقع الحال ولا يكون صاحبها متبعاً .
والأحوال المستحثة ذكر ابن تيمية - كما سيأتي في كلامه - أن بعض السلف أنكرها لبدعيتها .

وحكى عن الجمهور عدم الإنكار إذا كان سبب هذه الأحوال غير محذور .

قال أبو عبد الرحمن : الشرط في هذه الواقعة متصور عقلاً لا واقعاً ، لأن تلك الأحوال إنما تكون عند تغليب للخوف والوعيد وفقدان البشري والطمأنينة والتطبع على الحزن والوجل . . وهذا سبب غير محمود شرعاً .

ويدلك على تغليب اليأس ما مر في أخبار من شهق فمات كتعلق بعضهم بقوله تعالى : ﴿ يرسل عليكم شواظ من نار ﴾ حيث شغلته عن قوله تعالى : ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ .

قال أبو عبد الرحمن : وأكثر ما نكر عن الموت بشهقة حكيات .
فإن صح منها شيء فهو دليل على أن الحزن يقتل إذا بلغ نهائته .
وهؤلاء تدربوا على الحزن بوعاظ قصاص يقرأون بالتحزين كصالح المري ، ويكنفون جانب التخريف ، ولا يبشرون فيذكرون جانب الرحمة ، مع غلبة اليأس والقنوط عند السميمة .

وفي تعليقاتي على أخبار صالح المري المذكورة آنفاً بعض الإضاءات •

قال أبو عبد الرحمن : وتميز حال الصحابة عن أحوال من بعدهم قرره القرطبي وتابعه ابن تيمية •

ومما يضاف إلى كلامهما - لنكون منه على ذكر - قول أبي العباس أحمد بن عمر للقرطبي بعد أن ذكر خشوع الصحابة - رضي الله عنهم - ، ثم ذكر حال من جاء بعدهم ممن يغشى عليه أو يشفق ويموت : « غير أنهم قد أفرط على بعضهم الواردات ، فالحقتهم بالأموات ، وربما صعد بعضهم صعقات منكرات ، أوجب لهم غشوات » (٢٤) •

قال أبو عبد الرحمن : وسجل هذه الظاهرة شيخ الإسلام ابن تيمية فقال عن سماع الذكر للحكيم : « وهذا السماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها ووصفها ، وله في الجسد آثار محمودية من خشوع القلب ، ودموع العين ، واقتضار الجلد ، وهذا مذكور في القرآن ، وهذه الصفات موجودة في الصحابة •

ووجدت بعدهم آثار ثلاثة : الاضطراب والصراخ ، والإغماء ، والموت في التابعين •

(٢٤) كشف للقناع عن حكم الوجد والسماع ص ١٨٤ •

وبالجملة فهذا السماع هو أصل الإيمان ، فإن الله بعث محمداً ﷺ إلى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح ، ومن أعرض عن ذلك ضل وشقي » (٢٥) .

قال أبو عبد الرحمن : ما حدث من الاضطراب والإغماء والصراخ والموت يرد عليه التساؤلات التالية :

- ١ - ما صح هل سببه الخوف من الله ؟ .
- ٢ - ما صح مما سببه الخوف من الله فهل ذلك النوع من الخوف مأمور به أم لا ؟ .
- وهل هو مقتضى الموعظة من الشرع أم عن تطبّع وتعيين مناخ يهيؤه القصاص ؟ .
- أي هل نحن مأمورون بالتطبع على الحزن والخوف حتى لا نشعر إلا بمصير أهل البوار ؟ ١ .
- ومن ثم فهل يكون المدرّب على الإغماء إلى الموت مأجوراً أجريّن ، أو معذوراً وله أجر ولا يكون أسوة ، أم مأزوراً ؟ .
- إن تحقيق أجوبة هذه التساؤلات عماد التبصر في خشية الصحابة وصعق أناس جاءوا بعدهم والله المستعان .

وفهم من كلام الشيخين القرطبي وابن تيمية أنهما لا يصحان دعاوى الموت بالشهقة والغشي في عهد الصحابة رضوان الله عليهم .

قال أبو عبد الرحمن : وقد وردت في ذلك نصوص لا تصح .
قال أبو نعيم : « حدثنا أبي : حدثنا أبو الحسن بن أبان : حدثنا أبو بكر بن عبد : حدثنا شعبة بن أبي سليمان الواسطي : حدثني محمد ابن يزيد بن خنيس : عن عبد العزيز بن أبي رواد قال : لما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ [سورة التحريم / ٦] قرأها رسول الله ﷺ [ذات يوم على أصحابه فخرفتي مغشياً عليه فوضع النبي ﷺ] (٢٦) يده على فؤاده فإذا هو يتحرك (٢٧) ، فقال : يا بني قل : لا إله إلا الله . . فقالها ، فبشره بالجنة .

فقال أصحابه : يا رسول الله لمن هذا ؟ .

قال : أما سمعتم قوله ﴿ ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيدي ﴾ « (٢٨) .

(٢٦) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق من أسواق العشاق ص ٣٨ / ب الذي نقل عن أبي نعيم .

(٢٧) في الأصل : يحرك . . والتصحيح من أسواق العشاق .

(٢٨) حلية الأولياء ٨ / ١٩٥ .

قال أبو عبد الرحمن : هذا خبر لا يصح ، وبين رسول الله ﷺ

وابن أبي رواد ثلاثة أجيال •

قال البقاعي : « ونكره المنذري في أواخر كتابه الترغيب في

فضل الخوف ، وقال رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد • • كذا

قال • • انتهى قول المنذري •

ونكره الحافظ مغلطي من عند ابن أبي الدنيا وروى بسنده

إليه قال : حدثني حسين بن يحيى : حدثني حازم بن حبله : عن (٢٩)

أبي نضرة العبدي : عن أبي سيار : عن الحسن : عن حذيفة - رضي

الله عنه - قال : كان شاب على عهد النبي ﷺ يبكي عند ذكر النار

حتى حبسه ذلك في البيت ، فنكر ذلك للنبي ﷺ فأتاه فلما نظر إليه

الشاب قام إليه فاعتنقه وخر ميتاً •

فقال ﷺ : جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فلذ كبده ،

والذي نفسي بيده لقد أعاده الله منها • من رجا شيئاً طلبه ومن

خاف شيئاً هرب منه » (٣٠) •

قال أبو عبد الرحمن : لو لم يكن هاهنا إلا عنفة الحسن

وإرساله لكفى •

(٢٩) في الأصل : بن أبي • وأبو نضرة المنذر بن مالك •

(٣٠) أسواق العشاق ١/٣٩ •

وقال الحاكم: «أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصفار: حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني محمد بن إسحاق بن حمزة البخاري: حدثنا أبي: حدثنا عبدالله بن المبارك: أنبأنا محمد بن مطرف: عن أبي حازم (أظنه عن سهل بن سعد) أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار، فكان يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت. فذكر ذلك للنبي ﷺ فجاءه في البيت، فلما دخل عليه اعتنقه الفتى وخر ميتاً.»

فقال النبي ﷺ: جهزوا صاحبكم فإن الفرق فلذ كبده.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه «(٣١)»

قال أبو عبدالرحمن: ابن مطرف وثقه الجمهور، وقال ابن حبان في الثقات: يغرب (٣٢).

وأبو حازم هو سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج الثمار المدني القاص.

ولم يسمع أبو حازم من أحد من الصحابة - رضوان الله عليهم - غير سهل - رضي الله عنه - ، وهو عابد ثقة (٣٣)، وأبو حازم - رحمه الله - لم يحقق في هذا الإسناد أن روايته عن سهل.

(٣١) المستدرک ٤٩٤/٢ ، وتابعه الذهبي .

(٣٢) تهذيب التهذيب ٤٦١/٩ - ٤٦٢ .

(٣٣) تهذيب التهذيب ١٤٣/٤ - ١٤٤ .

ومن قبل عبدالله بن المبارك في هذا الإسناد يحتاج إلى مراجعة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « السماع الذي أمر الله به ورسوله ، واتفق عليه سلف الأمة ومشايخ الطريق هو سماع القرآن ، فإنه سماع النبيين ، وسماع العالمين ، وسماع العارفين ، وسماع المؤمنين .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾ [سورة مريم / ٥٨] . وقال تعالى : ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ويخرون للأذقان يكونون يزيدهم خشوعاً ﴾ [سورة الإسراء / ١٠٧ - ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [سورة المائدة / ٨٣] . وقال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ [سورة الأنفال / ٢ - ٤] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذا قرئ

القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴿ [سورة الأعراف / ٢٠٤] .
وقال تعالى : ﴿ وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما
حضره قالوا أنصتوا فلما قُضي ولوا إلى قومهم منذرين ﴾ [سورة
الأحقاف / ٢٩] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً
مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى نكر الله ﴾ [سورة الزمر/ ٢٤] . وقال سبحانه وتعالى :
﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ٠٠﴾ [سورة الزمر / ١٨] .
وهذا كثير في القرآن .

وكما أثنى سبحانه وتعالى على هذا السماع ، فقد ذمّ المعرضين
عنه ، كما قال : ﴿ وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون ﴾ [سورة فصلت / ٢٦] . وقال : ﴿والذين إذا ذكروا بآيات
ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياً﴾ [سورة الفرقان / ٧٣] . وقال
سبحانه وتعالى : ﴿ فما لهم عن التذكّرة معرضين ، كأنهم حمر
مستنفّرة ﴾ [سورة المنثر / ٤٩ - ٥٠] . وقال سبحانه : ﴿ ومن أظلم
ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه ٠٠٠ ﴾
[سورة الكهف / ٥٧] . وقال : ﴿ إن شرّ الدواب عند الله الصم البكم
الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم
لتولوا وهم معرضون ﴾ [سورة الأنفال / ٢٢ - ٢٣] . وقال سبحانه
وتعالى : ﴿ وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها

كان في أنثيه وقرأ ، فبشره بعذاب ألیم ﴿ [سورة لقمان / ٧] ٠

وهذا كثير في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين يمدحون من يقبل على هذا السماع ، ويحبه ويرغب فيه ويؤمن من يعرض عنه ، ويبغضه » (٣٤) ٠

وقبل ابن تيمية استشهد القرطبي - رحمهما الله جميعاً - بهذه الآيات ، وبقوله تعالى : ﴿ فلما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ﴾ [سورة التوبة / ١٢٤] ٠

قال أبو عبد الرحمن : ففيه مع الخوف رجاء ومع الروع بشرى ٠ واستشهد القرطبي بقوله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن قلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [سورة الرعد / ٢٨ - ٢٩] ٠

وقد قدم القرطبي للنصوص التي ساقها بقوله : « اعلم وقلنا الله وإياك بدع المبتدعين ونزغات الزائغين أن سماع رسول الله ﷺ وأصحابه إنما كان القرآن ، فإياه يتدارسون ، وفيه يتفلوضون ، ومعانيه يتفهمون ٠٠ يستعذبونه في صلواتهم ، ويأتسون به في خلواتهم ، ويتمسكون به في محاولاتهم ويلجأون إليه كما أمروا ، وإذا قرأوه تدبروا واعتبروا ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، واقتبسوا أحكامه ٠٠ يتخلقون بأخلاقه ، ويعملون على وفاقه علماً منهم بأنه طريق للنجاة ونيل الدرجات ٠٠٠ وتلاوته أفضل العبادات ،

وأجل القربات ، فإنه حبلى الله المتين ، والصراط المستقيم ، الذي لا تزيف به الأهواء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد . . من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم .

هكذا قاله من عليه الصلاة والسلام والتسليم ، وكان لهم عند سماعه من الأحوال ما قاله ذو الجلال : ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ [سورة الأنفال / ٢] « (٣٥) .

ثم ساق بقية النصوص .

قال أبو عبد الرحمن : لم نؤمر بالتطبع على الغشي والاضطراب والاتغلاق على الزواجر وآيات الخوف حتى يستحوذ على القلب أن عذاب النار واقع لا محالة ، فيكون المصير الغشي أو الصياح أو الاضطراب أو الجنون بعد التطبع على الحزن .

بل حذرنا من قسوة للقلوب وضدها الخشوع .

قال تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ [سورة الحديد / ١٦] .

(٣٥) كشف للقناع عن حكم الوجد والسماع ص ١٧٩ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن سماع الصحابة - رضوان الله عليهم - : « وهذا سماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها ووصفها ، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ، ودموع العين ، واقتشعار الجلد ... »
وقد نكر الله هذه الثلاثة في القرآن ، وكانت موجودة في أصحاب رسول الله ﷺ الذين أثنى عليهم في القرآن ، ووجد بعدهم في التابعين آثار ثلاثة : الاضطراب ، والاختلاج ، والإغماء أو الموت ، والهيام ، فانكر بعض السلف ذلك (٣٦) .
وأما جمهور الأئمة والسلف فلا ينكرون ذلك ، فإن السبب إذا لم يكن محظوراً كان صاحبه فيما تولد عنه معذوراً .
لكن سبب ذلك قوة الوارد على قلوبهم ، وضعف قلوبهم عن حمله فلو لم يؤثر السماع لقسوتهم كانوا مذمومين (٣٧) ، كما نّم الله الذين قال فيهم : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ وقال : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ، وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ، فَقَسَتْ

(٣٦) بقية العبارة : إما لبدعتهم وإما لحبهم .

قال أبو عبد الرحمن : ولم أعرف ما المقصود من حبهم الذي يكون سبباً لإتكار السلف عليهم ، فتجاوزت العبارة وتوقعت أن في الكلام تطبيعاً .

(٣٧) قال أبو عبد الرحمن : عكس القسوة الخشية والخشوع والبكاء لا الأحوال المستحدثة .

قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون ﴿ (٣٨) ٠

وتكلم شيخ الإسلام عن هذه الأحوال في موضع آخر فقال :
« فالأحوال التي ترد على العباد وأهل المعرفة والزهاد ونحوهم مما
توجب زوال عقل أحدهم وعلمه حتى تجعله كالمجنون والموله

(٣٨) مجموع الفتاوى ١١/٥٩٠ - ٥٩١ و ص ٦٢٩ وبعد هذه العبارة : « ولو أثر

فيهم آثاراً محمودة لم يجنبهم عن حد العقل : لكنوا كمن أخرجهم إلى حد
الغلبة كانوا محمودين أيضاً ومعذورين » ٠

قال أبو عبد الرحمن : هذا كلام مضطرب غير مفهوم ، وهو إما تطبيع وإما
فساد في الأصل ٠

قال أبو عبد الرحمن : في هذا الكلام تعقيد ، ومعناه أن السماع إذا لم يخرجهم
عن حد العقل فحكمه حكم من أخرج السماع إلى حد العجز - كما سيأتي
التقسيم في كلامه اللاحق إلى زوال عقل وزوال قدرة - فهو محمود معذور
لأن السماع أثر به آثاراً حميدة ٠

قال أبو عبد الرحمن : إذا كانت الآثار ما سلف من أحوال الصحابة فتلك آثار
محمودة بلا خلاف ٠

وإن كانت تلك الآثار ما حدث من أحوال من بعد الصحابة ففي ذلك الخلاف
هل هي آثار محمودة أم لا ؟ ٠

الجواب : أنه إذا تصور واقعاً أن الغشي والصياح والجنون والموت كل ذلك
يحصل بدون تغليب للقنوط واليأس ، وبدون تعاطي سبب غير مشروع ؛ فإن
صاحب تلك الأحوال معذور مأجور وليس أكمل حالاً ، لأن الصحابة أكمل
حالاً ومنعهم إيمانهم المعتدل بين الخوف والرجاء من أن يكونوا ضحايا تلك
الأحوال المستحدثة ٠

والسكران والنائم ... أو زوال قدرته حتى تجعله كالعاجز ،
أو تجعله كالمضطرب الذي يصدر عنه القول والفعل بغير إرادته
واختياره فإن زوال العقل والقدرة قد يوجب عجزه عن أداء
واجبات ، وقد يوجب وقوعه في محرمات ، فهؤلاء يقال فيهم : إن
كان زوال ذلك بسبب غير محرم فلا حرج عليهم فيما يتركونه من
الواجبات ويفعلونه من المحرمات (٣٩) .

ولا يجوز أيضاً اتباعهم فيما هو خارج عن الشريعة من أقوالهم
وأفعالهم ، ولا ننمهم على ذلك ، بل قد يمدحون على ما وافقوا فيه
الشريعة من الأقوال والأعمال ، ويرفع عنهم اللوم فيما عذرهم فيه
الشارع كما يقال في المجتهد المخطئ سواء ، بل المجتهد المخطئ
نوع من هذا الجنس حيث سقط عنه اللوم لعجزه عن العلم .

-- ولكن الراجح أن تلك الآثار لا تحصل إلا لمن غلب عنده جانب العذاب
والياس كأن النار ما خلقت إلا لهم في أحوالهم تلك .

أما الكمل فيعتقدون أن النار خلقت للكفار ولمن اقتضت مشيئة الله تعذيبه
من عصاة الموحدين ، ولكنهم إذا عملوا شئروا وعملوا عمل من يعتقد أن
النار ما خلقت إلا له .

وليس هذا اعتقاده في الواقع .

(٣٩) قال أبو عبد الرحمن : يبقى الخلاف في السبب غير المحرم هل يوصل إلى
عجز عقلي أو جسمي ؟ ١٢ .

وإن كان زوال ذلك بسبب محرم استحقوا الذم والعقاب على ما يتركونه من واجب ويفعلونه من محرم .

مثال الأول من يسمع القرآن على الوجه المشروع فهاج له وجد يحبه ، أو مخافة أو رجاء ، فضعف عن حمله حتى مات أو صقق أو صاح صياحاً عظيماً ، أو اضطرب اضطراباً كثيراً (٤٠) ، فتولد عن ذلك ترك صلاة واجبة ، أو تعدد على بعض الناس ، فإن هذا معذور في ذلك ، فإن هذا في هذه الحال بمنزلة عقلاء المجانين المولاهين الذين حصل لهم الجنون مع أنهم من الصالحين وأهل المعرفة : إما لقوة الوارد الذي ورد عليهم ، وإما لضعف قلوبهم عن حمله ، وإما لانحراف أمزجتهم وقوة الخلط ، وإما لعارض من الجن ، فإن هؤلاء كما بلغنا عن الإمام أبي محمد المقدسي حيث سئل عنهم فقال : هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولاً وأحوالاً ، فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم ، وأسقط ما فرض بما سلب .

ولهذا كان هذا الصنف والذي قبله موجوداً في التابعين ومن بعدهم لا سيما في عبّاد البصريين ، فإن فيهم من مات من سماع القرآن كزرارة بن أوفى ، وأبي جهير الضرير وغيرهما .

(٤٠) قال أبو عبد الرحمن : لا يتصور هذا لمن كان إيمانه إيمان غيب لا شهادة إلا إذا انجم قلبه على غلبة العذاب مع اليأس من الرحمة وانصراف النظر كلياً عن الامتثال الذي يكون سبباً للجنة .

فإن قيل : «حصل لهم وارد اليأس أو شدة الخوف بوسواس» : فهم حينئذ معذرون ، وصاحب الوسواس لا يكون قدوة .

وأما الصحابة فإن حالهم كان أكمل من أن يكون فيهم مجنون أو مصعوق .

ومن هؤلاء أيضاً من غلب عليه الذكر لله والتوحيد له والمحبة حتى غاب بالمذكور المشهود المحبوب المعبود عما سواه كما يحصل لبعض العاشقين في غيبته بمعشوقه عما سواه (٤١) ، فيقول أحدهم في هذه الحال : أنا الحق ، أو سبحانه ، أو ما في الجبة إلا الله . ومنهم من غلب عليه حال الرجاء والرحمة حتى قال : أبسط سجادتي على جهنم .

فمن قال هذا في حال زوال عقله بحيث يكون كالسكران أو الموله ، وكان السبب الذي أوجبه ذلك غير منهي (٤٢) عنه شرعاً فلا إثم عليه . ومثال الثاني ما قد يحصل عند سماع المكاء والتصديّة لكثير من أهل السماع ، فإنه قد ينشد أشعاراً فيها ما يخالف الشرع بأصوات مخالفة للشرع ، ويكون للإنسان فيه استعداد فيوجب ذلك اختلاطاً وزوال عقل ، حتى يقتل بعضهم بعضاً إما ظاهراً ، وإما باطناً بالهمة والقلوب (٤٣) .

(٤١) قال أبو عبد الرحمن : لا والله ليس في الشرع غيبة بمحسوب وفناء ، ولا يمكن أن يكفر فيقول : أنا الحق أو سبحانه من غلب عليه ذكر الله .

وإنما يقول ذلك مجنون ، أو مغلوب على عقله تلك اللحظة ، لو كافر دعي . (٤٢) لا يمكن أن يكون السبب غير منهي عنه إلا بجنون غير إرادي ، وأما من تعرض لاستخدام الجن فجنونه إرادي .

(٤٣) قال أبو عبد الرحمن : لا أعهد شيئاً عن القتل بالهمة والقلوب حاشا العين فإنها حق وهي تقتل ، بإذن الله . والسحر ليس من أعمال القلوب .

ويوجب أيضاً من ترك واجبات الشريعة ، ومن الاعتداء على المؤمنين في الدين والدنيا ما الله به عليم .

وكذلك قد يسلك أحدهم عبادات غير شرعية في الاعتقادات والأعمال فتورثه تلك العبادات والأعمال أحوالاً قوية قاهرة يترك بها الواجبات ، ويفعل بها المحرمات أعظم مما يفعله الملك الجبار إذا سكر بشرب الخمر بالنفوس والأموال .

وإذا خوطب أحدهم في حال صحوه وعقله قال : كنت مغلوباً ، وورد علي وارد فعل بي هذا ، والحكم للوارد .

وهذه حال كثير من خفراء العدو وكثير ممن يعين الكفرة والظلمة ، ويعتدي على المسلمين والمؤمنين من أهل الأحوال ، ويقول : إنه مغلوب في ذلك ، وأنه ورد عليه وارد أوجب ذلك ، وأنه خوطب بذلك الفعل .

فيقال : أما زوال عقلك حتى صرت لا تفهم أمر الله ونهيه وزوال قدرتك حتى صرت مضطراً إلى تلك الأفعال (وإن كنت صادقاً في ذلك) فسببه تفريطك وعدوانك أولاً حتى صرت في حال المجانين والسكران ، فأنت بمنزلة شارب الخمر الذي سكر منها ، والمتعرض للعشق حتى يعشق فيفعل فيه العشق الأفاعيل ، إذ لا فرق بين سكر الأصوات والصور والشراب ، فإن هذا سكر الأجسام وهذا سكر النفوس وهذا سكر الأرواح ، فإذا كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً في دين الإسلام .

ولهذا إنما تقع هذه الأحوال ممن فيه نصرائية يميل بسببها إلى السكر كما يفعله النصراني في الشراب والأصوات والصور ، ولهذا كان هؤلاء في عالم الضلال .

وأما قولك : إنك خطبت بذلك وأمرت فمن أي الجهتين ؟ .
 أمن جهة الكلمات الدينية ؟ .
 أم من جهة الكلمات الكونية ؟ .

فالأولى مثل قوله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ وقوله : ﴿ هو الذي بعث في الأميين ﴾ وقوله : ﴿ ولقد أرسلنا رسالنا بالبينات ﴾ .

والثانية مثل قوله : ﴿ أمرنا مترفيها ﴾ وقوله : ﴿ بعثنا عليكم عبداً لنا ﴾ وقوله : ﴿ إنا أرسلنا الشياطين ﴾ .

فإن ذكرت أنه من الجهة الأولى فباطل بخلاف الكتاب والسنة .
 وإن أقررت أنه من الثانية فصحيح ، لكن هذا حال الكفار والمنافقين مثل إبليس وفرعون ونمرود ، وسائر من أطاع الأوامر الكونية ، وتبع الإرادة القدرية وأعرض عن الأوامر الشرعية ، ولم يقف عند الإرادة الدينية .

فتدبر هذا الأصل ؛ فإنه عظيم نافع جداً فتكشف به الأحوال المخالفة للشرع ، وانقسام أهلها إلى معذور وموزور انقسامها إلى مسطور على صاحبه ومغفور بمنزلة الأحوال الصادرة عن غير أهل العبادات والزهاديات من العقل والصحو ، ومن الإغماء والسكر

والجنون ، ومن الاضطراب والاختيار ؛ فإن أحوال الملوك والأمراء وأحوال الهداة والعلماء ، وأحوال المشايخ والفقراء تشترك في هذه القاعدة الشريفة ، وتحكم الشريعة فيها بالفرقان .

وإذا ضم إلى ذلك أن ما يصدر عن ذوي الأحوال من كشف علمي أو تأثير قدري ليس بمستلزم لولاية الله ، بل ولا للصالح ، بل ولا للإيمان ، إذ قد يكون هذا الجنس في كافر ومنافق وفاسق وعاص ، وإنما أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون .

ففرق بين ولاية الله وبين الأحوال ، كما فرق بين خلافة النبوة وبين جنس الملك ، وفرق بين العلم الذي ورثته الأنبياء وجنس الكلام ، فبين هذين النوعين خصوص وعموم ، فقد يكون الرجل ولياً لله له حال تأثير وكشف ، وقد يكون ولياً ليس له تلك الحال بكمالها ، وقد يكون له شيء من هذه الأحوال وليس ولياً لله ، كما قد يكون خليفة نبي مطاعاً ، وقد يكون خليفة نبي مستضعفاً ، وقد يكون جباراً مطاعاً ليس من النبوة في شيء ، وقد يكون عالماً ليس متكلماً ، بما يخالف كلام الأنبياء ، وقد يكون عالماً متكلماً بكلام الأنبياء « (٤٤) » .

قال أبو عبد الرحمن : هذا كلام نفيس ، وهو كاف لمن كان

(٤٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/٣٤٨ - ٣٥٣ .

هدفه معرفة الحكم في أصحاب ذوي الأحوال هل هم معذورون أو غير معذورين •

فقد يعمل المسلم غير الجائز ويكون معذوراً •

أما من همه حكم الحال ذاتها فعليه أن يقف عند حال ذوي المثال الأول الذين هم معذورون ليعلم أن الموت والصعق والاضطراب الكثير من سماع القرآن لن يكون عن إيمان صحيح نقي من الشوائب ، ولو كان كذلك لكان من يموت أعظم درجة ممن لا يموت فيكون هؤلاء أعلى مقاماً من محمد ﷺ وصحبه ؟ •

ومعاذ الله أن نزع لأحد من الأمة مقاماً إيمانياً أعلى من مقام

محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم •

وفناء الصوفية قسمه شيخ الإسلام إلى فناء إرادة ، وفناء شهود •

وفسر فناء الإرادة ومدحه بقوله : « فناء القلب عن إرادة ما

سوى الرب والتوكل عليه وعبادته وما يتبع ذلك ، فهذا حق صحيح

وهو محض التوحيد والإخلاص ، وهو في الحقيقة عبادة القلب وتوكله

واستعانتة ، وتألّفه وإنابته وتوجهه إلى الله وحده لا شريك له ،

وما يتبع ذلك من المعارف والأحوال وليس لأحد خروج عن هذا •

وهذا هو القلب السليم الذي قال الله فيه : ﴿ إِنْ مِنْ أَتَى اللَّهَ

بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ وهو سلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة والإرادات

الفاسدة وما يتبع ذلك •

وهذا الفناء لا ينافيه البقاء بل يجتمع هو والبقاء فيكون العبد فانياً عن إرادة ما سواه وإن كان شاعراً بالله وبالسوى ، وترجمته قول لا إله إلا الله .

وكان النبي ﷺ يقول : لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلاياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن . وهذا في الجملة هو أول الدين وآخره » (٤٥) .
 وفسر فناء الشهادة وزمه بقوله : « وفناء القلب عن شهود مما سوى الرب ، وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه ، فهذا الفناء فيه نقص ، فإن شهود الحقائق على ما هي عليه وهو شهود الرب (٤٦) مديراً لعباده أمراً بشرائعه أكمل من شهود وجوده أو صفة من صفاته أو اسم من أسمائه والفناء بذلك عن شهود ما سوى ذلك .
 ولهذا كان الصحابة أكمل شهوداً من أن ينقصهم شهود للحق مجملاً عن شهوده مفصلاً .

ولكن عرض كثير من هذا لكثير من المتأخرين من هذه الأمة كما عرض لهم عند تجلي بعض الحقائق (٤٧) الموت والغشي

(٤٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٤٦) قال أبو عبد الرحمن : هناك شهود بصر وشهود بصيرة ، فشهود البصيرة العلم بالله وبماله من الكمال ، وشهود البصيرة رؤية مخلوقاته وآثار فعله الدالة عليه .
 فهذان هما معنى الشهود ما هنا .

(٤٧) هذا إن تجلى له في نوم أو يقظة رؤيا حقيقة بغير سبب منه ، ولا قدرة له على مشاهدتها كمشهد من نار جهنم فهو معذور .
 وهذا أمر خارج عن الأحوال التي تقع من مجرد السماع والإيمان .

والصياح والاضطراب ، وذلك لضعف القلب عن شهود الحقائق على ما هي عليه ، وعن شهود التفرقة في الجمع والكثرة (٤٨) في الوحدة ، حتى اختلفوا في إمكان ذلك .

كثير منهم يرى أنه لا يمكن سوى ذلك لما رأى أنه إذا ذكر الخلق أو الأمر اشتغل عن الخلق الأمر ، وإذا عورض بالنبي ﷺ وخلفائه ادعى الاختصاص ، أو أعرض عن الجواب أو تحير في الأمر . وسبب ذلك أنه قاس جميع الخلق على ما وجدته من نفسه ، ولهذا يقول بعض هؤلاء : إنه لا يمكن حين تجلي الحق سماع كلامه . ويحكى عن ابن عربي أنه لما ذكر له عن الشيخ شهاب الدين السهروردي أنه جوز اجتماع الأمرين قال : نحن نقول له عن شهود الذات وهو يخبرنا عن شهود الصفات » (٤٩) .

قال أبو عبد الرحمن : إن الله تعبد الخلق بالإيمان بالغيب ، وحجب تجليه أن يكون عالم شهادة لأن ميزة العبد في الإيمان بالواقع المغيب بعد أن أقام الله له الحجة عليه .

وتجلي بعض الحقائق للمؤمن لا تتجاوز أن تكون معطى إيمانياً علمياً يحصل معه أعمال قلبية من خشية وخوف وشوق .

(٤٨) الكثرة والجمع تعبيرات صوفية ، فالتفرقة في الجمع التفرقة بين الخلق والخالق

في غير حال الفناء ، والكثرة في الوحدة إمكان مشاهدة السوى حال الفناء .

(٤٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٨/١٠ - ٣٣٩ .

أما الموت والغشي والجنون فيحتمل أن يكون عن تجلٍ حسي سمعي أو بصري ، وهذا لم يدعه أفضل الخلق الرسل والصحابة وأتباعهم (إلا في حالات وحي ربط الله على قلوبهم فيها كتكليم موسى لربه ، وكمشاهدات الإسراء والمعراج) فيحصل لهم أعراضه ، فتجزم حينئذ أن ما عرض لسواهم إما ادعاء ، وإما حقيقة من تجليات الجن صالحين وطالحين ، فلا يكون ما حصل لأهل التجلي ميزة إيمانية .
ولهذا لما ساق شيخ الإسلام هذا الفناء وحكى أحكامه عن ابن عربي والسهورودي أعقبه بقوله : « وفي هذا الفناء قد يقول : أنا الحق ، أو سبحانه ، أو ما في الجبة إلا الله إذا فني بمشهوده عن شهوده ، وبموجوده عن وجوده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن عرفانه » (٥٠) .

قال أبو عبد الرحمن : هذا لا يصدر عن ذوي ميزة إيمانية .
وشيخ الإسلام أحسن الظن بأناس كان لهم فناء كصاحب « منازل السائرين » فحاول تمييز فئاتهم بميزة شرعية عن الفناء الكفري فقال : « ولهذا اتفق العارفون على أن حال البقاء أفضل من ذلك وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق كما قال الله تعالى فيما روى عنه رسوله : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش

بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعانني لأعيننه ، فبي يسمع وبي يبصر ، وبي يبطش وبي يمشي » .
وفي رواية : « وبي ينطق وبي يعقل » .

فإذا سمع بالحق ورأى به سمع الأمر على ما هو عليه وشهد الحق على ما هو عليه .

وعامة ما تجده في كتب أصحاب الصوفية مثل شيخ الإسلام ومن قبله من الفناء هو هذا .

مع أنه قد يخلط بعضهم في بعض أحكامه كما تكلمت عليه في غير هذا الموضع .

وفي الجملة فهذا الفناء صحيح وهو في عيسوية المحمدية ، وهو شبيه بالصعق والصباح الذي حدث في التابعين .

ولهذا يقع كثير من هؤلاء في نوع ضلال ، لأن الفناء عن شهود الحقائق مرجعه إلى عدم العلم والشهود .

وهو وصف نقص لا وصف كمال ، وإنما يمدح من جهة عدم ما سواه ، لأن ذكر المخلوق قد يدعو إلى إرادته والفتنة به » (٥١) .

قال أبو عبد الرحمن : الفناء اصطلاح غير شرعي لم يرد بمعناه نص شرعي أو سيرة عملية من أصحاب رسول الله ﷺ .

وإنما كان هو - أي الاصطلاح - ومعناه مما أحدثه أهل

التصوف فلا نُنزَلُ عليه الحديث القدسي لأن الحديث القدسي عن هداية التوفيق والتسديد والمتاع الحسن ، لأنهما ثمرة حب الله لعبده . ومدلول الحديث أن من ثمار حب الله أن يشهد العبد الحقائق كما هي عليه ، ويعتقد ويعلم ويعمل بمقتضى مراد الله الشرعي .
فأي فناء ها هنا ؟ ! •

وصاحب « منازل السائرين » ليس صحابياً ، وليس معصوماً فيجب أن نزن الرجال بأقوالهم وأعمالهم بميزان الشرع فما كان خطأ خطأناه ولا يحملنا حبهم على تسويغ الخطأ وتوجيهه باحتجاج على تسويغ لا ينطبق عليه •

والفناء بأعرافه ليس مما يلزمنا فنوفق بينه وبين حقائق الشرع . وما ذكره شيخ الإسلام من فناء الإرادة ومدحه له غير مسلم إلا في الأمور التعبدية التي هي نقيض الأمور الشريكية •
أما الأمور العادية التي هي من قدر المخلوقين وتسبباتهم فليست دعوى الفناء مطلوبة فيها •

ولا يكفي مجرد الشعور بالسوى ، ولا يكون ما زاد على الشعور بالسوى ناقصاً من التوحيد مفسداً للأعمال القلبية •
بل يشهد القلب المفعم إيماناً بالله السوى ويتعامل معه حباً وبغضاً وخوفاً ورجاء في الأمور العادية التي هي من قُدر العباد لأن الله جعل من استخلافنا على الأرض أموراً نقوم على أفعالنا والتعاون فيما بيننا •

غاية ما هنالك أن مالا يقدر عليه إلا الله يفنى فيه عما سواه ليكون عبادة لله ، فإن طلب من السوى كان شركاً .
وهذا تطيب للخاطر باستعمال الفناء والسوى ما دام معناهما بالمعنى المذكور .

والأرشد أن يقال : مالا يقدر عليه إلا الله لا يطلب إلا من الله .
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأكابر الأولياء كآبي بكر وعمر والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يقعوا في هذا الفناء فضلاً عن هو فوقهم من الأنبياء ، وإنما وقع شيء من هذا بعد الصحابة .
وكذلك كل ما كان من هذا النمط مما فيه غيبة العقل والتمييز لما يرد على القلب من أحوال الإيمان ؛ فإن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا أكمل وأقوى وأثبت في الأحوال الإيمانية من أن تغيب عقولهم أو يحصل لهم غشي أو صعق أو سكر أو فناء أو وله أو جنون ، وإنما كان مبادئ هذه الأمور في التابعين من عباد البصرة ، فإنه كان فيهم من يخشى عليه إذا سمع القرآن ، ومنهم من يموت كآبي جهير الضرير ووزارة بن أوفى قاضي البصرة .

وكذلك صار في شيوخ الصوفية من يعرض له من الفناء والسكر ما يضعف معه تمييزه حتى يقول في تلك الحال من الأقوال ما إذا صحا عرف أنه غلط فيه كما يحكى نحو ذلك عن مثل أبي يزيد ، وأبي الحسن النوري ، وأبي بكر الشبلي وأمثالهم بخلاف أبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والفضيل بن عياض ، بل وبخلاف

الجنيد وأمثالهم ممن كانت عقولهم وتمييزهم يصحبهم في أحوالهم فلا يقعون في مثل هذا الفناء والسكر ونحوه .

بل الكمل تكون قلوبهم ليس فيها سوى محبة الله وإرادته وعبادته ، وعندهم من سعة العلم والتمييز ما يشهدون الأمور على ماهي عليه ، بل يشهدون المخلوقات قائمة بأمر الله مدبرة بمشيئته ، بل مستجيبة له قانتة له ، فيكون لهم فيها تبصرة وذكرى ، ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيداً وممدداً لما في قلوبهم من إخلاص الدين ، وتجريد التوحيد له ، والعبادة له وحده لا شريك له .

وهذه الحقيقة التي دعا إليها القرآن ، وقام بها أهل تحقيق الإيمان والكمل من أهل العرفان .

ونبينا ﷺ إمام هؤلاء وأكملهم ، ولهذا لما عرج به إلى السماوات وعاین ما هنالك من الآيات وأوحى إليه ما أوحى من أنواع المناجاة أصبح فيهم وهو لم يتغير حاله ، ولا ظهر عليه ذلك بخلاف ما كان يظهر على موسى من التغشي صلى الله عليهم وسلم أجمعين « (٥٢) .

قال أبو عبد الرحمن : موسى عليه السلام طلب رؤية الله فأراه الله اندكاك المخلوق عند تجلي الخالق فكان في ذلك مجال للغشي .

وأما محمد ﷺ فعرج به بلا طلب منه تكريماً له فثبت الله قلبه .

* * *

[أيها العاذلون لا تعذلوني
وانظروا حسن وجهها تعذروني
وانظروا هل ترون أحسن منها
إن رأيتم شبهها فاعذلوني
بي جنون الهوى وما بي جنون
وجنون الهوى جنون الجنون

عن مشارق أنوار القلوب للأصاري

[ص ٩٨]

الباب الثاني : العشاق بين الوصل والحرمان

الفصل الأول : كيف يسئ العشاق ؟ .

الفصل الثاني : حديث ((من عشق فف))

رواية ودراية .

الفصل الثالث : العشاق والوصل .

الفصل الرابع : فتاوى بين الإباحة والحظر .

[أعاذلتني لا تعذلي عاشقاً مثلي
ولكن دعيني واعذلي الحب من أجلي
ونوحى على صب بكت عائداته
صريع الخدود البيض والأعين النجل
رمى فلما أن أصبى مقاتلي
تولين وانضمت جراحى على النبل

[ابن المعتز]

الفصل الأول :

كيف يسلو العشاق ؟ !

العاشق المحروم إما أن يسلو ، وإما أن يعجز فيموت بشهقة حسبما بين في الباب الثالث ، أو بدنف يضنيه حتى يموت شبحاً ، أو يفقد عقله .
ولا تلتمس أشعار وأخبار الذين سلوا وصبروا ، لأن السلو صمت ، وليس لساكت قول .

والسلو عن حب أو عشق كلاهما يتحول ويتبدل بالسلو ، لأن الأبناء مهما بالغوا في العشق ولزوقه إلا أنه آت عن فراغ شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : « وذلك أن النفس الصافية التي فيها رقة الرياضة ، ولم تتجذب إلى محبة الله وعبادته انجذاباً تاماً ، ولا قام بها من خشية الله التامة ما يصرفها عن هواها : متى صارت تحت صورة من الصور استولت تلك الصورة عليها كما يستولي السبع على ما يفترسه .

فالسبع يأخذ فريسته بالقهر ولا تقدر الفريسة على الامتناع منه ، كذلك ما يمثل الإنسان في قلبه من الصور المحبوبة تبتلع قلبه وتقهره ، فلا يقدر قلبه على الامتناع منه ، فيبقى قلبه مستغرقاً في تلك الصورة أعظم من استغراق الفريسة في جوف الأسد ؛ لأن المحبوب المراد هو غاية النفس ، له عليها سلطان قاهر » (١) .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٩٥/١٠ .

قال أبو عبد الرحمن : التخلية من العشق رياضة الأبطال نوي العزائم ، والتخلية بالانجذاب إلى الله .
 وشرع الله هو العوض الجالب للسلو لأنه المطلب الأساس .
 وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فأما إذا ابتلي بالعشق وعف وصبر فإنه يثاب على تقواه لله ، وقد روي في الحديث : أن من عشق فعف وكنم وصبر ثم مات كان شهيداً .
 وهو معروف من رواية يحيى القات : عن مجاهد : عن ابن عباس مرفوعاً ، وفيه نظر ولا يحتج بهذا (٢) .
 لكن من المعلوم بأدلة الشرع أنه إذا عف عن المحرمات نظراً وقولاً وعملاً ، وكنم ذلك فلم يتكلم به حتى لا يكون في ذلك كلام محرم (إما شكوى إلى المخلوق ، وإما إظهار فاحشة ، وإما نوع طلب للمعشوق) وصبر على طاعة الله ، وعن معصيته ، وعلى ما في قلبه من ألم العشق كما يصبر المصاب عن ألم المصيبة : فإن هذا يكون ممن اتقى الله وصبر ﴿ ومن يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ (٣) .
 وقال رحمه الله : « فالله سبحانه فطر عبده على محبته وعبادته وحده ، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفاً بالله محباً له عابداً له وحده .

(٢) قال أبو عبد الرحمن : صدر عن دار ابن حزم بالرياض كتبي « بطلان حديث

من عشق وعف موصولاً وتحسينه في الوقف » .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣٣/١٠ .

وإذا كان القلب محباً لله وحده ، مخلصاً له الدين : لم يبتل بحب غيره أصلاً . . فضلاً أن يبتلى بالعشق ، وحيث ابتلى بالعشق فلنقص محبته لله وحده .

وما يبتلى بالعشق أحد إلا لنقص توحيده وإيمانه .

وكل من أحب شيئاً بعشق أو غير عشق ؛ فإنه يصرف من محبته بمحبة ما هو أحب إليه منه إذا كان يزاحمه ، وينصرف عن محبته بخوف حصول ضرر يكون أبغض إليه من ترك ذاك المحب ، فإذا كان الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأخوف عنده من كل شيء : لم يحصل معه عشق ولا مزاحمة إلا عند غفلة أو عند ضعف . . هذا الحب والخوف بترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ، فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فكما فعل العبد الطاعة محبة لله وخوفاً منه ، وترك المعصية حباً له وخوفاً منه : قوي حبه له وخوفه منه ، فيزيل ما في القلب من محبة غيره ومخافة غيره . وهكذا أمراض الأبدان فإن الصحة تحفظ بالمثل ، والمرض يدفع بالضد ، فصحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل ، وهو ما يورث القلب إيماناً من العلم النافع والعمل الصالح ، فتلك أغذية له كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً وموقوفاً : أن كل آدب يحب أن تؤتى مآدبته ، وأن مآدبة الله هي القرآن .

ثم ذكر - رحمه الله - أوقات التعبد مثل آخر الليل ، وأوقات الأذان والإقامة ، وفي سجوده ، وفي أدبار الصلوات ، فقال : « ويضم

إلى ذلك الاستغفار ، فإنه من استغفر الله ثم تاب إليه متعاً متاعاً حسناً إلى أجل مسمى .

وليتخذ ورداً من الأذكار في النهار ووقت النوم ، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف ، فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروح منه ، ويكتب الإيمان في قلبه .

وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس باطنية وظاهرة فإنها عمود الدين ، وليكن هجيراً : لاهول ولا قوة إلا بالله ، فإن بها تحمل الأثقال وتكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال .

ولا يسأم من الدعاء والطلب ، فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل ، فيقول : قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي ، وليعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً ، ولم ينل أحد شيئاً من ختم الخير (نبي فمن دونه) إلا بالصبر» (٤) .

وقال : «وعبودية القلب وأسرته هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب ، فإن المسلم لو أسره كافر أو استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك إذا كان قائماً بما يقدر عليه من الواجبات .

فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب . . كما أن الغنى غنى النفس .

قال النبي ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، وإنما الغنى غنى النفس » .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣٥/١٠ - ١٣٧ .

وهذا لعمرى إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة ، فأما من استعبد قلبه صورة محرمة (امرأة أو صبي) فهذا هو العذاب . وهؤلاء من أعظم الناس عذاباً وأقلهم ثواباً ، فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها مستعبداً لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصىه إلا رب العباد (ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى) . . فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب منه ، ويزول أثره من قلبه . . وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة

ومتى إفاقة من به سكران ؟ !

وقيل :

قالوا جنت بمن تهوى فقلت لهم

العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه

وإنما يصرع المجنون في الحين

ومن أعظم أسباب هذا البلاء إغراض القلب عن الله ، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ولا أذ ولا أطيّب ، والإنسان لا يترك محبوباً إلا بمحسوب آخر يكون أحب إليه منه ، أو خوفاً من مكروهه . . فالحب الفاسد

إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح أو بالخوف من الضرر» (٥) .
 قال أبو عبد الرحمن : ولست أنكر أن المحبة أنواع ، وأن الحب درجات ، وأن العشق من أعلى درجاته ، وأنه الداء المبرح .
 وإنما أقول : الحب يعوض عنه بمحبوب غيره ، فإذا تحرى الرجل المرأة الموافقة له رفعت عنه غبن التعلق بأجنبية .
 وأما العشق فعبودية لثيمة تقتضي تصحيح العقيدة ، وتحقيق إيمان القلب على نحو ما سلف من كلام شيخ الإسلام .
 وقال الإمام أبو محمد ابن حزم عن أنواع المحبة : « المحبة ضروب ، فأفضلها محبة المتحابين في الله عز وجل : إما لاجتهاد في العمل ، وإما لاتفاق في أصل النحلة والمذهب ، وإما لفضل علم يُمنحه الإنسان .

ومحبة القرابة ، ومحبة الإلفة في الاشتراك في المطالب ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره ، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق » (٦) .
 وقال أبو محمد في كتاب آخر عن أنواع المحبة : « وإنما قدر الناس أنها تختلف من أجل اختلاف الأغراض فيها ، وإنما اختلفت الأغراض من أجل اختلاف الأطماع وتزايدها وضعفها وانحصامها .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/ ١٨٦ - ١٨٧ .

(٦) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/ ٩٥ - ٩٦ .

فتكون المحبة لله عز وجل وفيه ، وللاتفاق على بعض المطالب ، ولألب والابن والقراية والصديق والسلطان ، ولذات الفراش ، والمحسن ، والمأمول ، والمعشوق .

فهذا كله جنس واحد اختلفت أنواعه كما وصفت لك على قدر الطمع فيما ينال من المحبوب ، فلذلك اختلفت وجوه المحبة .
وقد رأينا من مات أسفاً على ولده كما يموت العشاق أسفاً على معشوقه .

وبلغنا عن شهق من خوف الله تعالى ومحبتة فمات .
ونجد المرء يغار على سلطانه وعلى صديقه كما يغار على ذات فراشه وكما يغار العشاق على معشوقه .

فأدنى أطماع المحبة ممن تحب الحظوة منه ، والرفعة لديه ، والزلفة عنده إذا لم تطمع في أكثر ، وهذه غاية أطماع المحبين لله تعالى ، ثم يزيد الطمع في المجالسة ، ثم في المحادثة والمؤازرة .
وهذه أطماع المرء في سلطانه وصديقه ونوي رحمه .

وأقصى أطماع المحب ممن يحب المخالطة بالأعضاء إذا رجا ذلك ، ولذلك نجد المحب المفرط المحبة في ذات فراشه يرغب مجامعتها على هيئات شتى في أماكن مختلفة ليتكرر من الاتصال ، ويدخل في هذا الباب للملامسة بالجسد والتقبيل ، وقد يقع بعض هذا الطمع في الأب في ولده فيتعدى إلى التقبيل والتعنيق .

وكل ما ذكرنا إنما هو على قدر الطمع ، فإذا انحصم الطمع

عن شيء ما لبعض الأسباب الموجبة له مالت النفس إلى ما تطمع فيه « (٧) » .

قال أبو عبد الرحمن : المسلم لا يطمع إلا فيما أحله الله له ، ولهذا تتصرف نفسه عما حرم الله وأسبابه ، وتتجذب إلى حب الله وتحقيق ما يريده سبحانه وتعالى .

ولما ذكر أبو محمد ابن حزم أنواع المحبة قال : « فكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء علها ، وزائدة بزيادتها ، وناقصة بنقصانها . . متأكدة بدنوها ، فائرة ببعدهما حاشا محبة العشق الصحيح المتمكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا بالموت .

وإنك لتجد الإنسان السالي بزعمه ، وذا السن المتأهية إذا نكرته تذكر ، وارتاح ، وصبا ، واعتاده الطرب ، واهتاج له الحنين .

ولا يعرض في شيء من هذه الأجناس المنكورة (من شغل البال والخبل والوسواس وتبدل الغرائز المركبة ، واستحالة السجايا المطبوعة ، والنحول والزفير وسائر دلائل الشجا) ما يعرض في العشق « (٨) » .

ونذكر أبو محمد أن الحب المشترك إنما هو حب شهوة ، وأما العشق فلا يكون إلا لشخص واحد .

(٧) مداواة النفوس ضمن رسائل ابن حزم ٣٦٩/١ - ٣٧٠ .

(٨) رسائل ابن حزم ٩٦/١ .

قال أبو محمد : « وأما ما يقع من أول وهلة ببعض أعراض الاستحسان الجسدي ، واستطراف البصر الذي لا يجاوز الألوان ، فهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة ، فإذا فضلت الشهوة وتجاوزت هذا الحد ووافق الفضل اتصال نفساني تشترك فيه الطبائع مع النفس سمي عشقاً .

ومن هذا دخل الغلط على من يزعم أنه يحب اثنين ويعشق شخصين متغايرين ، فإنما هذا من جهة الشهوة التي ذكرناها آنفاً ، وهي على المجاز تسمى محبة لا على التحقيق ، وأما نفس المحب فما في الميل به فضل يصرفه في أسباب دينه ودنياه فكيف بالاشتغال بحب ثانٍ ؟ ! .

وفي ذلك أقول :

كذب المدعي هوى اثنين حتماً

مثل ما في الأصول أكذب ماني

ليس في القلب موضع لحبيبين

(م) ولا أحدث الأمور بثنائي « (٩)

قال أبو عبد الرحمن : كون العشق لا يكون مشتركاً دليل على أن

العشق إثم ، وأنه عبودية .

وذكر أبو محمد بعد العشق الشغف وهو يذكر الترقى في سلم المحبة :

« درج المحبة خمسة : أولها الاستحسان وهو أن يتمثل الناظر صورة

(٩) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١٢٦/١ - ١٢٧ .

المنظور إليه حسنة ، أو يستحسن أخلاقه ، وهذا يدخل في باب التصديق .
ثم الإعجاب ، وهو رغبة الناظر في المنظور إليه وفي قربهِ .
ثم الألفة وهي الوحشة إليه متى غاب .
ثم الكلف ، وهو غلبة شغل البال به ، وهذا النوع يسمى في
باب الغزل بالعشق .

ثم الشغف وهو امتناع النوم والأكل والشرب إلا اليسير من
ذلك ، وربما أدى ذلك إلى المرض ، أو إلى التوسوس ، أو إلى
الموت ، وليس وراء هذا منزلة في تنهاى المحبة أصلاً » (١٠) .
قال أبو عبد الرحمن : فهم مما سبق من كلام شيخ الإسلام أن العشق
والشغف لا يكونان إلا عن فراغ قلب من حب الله وشرعه ، وبقدر الامتلاء
بحب الله وطاعة شرعه يكون التحرر من الشغف والعشق رويداً رويداً .
ولا يزعم أن الشغف داء لا دواء له إلا من صمم على أن
التداوي بالشرع غير مُجدٍ ، وصمم على الغفلة عن براهين الله
وآلائه التي ترده إلى حبه وطاعته .

ولا يزعم ذلك إلا من جعل وساوس العشاق حقائق ، وجعل
حقائق الشرع أهاماً .

ونكر أبو محمد أوجه السلو ، فنكر ملل المحب النافي لحقيقة
الحب ، واستبداله وهو كالأول بل أقبح ، وحياءه فيجعله الحياء في

(١٠) مداواة النفوس ضمن رسائل ابن حزم ٣٧٤/١ .

سلو دائماً على رغبة ، وهجر المحبوب ونفاره وجفائه (وهذه المعاني متقاربة) ، وغدره وهو نظير الاستبدال من قبل المحب ، والياس بموت أو فوت من بين أو عارض يدخل على المحبين (١١) . ولم ينكر أبو محمد السلو بتطبيب شرعي في هذا الفصل ، وإنما عالجه بفصل آخر ذكره بعنوان قبح المعصية ، ولم يبلغ شاو شيخ الإسلام في تطبيبه فقال : « وكثير من الناس يطيعون أنفسهم ويعصون عقولهم ، ويتبعون أهواءهم ، ويرفضون أديانهم ، ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه ورتبه في الأبواب السليمة من العفة وترك المعاصي ومقارعة الهوى ، ويخالفون الله ربهم ويوافقون إبليس فيما يحبه من الشهوة المعطبة ، فيوافقون المعصية في حبهم .

وقد علمنا أن الله عز وجل ركب في الإنسان طبيعتين متضادتين : إحداهما : لا تشير إلا بخير ، ولا تحض إلا على حسن ، ولا يتصور فيها إلا كل أمر مرضي ، وهي العقل وقائده العدل ، والثانية : ضد لها لا تشير إلا إلى الشهوات ، ولا تقود إلا إلى الردى ، وهي النفس وقائدها الشهوة ، والله تعالى يقول : ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ [سورة يوسف / ٥٣] .

وكنى بالقلب عن العقل فقال : ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ [سورة ق / ٣٧] ، وقال تعالى :

(١١) انظر طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٤٥/١ - ٢٤٦ .

﴿ وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾ [سورة الحجرات / ٧] ،
وخاطب أولي الألباب .

فهاتان الطبيعتان قطبان في الإنسان ، وهما قوتان من قوى
الجسد الفعال بهما ، ومطرحان من مطارح شعاعات هذين الجوهرين
العجيبين الرفيعين العلويين (١٢) ، ففي كل جسد منهما حظه على قدر
مقابلته لهما في تقدير الواحد الصمد تقدست أسماؤه حين خلقه وهياه ،
فهما يتقابلان أبداً ويتنازعان دأباً ، فإذا غلب العقل النفس ارتدع
الإنسان وقمع عوارضه المدخولة ، واستضاء بنور الله واتبع العدل .
وإذا غلبت النفس العقل عميت البصيرة ، ولم يتضح الفرق بين
الحسن والقبح ، وعظم الالتباس ، وتردى في هوة الردى ومهواة
الهلكة ، وبهذا حسن الأمر والنهي ، ووجب الامتثال ، وصح الثواب

(١٢) قال الدكتور إحسان عباس معلقاً على هذا الموضع : « إذا كانت النفس لا تشير
إلا إلى الشهوات ، ولا تقود إلا إلى الردى كما يقول ابن حزم فكيف تكون
جوهرأ عجيباً رفيعاً علوياً ١٢ » .

هنا يبدو الخلط الشديد بين النفس الأمانة بالسوء والنفس التي هبطت إليك من
المحل الأرفع » .

قال أبو عبد الرحمن : لا تعارض فالنفس بمعنى الروح لها حال قبل حلولها
الجسد ، وأبو محمد يتكلم عنها حال حلولها بالجسد .

وابن حزم يريد بالنفس هنا مجموع الإنسان جسداً وروحاً ،
والنفس أيضاً فيها نوازع الخير والشر ، والعقل يُرجح ويختار .

والعقاب ، واستحق الجزاء » (١٣) .

وشجع على السلو عن وصل يجر إلى معصية فقال : « وإن فيما يبدو إلينا من تعادي المتواصلين في غير ذات الله تعالى بعد الألفة ، وتدابيرهم بعد الوصال ، وتقاطعهم بعد المودة ، وتباغضهم بعد المحبة ، واستحكام الضغائن ، وتأكد السخائم في صدورهم : لكاشفاً ناهياً لو صادف عقولاً سليمة ، وآراء نافذة وعزائم صحيحة . فكيف بما أعد الله لمن عصاه من النكال الشديد يوم الحساب وفي دار الجزاء ، ومن الكشف على رؤوس الخلائق ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ [سورة الحج/٢] جعلنا الله ممن يفوز برضاه ويستحق رحمته » (١٤) .

وقال : « وإن عن المعاصي لمذاهب للعقل واسعة ، فما حرم الله شيئاً إلا وقد عوض عباده من الحلال ما هو أحسن من المحرم وأفضل ، لا إله إلا هو » (١٥) .

وعقد فصلاً آخر يعين على السلو سماه فضل التعفف فقال فيه : « ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه التعفف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة ، وألا يرغب عن مجازاة خالقه له بالنعيم في دار

(١٣) رسائل ابن حزم ٢٦٧/١ - ٢٦٨ .

(١٤) للمصدر السابق ٢٨٢/١ .

(١٥) نفسه ٢٩٣/١ .

المقامة ، وألا يعصي مولاه المتفضل عليه الذي جعله مكاناً وأهلاً
لأمره ونهيه ، وأرسل إليه رسله ، وجعل كلامه ثابتاً لديه ،
عناية منه بنا وإحساناً إلينا .

وإن من هام قلبه ، وشغل باله ، واشتد شوقه ، وعظم وجدده ،
ثم ظفر فرام هواه أن يغلّب عقله ، وشهوته أن تقهر دينه ، ثم
أقام العدل لنفسه حصناً ، وعلم أنها النفس الأمارّة بالسوء ، ونكرها
بعقاب الله تعالى ، وفكر في اجترائه على خالقه وهو يراه ،
وحذرهما من يوم المعاد والوقوف بين يدي الملك العزيز الشديد
العقاب الرحمن الرحيم الذي لا يحتاج إلى بيّنة ، ونظر بعين ضميره
إلى انفراده عن كل مدافع بحضرة علام الغيوب ﴿ يوم لا ينفع مال
ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [سورة الشعراء / ٨٨ - ٨٩]
﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ [سورة الحجرات / ٤٨]
﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء
تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ [سورة آل عمران / ٣٠]
﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ [سورة طه / ١١١]
﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ [سورة الكهف / ٤٩]
يوم الطامة الكبرى ﴿ يوم يتذكر الإنسان ما سعى ، وبرزت الجحيم
لمن يرى فأما من طفى وأثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ،
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي
المأوى ﴾ [سورة النازعات / ٣٥ - ٤١] . . . واليوم الذي قال الله تعالى

فيه : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً • اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ [سورة الإسراء ١٣ - ١٤] عندما يقول العاصي : ﴿ يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ [سورة الكهف / ٤٩] (فكيف بمن طوى قلبه على أحر من جمر الغضا ، وطوى كشحه على أحد من السيف ، وتجرع غصصاً أماً من الحنظل ، وصرف نفسه كرهاً عما طمعت فيه وتيقنت ببلوغه وتهيات له ولم يحل دونها حائل) : لحري أن يسر غداً يوم البعث ، ويكون من المقربين في دار الجزاء وعالم الخلود ، وأن يامن روعات القيامة وهول المطلع ، وأن يعوضه الله من هذه القرحة الأمن يوم الحشر « (١٦) •
وقال أبو محمد أيضاً : « ولو لم يكن جزاء ولا عقاب ولا ثواب لوجب (١٧) علينا إفناء الأعمال ، وإتعاب الأبدان ، وإجهاد الطاقة ،

(١٦) رسائل ابن حزم ٢٩٥/١ - ٢٩٦ •

(١٧) إن كان الموجب العقل فذلك أصل للخلاف مع المعتزلة ، وشكر العنعم من مقتضيات العقل لأنه من محاسن الأخلاق •• أما تعيين ما يكون به الشكر فلا يعرف إلا بالشرع •
والله لم يوجب على الخلق شيئاً بغير شرع هادٍ مبين ، فسقط عن الخلق بفضل الله ما يترتب على مخالفة مقتضى العقل من عقاب إلا أن يكون مقتضى العقل تحقيق شرع ملتبس في فترة من الرسل ، فصدد الناس عنه لتباعاً للهوى •
وأيضاً فربنا من علينا بأن رتب على الشكر الثواب ، وعلى الكفر العقاب وإن فلا داعي لقول أبي محمد : « ولو لم يكن جزاء •• إلخ » •

واستفاد الوسع ، واستفراغ القوة في شكر الخالق الذي ابتدأنا بالنعيم قبل استئصالها (١٨) ، وامتن علينا بالعقل الذي به عرفناه ، ووهبنا الحواس والعلم والمعرفة ودقائق الصناعات ، وصرف لنا السماوات جارية بمنافعها ، ودبرنا التدبير الذي لو ملكنا خلقنا لم نهتد إليه ، ولا نظرنا لأنفسنا نظره لنا ، وفضلنا على أكثر المخلوقات ، وجعلنا مستودع كلامه ومستقر دينه ، وخلق لنا الجنة دون أن نستحقها .

ثم لم يرض لعباده أن يدخلوها إلا بأعمالهم لتكون واجبة لهم ، قال الله تعالى : ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [سورة السجدة / ١٧]

وأرشدنا إلى سبيلها ، وبصرنا وجه ظلها ، وجعل غاية إحسانه إلينا وامتنانه علينا حقاً من حقوقنا قبله ، وديناً لازماً له ، وشكرنا على ما أعطانا من الطاعة التي رزقنا قواها ، وأثابنا بفضله على تفضله .

هذا كرم لا تهتدي إليه العقول ، ولا يمكن أن تكيفه الألباب .

ومن عرف ربه ومقدار رضاه وسخطه هانت عنده اللذات الداهية والحطام الفاني ، فكيف وقد أتى من وعيده ما تقشعر لسماعه الأجساد ، وتنوب له النفوس ، وأورد علينا من عذابه ما لم ينته إليه أمل ؟ .

فأين المذهب عن طاعة هذا الملك الكريم ، وما الرغبة في لذة داهية لا تذهب الندامة عنها ، ولا تفنى التباعة منها ، ولا يزول الخزي عن ركبها ؟ ! .

(١٨) أي قبل أن نكون لها أملاً .

وإلى كم هذا التماذي وقد أسمعنا المنادي ، وكان قد حدا بنا
الحادي إلى دار القرار فإما إلى جنة وإما إلى نار » (١٩) .

قال أبو عبد الرحمن : وأنواع السلو المذكورة آنفا من كلام أبي
محمد قبيل أخذه في الوعظ إنما هي عن سلو التطيع ، وأما السلو الذي
يكون طبعاً فقد ذكره أبو محمد بقوله : « وهو المسمى بالنسيان » .
يخلو به القلب ويفرغ به البال ، ويكون الإنسان كأنه لم يحب قط ،
وهذا القسم ربما لحق صاحبه الذم ، لأنه حادث عن أخلاق مذمومة ،
وعن أسباب غير موجبة استحقاق النسيان ، وستأتي مبينة إن شاء
الله تعالى ، وربما لم تلحقه اللائمة لعذر صحيح » (٢٠) .

قال أبو عبد الرحمن : إنما يريد أبو محمد الذم على مذهب
الأدباء والظرفاء ، ولم ينحو نحو ابن تيمية في إفراغ القلب مما يسد
عليه آفاق الحب لله وشرعه ، لأن أبا محمد يرى أن الحب إلى
الشغف أمر مباح لأنه اضطراري .

قال عفا الله عنه : « فبحسب المرء المسلم أن يعف عن محارم
الله عز وجل التي يأتيها باختياره ويحاسب عليها يوم القيامة ، وأما
استحسان الحسن وتمكن الحب فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه ، إذ
للقلوب بيد مقلبيها » .

ولا يلزمه غير المعرفة والنظر في فرق ما بين الخطأ والصواب ،

(١٩) رسائل ابن حزم ٢٠٠/١ - ٢٠١ .

(٢٠) المصدر السابق ٢٤٥/١ .

وأن يعتقد الصحيح باليقين ، وأما المحبة فخلقة ، وإنما يملك
 الإنسان حركات جوارحه المكتسبة ، وفي ذلك أقوال :
 يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى
 وسيان عندي فيك لاح وساكت
 يقولون جانببت التصاون جملة
 وأنت عليم بالشرعية قانت
 فقلت لهذا الرياء بعينه
 صراحاً وزى للمرائين ماقت
 متى جاء تحريم الهوى عن محمد
 وهل منعه في محكم الذكر ثابت
 إذا لم أواقع محرماً أتقي به
 مجيني يوم البعث والوجه باهت
 فلتست أباي في الهوى قول لائم
 سواء لعمرى جاهر أو مخافت
 وهل يلزم الإنسان إلا اختياره
 وهل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت « (٢١)

قال أبو عبد الرحمن : يؤاخذ في تعرضه لدواعي الغرام من النظر
 وغيره ، ويؤاخذ باتباعه النظرة النظرة ، ويؤاخذ بعدم تطيبه شرعاً ،
 والحب ليس ضرورياً بل هو كسبي يحصل بإدمان النظر
 والمؤانسة وفراغ البال من مشاغل الشريعة ، وهو لا يكون ضربة
 لازم إذا وقع لأن أبواب السلوك كما أسلفت لك .

(٢١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١٤٤/١ - ١٤٥ .

قال أبو عبد الرحمن : وينفي دعوى أبي محمد أن الحب اضطراري : أن الحب لا يكون إلا بعد تعرض ومطاوله ، ولو كان اضطرارياً لكان بأدنى نظرة .

قال أبو محمد ابن حزم : « ومن الناس من لا تصح محبته إلا بعد طول المخافة وكثير المشاهدة وتمادي الأنس ، وهذا الذي يوشك أن يدوم ويثبت فلا يحبك فيه مر الليالي ، فما دخل عسيراً لم يخرج يسيراً ، وهذا مذهبي » (٢٢) .

ثم قال عن تجربته : « وإني لأطيل العجب من كل من يدعي أنه يحب من نظرة واحدة ولا أكاد أصدقه ، ولا أجعل حبه إلا ضرباً من الشهوة .

وأما أن يكون في ظني متمكناً من صميم الفؤاد نافذاً في حجاب القلب فما أقدّر ذلك ، وما لصق بأحشائي حب قط إلا مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لي دهرأ وأخذي معه في كل جد وهزل . وكذلك أنا في السلو والترقي ، فما نسيت ودأ لي قط ، وإن حنيني إلى كل عهد تقدم لي ليغصني بالطعام ويشرقني بالماء !! .

وقد استراح من لم تكن هذه صفته .

وما مللت شيئاً قط بعد معرفتي به ، ولا أسرعت إلى الأنس بشيء قط أول لقائي له ، وما رغبت الاستبدال إلى سبب من أسبابي مذكنت .

لا أقول الآلاف والإخوان وحدهم ، لكن في كل ما يستعمل
الإنسان من ملبوس ومركوب ومطعم وغير ذلك .

وما انتفعت بعيش ولا فارقتي الإطراق والاتغلاق مذ نقت طعم
فراق الأحبة .

وإنه لشجى يعتانني وولوع هم ما ينفك يطرقني ، ولقد نغص
تذكري ما مضى كل عيش أستأنفه ، وإني لقتيل الهموم في عداد
الأحياء ، ودفين الأسى بين أهل الدنيا ، والله المحمود على كل
حال لا إله إلا هو « (٢٣) » .

ويشهد لفلسفة أبي محمد عن المطاولة قول جارية أودى بها
الضعف إلى الجنون :

« الحب أول ما يكون لجاجة تأتي به وتسوقه الأقدار
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار
من ذا يطبق كما نطبق من الهوى غلب العزاء وباحت الأسرار » (٢٤)
قال أبو عبد الرحمن : وكون الشغف القتال لا يكون إلا عن
مطاولة فذلك يعني أن الإنسان غير مضطر إلى المطاولة بل بيده
أن لا يسترسل .

(٢٣) رسائل ابن حزم ١٢٥/١ .

(٢٤) ندم الهوى ص ٢٦٢ وروضة المحبين ص ١٨٣ .

وفي أمثال العامة بنجد قولهم عن العشق : أوله طرب وآخره نشب . . . وقد
ساق الشيخ محمد العبودي في الأمثال للعامة في نجد ١/٢٢٨ - ٢٢٩ هذه
الشواهد الشعرية : قال وينسب للخليفة المأمون من شعره :

أول الحب مزاح وولع ثم يزداد إذا زاد الطمع
كل من يهوى وإن غالت به رتبة الملك لمن يهوى تبع

قال ابن قيم الجوزية : « ولما كان النظر من أقرب الوسائل إلى المحرم اقتضت الشريعة تحريمه ، وأباحته في موضع الحاجة .
وهذا شأن كل ما حرم تحريم الوسائل ؛ فإنه يباح للمصلحة الراجحة ، كما حرمت الصلاة في أوقات النهي لئلا تكون وسيلة إلى التشبه بالكفار في سجودهم للشمس : أبيحت للمصلحة الراجحة كقضاء الفوائت وصلاة الجنازة وفعل ذوات الأسباب على الصحيح .
وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن النبي ﷺ أنه قال : النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غص بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه حلاوة يجدها إلى يوم يلقاه . . أو كما قال .
وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فأمر بي أن أصرف بصري (٢٥) .

-- فلذا هم وغدر ونوى
ولذا شوق ووجد وجزع
وقال آخر :

العشق أول ما يكون مجانة
فإذا تحكم صار شغلاً شاغلا
وقال غيره :

تولع بالعشق حتى عشق
فلما استقل به لم يطوق
رأى لجة ظنها موجة
فلما تمكن منها غرق
وتظرف أحدهم فقال :

سماعاً يا عباد الله مني
وميلوا عن ملاحظة الملاح
فإن الحب آخره المنايا
وأوليه شبيهه بالمزاج

(٢٥) رواه مسلم وأبو داود والترمذي كما قال الحافظ المنذري [محقق الروضة] .

ونظرة الفجأة هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصد من الناظر،
فما لم يعتمد القلب لا يعاقب عليه ، فإذا نظر الثانية تعمداً أثم ،
فأمره النبي ﷺ عند نظرة الفجأة أن يصرف بصره ولا يستديم
النظر ، فإن استدامته كتكريره « (٢٦) » .

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة ، فجعلت
أنظر إليها وأملاً عيني من محاسنها ، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ .
قلت : وما عليك من النظر ؟ .
فأنشأت تقول :

وكنتم متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر
والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية ، فإن لم
تقتله جرحته ، وهي بمنزلة الشرارة من النار ترمي في الحشيش
اليابس ، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه كما قيل :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتلك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر (٢٧)

(٢٦) روضة المحبين ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢٧) المصدر السابق ص ٩٦ .

وذكر ابن قيم الجوزية حججاً لمن قال الهوى اضطراري منها
قول كامل في سلمى :

يلومونني في حب سلمى كأنما يرون الهوى شيئاً تيممته عمداً
ألا إنما الحب الذي صدع الحشا قضاء من الرحمن يبلو به العبد (٥٦)
ثم قال : « ويدل على ذلك من السنة ما رواه البخاري في
صحيحه من قصة بريرة أن زوجها كان يمشي خلفها بعد فراقها له
وقد صارت أجنبية منه ، ودموعه تسيل على خديه ، فقال النبي
ﷺ : يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة
مغيثاً ؟ »

ثم قال لها : لو راجعتيه .

فقلت : أأمرني ؟

فقال : إنما أنا شافع .

قلت : لا حاجة لي فيه .

ولم ينه عن عشقها في هذه الحال ، إذ ذلك شيء لا يملك ولا

يدخل تحت الاختيار » (٢٩) .

وأعقب ذلك بحجج من قال « الحب اختياري فقال : « وقالت فرقة

أخرى : بل اختياري تابع لهوى النفس وإرادتها ، بل هو استحكام

(٢٨) روضة المحبين ص ١٤٢ .

(٢٩) المصدر السابق ص ١٤٢ - ١٤٣ .

الهوى الذي مدح الله من نهى عنه نفسه فقال تعالى : ﴿ وأما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾
[سورة النازعات / ٤٠ - ٤١] فمحال أن يُنهى الإنسان نفسه عما لا يدخل
تحت قدرته « (٣٠) » .

وفصل ابن قيم الجوزية الحكم في ذلك فقال : « وفصل النزاع
بين الفريقين أن مبادئ العشق وأسبابه اختيارية داخلية تحت التكليف ،
فإن النظر والتفكير والتعرض للمحبة أمر اختياري ، فإذا أتى
بالأسباب كان ترتب المسبب عليها بغير اختياره كما قيل :

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق
تمنى الإقالة من ذنبه فلم يستطعها ولم يستطق
وهذا بمنزلة السكر من شرب الخمر ، فإن تناول المسكر
اختياري وما يتولد عن السكر اضطراري .

فمتى كان السبب واقعاً باختياره لم يكن معذوراً فيما تولد عنه
بغير اختياره ، ومتى كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً .
ولا ريب أن متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر
فهو يلام على السبب ، ولهذا إذا حصل العشق بسبب غير محظور
لم يلام عليه صاحبه ، كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها

وبقي عشقها غير مفارق له ، فهذا لا يلام على ذلك كما تقدم في قصة
بريرة ومغيث .

وكذلك إذا نظر نظرة فجاءة ثم صرف بصره وقد تمكن العشق
من قلبه بغير اختياره ، على أن عليه مدافعتة وصرفه عن قلبه بضده ،
فإذا جاء أمر يغلبه فهناك لا يلام بعد بذل الجهد في دفعه .

ومما يبين ما قلناه أن سكر العشق أعظم من سكر الخمر كما قال
الله تعالى عن عشاق الصور من قوم لوط : ﴿ لعمرك إني لفي
سكرتهم يعمهون ﴾ [سورة الحجر / ٧٢] .

وإذا كان أدنى السكرين لا يعذر صاحبه إذا تعاطى أسبابه ،
فكيف يعذر صاحب السكر الأقوى مع تعاطي أسبابه ؟ « (٣١) .
قال أبو عبد الرحمن : نظرة الفجاءة الواحدة لا تولد شغفاً كما
مر من كلام أبي محمد ابن حزم عن المطاولة .

وإنما يتولد ذلك من نظرات فجاءة عديدة في فترات .
ولما تحدث ابن قيم الجوزية عن الخلاف في مدح العشق ونميه
فصل النزاع بقوله : « العشق لا يحمد مطلقاً ولا يذم مطلقاً ، وإنما
يحمد ويذم باعتبار متعلقه ، فإن الإرادة تابعة لمرادها ، والحب تابع
للمحبوب ، فمتى كان المحبوب مما يحب لذاته (أو وسيلة توصله إلى
ما يحب لذاته) لم تذم المبالغة في محبته ، بل تحمد .

(٣١) روضة المحبين ص ١٤٧ - ١٤٨ .

وصلاح حال المحب كذلك بحسب قوة محبته .

ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها لله تعالى وحده بحيث يحب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه ، فيوحد محبوبه ويوحد حبه .

فهذا الحب وإن سمي عشقاً فهو غلية صلاح العبد ونعيمه وقرّة عينه ، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله ، فلا يحب إلا لله كما في الحديث الصحيح (٣٢) : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار « (٣٣) .

وقال : « والعشق إذا تعلق بما يحبه الله ورسوله كان عشقاً ممدوحاً مثاباً عليه .

وذلك أنواع : أحدها محبة القرآن بحيث يغنى بسماعه عن سماع غيره ، ويهيم قلبه في معانيه ومراد المتكلم سبحانه منه .

(٣٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي كما جاء في تيسير الوصول [محقق الروضة] . . وقال أبو عبد الرحمن : ونصه من صحيح البخاري ١١/١ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

(٣٣) روضة المحبين ص ١٩٩ .

وعلى قدر محبة الله تكون محبة كلامه ، فمن أحب محبوباً
أحب حديثه والحديث عنه كما قيل :

إن كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي
أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي

وكذلك محبة ذكره سبحانه وتعالى من علامة محبته ، فإن المحب

لا يشبع من ذكر محبوبه ، بل لا ينساه فيحتاج إلى من يذكره به .
وكذلك يحب سماع أوصافه وأفعاله وأحكامه ، فعشق هذا كله
من أنفع العشق ، وهو غاية سعادة العاشق .

وكذلك عشق العلم النافع ، وعشق أوصاف الكمال من الكرم
والجود والعفة والشجاعة والصبر ومكارم الأخلاق ، فإن هذه
الصفات لو صورت صوراً لكانت من أجمل الصور وأبهاها ، ولو
صور العلم صورة لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر (٢٤) .
ولكن عشق هذه الصفات إنما يناسب الأنفس الشريفة الزكية ،
كما أن محبة الله ورسوله وكلامه ودينه إنما تناسب الأرواح العلوية
السمائية الزكية ، لا الأرواح الأرضية الدنية .

• فإذا أردت أن تعرف قيمة العبد ، وقدره فانظر إلى محبوبه ومراده .
• وأعلم أن العشق المحمود لا يعرض فيه شيء من الآفات المذكورة .

(٢٤) قال أبو عبد الرحمن : ليس لهذه الأشياء وجود حسي يرى بالبصر حتى
يتصور رؤيتها بالبصر ، فكيف نتوقع أجمل للصور البصرية لما لا سبيل
إلى تجسيده ١٢ .

بقي هاهنا قسم آخر، وهو عشق محمود يترتب عليه مفارقة المعشوق، كمن يعشق امرأته أو أمته فيفارقها بموت أو غيره فيذهب المعشوق ويبقى العشق كما هو، فهذا نوع من الابتلاء إن صبر صاحبه واحتسب نال ثواب الصابرين، وإن سخط وجزع فاتته معشوقه وثوابه، وإن قابل هذه البلوى بالرضا والتسليم فدرجته فوق درجة الصبر .
وأعلى من ذلك أن يقابلها بالشكر نظراً إلى حسن اختيار الله له، فإنه ما يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، فإذا علم أن هذا القضاء خير له اقتضى ذلك شكره لله على ذلك الخير الذي قضاه له، وإن لم يعلم كونه خيراً له فليسلم للصادق المصدق في خبره المؤكد باليمين حيث يقول: والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمنين (٣٥) .
وإيمان العبد يأمره بأن يعتقد بأن ذلك القضاء خير له، وذلك يقتضي شكر من قضاه وقدره وبالله التوفيق « (٣٦) » .

قال أبو عبد الرحمن: ولقد مر في المدخل الأول من الباب الأول

(٣٥) رواه مسلم والإمام أحمد بدون قسم [محقق الروضة] . قال أبو عبد الرحمن: في صحيح مسلم ٢٢٧/٨: «عجباً لأمر المؤمن . . إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ١١» .

(٣٦) روضة المحبين ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

من هذا الكتاب مسرد بأسماء ما ألف في الحب ، إلا أن الذي عالجه
شريعاً وجعله موضوعاً للحكم الشرعي بتوسع كتابان هما « ذم الهوى »
لابن الجوزي ، و« روضة المحبين » لابن قيم الجوزية .

ولكون ابن الجوزي من الوعاظ ، فقد كان يسرد آفات الهوى
ومحظوراته الشرعية ويتبع كل فصل بالعلاج والتطبيب ، وكان
يجمع بين الوعظ الشرعي والرياضة النفسية والفكرية .

فأما آفات الهوى فقد أسلفت ذكره لها في المقدمة .

وأما التطبيب بالوعظ الشرعي فقد صدر كتابه بباب عن فضل

العقل لأن العقل نور المتبصر .

وذكر باباً آخر في ذم الهوى والشهوات .

وذكر باباً ثالثاً في مجاهدة النفس ومحاسبتها وتوبيخها .

وذكر من بداية الباب الرابع إلى نهاية الباب الرابع والثلاثين فضائل

الصبر ، وحراسة القلب وتركيبته وتفريغه من غير محبة الرب .

وخلال ذلك أبواب عن غض البصر ، والتحذير من الزنا

ومقدماته ، ومن اللواط ، والتخويف من عقوبات الله في الدنيا

والآخرة ، والحث على التوبة والاستغفار ، وذكر العفة والفخر بها ،

والحث على النكاح ، ونم من خيب امرأة على زوجها ، وفضل من

ترك ذنبه لأنه ذكر ربه .

وفي البابين السابع والثلاثين والثامن والثلاثين ذكر ذم العشق ،

وثواب من عشق وعف وكنم .

وأما التطبيب النفسي والفكري فله فيه تجليات ، وقد نثر ذلك في فصول الكتاب وأفرد لذلك الفصلين التاسع والأربعين والخمسين (٣٧) . وإليك مقتطفات من تطبيقاته المصحوبة بذكر واقع الداء وتحليله : قال عن آفات الخلوة بالأجنبية : « ومن التفريط القبيح الذي جر أصعب الجنايات على النفس محادثة النساء الأجانب والخلوة بهن . وقد كانت عادة لجماعة من العرب ٥٠ يرون أن ذلك ليس بعار ، ويشقون من أنفسهم بالامتناع من الزنا (٣٨) ، ويقنعون بالنظر والمحاذرة ، وتلك الأشياء تعمل في الباطن ، وهم في غفلة عن ذلك إلى أن هلكوا .

وهذا هو الذي جنى على مجنون ليلي وغيره ما أخرجهم به إلى الجنون والهلاك .

وكان غلظهم من وجهين :

أحدهما : مخالفة الشرع الذي نهى عن النظر والخلوة .

(٣٧) وانظر ذم الهوى ص ٢٠ - ٢١ في علاج من وقع في الهوى .

(٣٨) قال أبو عبد الرحمن : سيأتي - إن شاء الله - بعد قليل كلام ابن قيم الجوزية عن نظرف الأبناء بما فوق الإزار ، ورد ذلك بأنه من أخلاق الجاهلية . وأورد ابن المجاور البغدادي هذه الأبيات بكتابه صفة بلاد اليمن ص ٨ :

نعم أقول لو أن القول مقبول	ظل الهوى وتمادى القول والقليل
ليس السلام بشافي القلب من دنف	ما لم يكن فيه تخميش وتقويل
وليس يرضى محب عن أحبته	حتى يفوز بما ضم السراويل

والثاني : تعريض الطبع لما قد جبل على الميل إليه ، ثم معاناة كفه عن ذلك ، فالطبع يغلب ، فإن غلب وقعت المعاصي ، وإن غلب حصل التلف بمنع العطشان عن تناول الماء » (٣٩) . ثم قال : « فما قلت لك : امنع النار أن تحرق ، وإنما قلت : أطفئها .

ولا قلت : ادفع الماء عن أن يغرق ، وإنما علمتك السباحة » (٤٠) .

وقال : « فإن قيل : فما علاج العشق إذا وقع بأول لمحمة ؟ .

قيل : علاجه الإعراض عن النظر ، فإن النظر مثل الحبة تلقى في الأرض ، فإذا لم يلتفت إليها يبست ، وإن سقيت نبتت ، فكذلك النظرة إذا ألحقت بمثلها » (٤١) .

وقال : « إن العلاج الكلي في جميع أمراض العشق الحمية ، وإنما تقع الحمية بالعزم الجازم على هجر المحبوب ، فإن حصلت هذه الحمية حسنت المعالجة ، والعلاج حينئذ يقع للظاهر والباطن ، فليبتدئ المريض باللجوء إلى الله سبحانه ، وليكثر من الدعاء ، فإنه مضطر ، وهو يجيب المضطر إذا دعاه ، ثم ليتعالج ، فإن الأسباب لا تنافي التوكل والدعاء .

(٣٩) ذم الهوى ص ٤٣٧ .
(٤٠) المصدر السابق ص ٤٣٨ .
(٤١) نفسه ص ٤٤٠ .

واعلم أن بدن العاشق إذا نحف أسرع في الحرارة إلهاباً وإحراقاً ، فينبغي أن يستعمل الترتيبات كشم البنفسج واللينوفر ، ودخول الحمام من غير طول مكث فيه ، والنوم الطويل والتغذي بالأغذية الرطبة ، ولينظر إلى الماء الصافي في الرياض النضيرة ، وليحدث بالنواذر المضحكة .

ومن المعالجات السفر ، فإنه بالسفر يتحقق البعد عن المحبوب ، وكل بعيد عن البدن يؤثر بعده في القلب ، فليصبر على مضض الشوق في بداية السفر صبر المصاب في بداية مصيبته ، ثم إن مَرَّ الأيام يهون الأمر .

قال زهير بن جناب الكلبي :

إذا ما شئت أن تسلو حبيباً فأكثر دونه عدد الليالي
فما سلى حبيبك غير نأي ولا أبلى جديدك كابتنال

وقال امرؤ القيس :

وإنك لم تقطع لبلانة عاشق بمثل غدو أو رواح مأوب
ومعنى مأوب : أنه غداً السير حتى يؤوب صاحبه عند الليل
يقول : تكون استراحتك بالليل .

وكذلك كل ما يشغل القلب من المعاش والصناعة فإنه يسلي ، لأن العشق شغل الفارغ ، فهو يمثل صورة المعشوق في خلوته لشوقه إليها ، فيكون تمثيله لها إلقاء في باطنه ، فإذا تشاغل بما يوجب اشتغال القلب بغير المحبوب درس الحب وثمر العشق وحصل التتاسي .

ومن ذلك استعراض النساء للتزويج ، والجواري للتسري ، وليطلب الحسن الفائق فإنه يسلي ، وقد وصف الحكماء الحسن والملاحة .
فأنبأنا أحمد بن علي المجلي . قال : أنبأنا أبو الحسن بن المهدي . قال : أنبأنا أبو الفضل محمد بن الحسن بن المأمون . قال : حدثنا أبو بكر بن الأنباري . قال : حدثنا أحمد بن يحيى : عن ابن الأعرابي . قال : قال أعرابي : إذا حسن خفيا المرأة حسنت . وخفيها : كلامها ، ووطأتها على الأرض « (٤٢) » .

وقال : « ومن أدوية الظاهر كثرة الجماع وإن كان لغير المحبوب .

ووجه كونه دواء أنه يقلل الحرارة التي منها ينتشر العشق ، وإذا ضعفت الحرارة الغريزية حصل الفتور وبرد القلب ، فحمد لهب العشق ، وقد قال ابن الرومي :

وطأ من شيت يفتيسك عن الحسناء في الذروة

ومن الأدوية : عيادة المرضى ، وتشجيع الجنائز ، وزيارة القبور ، والنظر إلى الموتى ، والتفكر في الموت وما بعده ، فإن ذلك يطفئ نيران الهوى ، كما أن سماع الغناء واللهو يقويه ، فما هو كالضد يضعفه ، وكذلك مواصلة مجالس التذكرومجالسة الزهاد ، وسماع أخبار الصالحين والمواعظ .

(٤٢) ذم الهوى ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

وكل ذلك يخرج الإنسان عن غلبة الشهوة إلى حيز الحزن والفكر ، وذلك يضاد العشق .

وقد ذكر قوم أن المنتزهات الموقفة ، والمسموعات المطربة تسلي ، وهذه ربما زادت في عشق قوم » (٤٣) .

وقال : « فاستعمال الفكر في بدن الآلمي ، وما يحوي من القذارة ، وما تستر الثياب من المستقبج : يهون العشق .

ولهذا قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مناتها .

وقال أبو نصر بن نباتة :

ما كنت أعرف غيب من أحببته حتى سلوت فصرت لأشتاق وإذا أفاق الوجد واندمل الهوى رأت القلوب ولم تر الأحداق ولهذا المعنى الذي أشرت إليه شكاً خلق من العشاق معشوقيهم ،

وملوهم وأعرضوا عنهم ، وما كان السبب إلا أن المخالطة أظهرت المعاييب الآدمية ، فنفروا عنهم ومضى ما مضى من القلق ووهن الجاه مجاناً ! » (٤٤) .

وقال : « ومن أدوية الباطن أن يصور الإنسان انقضاء غرضه ، أو يمثل غيره في مقامه ، ثم يتلمح عواقب الحال .

أفترى يوسف عليه السلام لو زل من كان يكون ؟ ! »

أو لم يبق مدحه لصبره أبد الدهر ؟ ! »

أفترى ما سمعت بما عز ؟ »

ولا شك أنه في القيمة معروف ، وإن كانت التوبة قد غمرت

ذنبيه .

ولكن تلمح أنت عواقب من صبر ، ومن لم يصبر ، وأعمل

فكرك في الحالتين لعل هذه العبرة تخرق حجاب الهوى ، فتدخل على

القلب بغير إذن فتكشف هذه الغمة .

فالمائل من وزن ما يحتوي عليه العشق من لذة ونغصة ،

فنفسه كثيرة ، وأذاه شديد ، وهو على الحقيقة يهين النفس التي

لا قيمة لها ، وغالب لذاته محرم ، ثم هي مشوبة بالغموم ،

والهموم ، وخوف الفراق ، وفضيحة الدنيا ، وحسرات الآخرة .

فيعلم الموازن بين الأمرين أن اللذة مغمورة في جنب

الأذى » (٤٥) .

قال أبو عبد الرحمن : أما ابن قيم الجوزية فقد عالج العشق

بمواظب الشرع في العفة وأخبار المتعفين ، وبإيراد نصوص الشرع

في النهي عن المحرمات (٤٦) .

كما ذكر ضرورة الاستغناء بحب الله وحب ما عنده فأورد

(٤٥) ذم الهوى ص ٤٩٣ .

(٤٦) روضة المحبين ص ٣١٦ - ٣٥١ و ص ٣٩٤ - ٣٩٩ و ص ٣٥٢ - ٣٦٦ .

(٤٣) ذم الهوى ص ٤٧٦ - ٤٧٧ .

(٤٤) المصدر السابق ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

النصوص والأخبار في ذلك (٤٧) .

وعقد باباً بعنوان من ترك محبوبه حراماً فبذل له حلالاً أو
عاضه الله خيراً منه (٤٨) .

وعقد آخر بعنوان من أثر عاجل العقوبة والآلام على لذة
الوصال الحرام (٤٩) .

وفصل معايب اتباع الهوى بخمسين وجهاً (٥٠) .

ومهد لتطبيب العشق والشغف بتصوير سكرة العشاق وذكر
أسبابها (٥١) .

وقد أسلفت شيئاً من كلام ابن قيم الجوزية في علاج العشق
ونكر بعض أحكامه ، وبما أن من نتائج العشق والشغف البحث عن
الوصل فقد عقد فصلاً عن رحمة المحبين والشفاعة لهم إلى أحبائهم
في الوصال الذي يبيحه الدين (٥٢) .

* * *

(٤٧) روضة المحبين ص ٣٩٩ - ٤٤٤ .

(٤٨) المصدر السابق ص ٤٤٥ - ٤٥٨ .

(٤٩) السابق ص ٤٥٩ - ٤٦٨ .

(٥٠) السابق ص ٤٦٩ - ٤٨٦ .

(٥١) السابق ص ١٤٩ - ١٥٤ .

(٥٢) السابق ص ٣٧٧ - ٣٩٣ .

الفصل الثاني :

حديث « من عشق فعف » رواية ودراية :

قال أبو عبد الرحمن : يكون السلو بالتعفف ، وورد فيه حديث شغل به المؤلفون عن الألفه والآلاف ، وهو حديث رواه أبو سعيد البقال : عن عكرمة : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - موقوفاً عليه بلفظ : من عشق فعف دخل الجنة .

هذه رواية أبي الحسين ابن بيان : عن محمد بن خلف : عن زكريا بن يحيى الكوفي : عن محمد بن حريث : عن أبيه : عن أبي سعيد . وفي رواية أبي محمد الحسين القارئ عن ابن خلف : من عشق فعف فمات دخل الجنة .

ورواه أبو بكر الأزرق : عن سويد : عن ابن مسهر : عن القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - موقوفاً عليه : من عشق فكتمه وعف فمات فهو شهيد .

قال البغدادي : رواه غير واحد : عن سويد : عن ... إلخ ، وهو المحفوظ .

يعني أنهم روه بهذا الإسناد موقوفاً .

قال أبو عبد الرحمن : اتفقت الروايتان الموقوفتان على وعد من عشق وعف بالجنة .

الرواية الأولى بالتصيص ، والثانية بالنتيجة لأنها حكمت له بالشهادة ، ومقر الشهداء الجنة .

واختلفت الروايتان بأن في الأخيرة زيادة معنى ، وهو الحكم بشهادته ، والحكم بالشهادة أخص من الحكم بدخول الجنة ، لأن الشهداء ذوو منزلة عالية في الجنة .

وروي الحديث مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ . . . رواه سويد :
عن مجاهد : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق ، فظفر ، فعف ، فمات : مات شهيداً .

هكذا رواه عن سويد الأشناني وابن مسروق (١) .

ورواه ابن مسروق عن سويد بلفظ : من عشق فعف وكنتم ومات : مات شهيداً .

ورواه الذارع في جزئه عن كل من صدقة بن موسى ، وأحمد بن محمود الأنصاري ، والقاسم بن محمد . . . كلهم رواه عن سويد بلفظ : من عشق فكنتم وعف فمات فهو شهيد .

ورواه إبراهيم بن جعفر الفقيه : عن سويد بلفظ : من عشق وعف وكنتم ثم مات مات شهيداً .

ورواه محمد بن زكريا المروزي : عن سويد بلفظ : من عشق فكنتم وعف فمات فهو شهيد .

(١) حسب سياق ابن مخزوم لدى الخطيب البغدادي ، والظاهر أن اللفظ للأشناني ،

لأن اللفظ من رواية ابن مسروق خلاف ذلك كما سيأتي .

ورواه داوود الظاهري : عن سويد بلفظ : من عشق فعف فكتمه
فمات فهو شهيد .

هذه رواية محمد بن داوود عن أبيه في الزهرة .

وفي رواية نبطويه : عن محمد بن داوود : من عشق وكتم
وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة .

قال أبو عبد الرحمن : لا ريب أن هذه رواية محمد بن داوود من
حفظه وهو عليل . . وروايته في كتابه الزهرة أثبت .

ورواه ابن الأزرق عن سويد بلفظ : من عشق فكتمه وعف
فمات فهو شهيد . . إلا أنه عدل فرواه موقوفاً .

قال أبو عبد الرحمن : إن روايته عن سويد كل من : الأسناني ،
وابن مسروق ، وصدقة ، وابن محمود ، والقاسم ، وابن جعفر ، وابن
زكريا ، وداوود ، وابن الأزرق ، إلا أن الأخير صاريرويه موقوفاً .
ومضى نص الحافظ الخطيب البغدادي على أنه رواه غير واحد
عن سويد موقوفاً .

قال أبو عبد الرحمن : كل ما اطلعت عليه فالرواية فيه بالرفع إلا
رواية ابن الأزرق ، فلا بد أن لدى الخطيب طرقاً عديدة عن سويد
بالوقف لم يسقها .

ولما كان سويد مدخولاً في حفظه وكتابه ، وقد رفعه مرة
ووقفه أخرى علم أنه لم يحقق .

ولما وجدت شواهد على الوقف من رواية غيره ، وهي رواية البقال علم أن الصواب الوقف .

وورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً من غير طريق سويد .

رواه الزبير بن بكار : عن عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون : عن أبي حازم : عن ابن أبي نجيح : عن مجاهد : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : عن النبي ﷺ : من عشق ففقد فمات فهو شهيد .

وحكم البقاعي بصحة هذا الإسناد وأنه كالشمس .

وهو عند الديلمي في مسند الفردوس عن عبد الله بن عبد الملك الماجشون .

ورواه الخرائطي في اعتلال القلوب : عن يعقوب بن عيسى : عن الزبير بن بكار : عن ابن الماجشون : عن ابن أبي نجيح .

وأورده ابن الجوزي من طريق الخرائطي فلم يذكر في الإسناد الزبير وابن الماجشون ، وذكر يعقوب عن ابن أبي نجيح .

قال أبو عبد الرحمن : هذا إسناد لم يحقق ، وهو في كتب يُستأنس

بها كاعتلال القلوب ومسند الفردوس ، ولا يعتمد عليها في الجملة . كالاتِّعَاد على السنن الأربع .

فقد ورد الإسناد متصلاً برواية الزبير عن عبد الملك الماجشون

- أو عبد الله بن عبد الملك - : عن أبي حازم : عن ابن أبي نجيح .

ولم يذكر البقاعي إسناده قبل الزبير .

ورواه الخرائطي عن يعقوب : عن الزبير : عن ابن الماجشون :
عن ابن أبي نجيح فلم يذكر أبا حازم .

ورواه ابن الجوزي بطريق الخرائطي فأسقط من إسناد
الخرائطي رجالاً .

قال أبو عبد الرحمن : فيبقى المصدر المباشر كتاب الاعتلال
للخرائطي ولم يذكر أبا حازم .

ويبقى الماجشون مختلفاً فيه ، ويبقى هو مضطرباً هل روايته
عن أبي حازم ، أو عن ابن أبي نجيح .

والماجشون الذي صحح البقاعي إسناده ضعيف .

والراوي عن الزبير يعقوب وهو متهم بالكذب ، والبقاعي لما
صحح رواية الزبير لم يذكر الراوي عنه من هو ؟ .

وروي من طريق سويد عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً ،
وتفرد بهذه الرواية ابن مسروق .

ففيه شذوذ ابن مسروق عن تلاميذ سويد الذين روه عنه عن
ابن عباس لا عن عائشة .

ولو فرض أن ابن مسروق حقق الرواية عن سويد لكان سويد
مضطرباً فيه ، وهو مدخول عليه في حفظه وكتابه فلا يحمل
اختلاف روايته على التحقيق دون الاضطراب الذي يُردُّ به الحديث .

قال أبو عبد الرحمن : وفي أبيات هذا الحديث في استطراد
بعض العلماء أثناء الكلام عنه ما لم أهتم بتحقيقه ، وهو الحديث

المنسوب إلى سعد بن عباد - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : من مات محباً في الله فله أجر الشهادة .

فهذا عن الحب في الله ، وحديث من عشق فعف عن العشق الذي يقتضي عفة .

وورد في استطرادهم ما لا يستحق أصلاً أن يتعب في البحث عن ثبوته ، وهو ما روي عن أبي سعيد - رضي الله عنه - : العشق من شير ريبة كفارة للذنوب .

قال أبو عبد الرحمن : هذا باطل لأن العشق إما حلال ، وإما محرم لحرمة أسبابه ودواعيه .

ولا يكون كفارة إلا ما كان مستحباً أو واجباً .

وقد ساق البقاعي أسانيدَه ، فقال - رحمه الله تعالى - :

« أخبرنا (٢) أبو طاهر أحمد بن علي السواق - رحمه الله - : أخبرني أبو الفتح محمد بن أحمد بن فارس : حدثنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم بن بيان : حدثنا محمد بن خلف : أخبرنا زكريا بن يحيى الكوفي : أخبرنا محمد بن حريث الشيباني : عن أبيه : عن أبي سعيد

(٢) القائل « أخبرنا » السراج في مصارع العشاق ١ / ١٠٣ ، وأسنده ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٢٥٦ بإسناده إلى أحمد بن نصر الذارع قال : حدثنا محمد بن خلف ... إلخ .

وكذلك أورده بهذا الإسناد في العلل المتناهية ٣ / ٢٨٥ وأعله ص ٢٨٦ بسويد .

البقال : عن عكرمة : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :

من عشق فعف دخل الجنة .

أخبرنا (٣) أبو بكر أحمد بن علي الحافظ يعني الخطيب - رحمه

الله - : أخبرنا أبو الحسن علي بن أيوب القمي : أخبرنا محمد بن

عمران : حدثني محمد بن أحمد بن مخزوم : حدثني الحسن بن علي

الأشثاني ، وأحمد بن محمد بن مسروق قالوا : حدثنا سويد بن سعيد :

حدثنا علي بن مسهر : عن أبي يحيى القتات : عن مجاهد : عن ابن

عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق

فظفر فعف فمات مات شهيداً .

وأخبرنا أحمد بن علي : أخبرنا محمد بن عمران : أخبرنا عمر

بن داوود بن عنبسة العماني ، وأحمد بن محمد الجوهرى قالوا : حدثنا

أحمد بن محمد بن مسروق : أخبرنا سويد بن سعيد : حدثنا علي بن

مسهر : عن أبي يحيى القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس - رضي

الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق فعف وكنم ومات

مات (٤) شهيداً .

(٣) القائل أخبرنا ابن السراج في مصارع العشاق ١ / ١٤ ، ورواه ابن الجوزي في

ذم الهوى ص ٢٥٧ عن شهدة بنت أحمد : عن السراج : عن أبي بكر أحمد بن علي .

وكرر إيراد الحديث إسناداً ومنتأ في الصفحة نفسها .

وقد ضعف هذا الإسناد بضعف أبي يحيى القتات ، وضعف سويد .

(٤) في الأصل ومات .

قلت : قال الحافظ مغلطاي : هذا حديث إسناداه صحيح وإن كان جماعة من العلماء أعلاه بما ليس بعلة يُردُّ بها : منهم الحافظ أبو أحمد الجرجاني (يعني ابن عدي) فإنه لما ذكره في الكتاب الكامل : قال : هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد (٥) .

وكذا ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي ، وأبو الفضل بن طاهر في كتابيه النخيرة وتذكرة الحفاظ .

وقال أبو عبدالله الحاكم في تاريخ نيسابور : أنا أتعجب من هذا الحديث ؛ فإنه لم يحدث به غير سويد ، وهو وداوود وابنه محمد المذكورون في الطريق المذكورة في باب الزهاد من عشاق الغلمان ثقات ، وهو داوود الظاهري (٦) .

(٥) قال ابن حجر في تلخيص الحبير ٢ / ١٥٢ : وقد أنكره على سويد الأئمة .. كذا قاله ابن عدي في كامله .

قال أبو عبد الرحمن : ترجم ابن عدي في الكامل ٣ / ١٢٦٣ - ١٢٦٥ لسويد ولم يذكر هذا الحديث ، وإنما قال في آخر ترجمته : « ولمسويد مما أنكرت عليه غير ما ذكرت وهو إلى الضعف أقرب » . ولم أجد الحديث في فهرس الأحاديث الواردة في الكامل ، فلعل نقل مغلطاي ، وابن قيم الجوزية ، وابن حجر زيادة نسخة خطية من الكامل لم تكن من أصول المطبوع .

(٦) قال أبو بكر محمد بن داوود الظاهري في الزهرة ١ / ١١٧ : حدثني أبي قال : حدثنا سويد بن سعيد الحدثاني قال : حدثنا علي بن مسهر : عن أبي يحيى القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق ففكتمه فمات فهو شهيد .

قال ابن حجر في بذل الماعون ص ١٨٥ : وفي مسنده مقال .. وقال للسراج في مصارع العشاق ١٣/١ - ١٤ : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بدمشق قال : حدثنا

.....

== أبو الحسن علي بن أيوب بن الحسين بن أيوب القمي إملأ قال : حدثنا أبو عبيد الله المرزباني ، وأبو عمرو بن حيويه ، وأبو بكر بن شاذان قالوا : حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي الملقب بنفطويه قال : دخلت على محمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيه ، فقلت له : كيف تجدك ؟ . فقال : حب من تعلم أورثني ما ترى . فقلت : ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه ؟ . فقال : الاستمتاع على وجهين : أحدهما : النظر المباح .

والثاني : اللذة المحظورة ، فأما النظر المباح فأورثني ما ترى ، وأما اللذة المحظورة فإنه منعني منها ما حدثني أبي قال : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا علي بن مسهر : عن أبي يحيى القتات : عن ابن مجاهد : عن ابن عباس : عن النبي ﷺ أنه قال : من عشق وكنم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة ، ثم أنشدنا لنفسه :

انظر إلى السحر يجري في لواحظه
وانظر إلى دعج في طرفه الساجي
وانظر إلى شعرات فوق عارضه

كأنهن نعال دب في عجاج

وأنشدنا لنفسه :

ما لهم أنكروا سوادا بخديه

(م) ولا ينكرون ورد الغصون

إن يكن عيب خده بدد الشعر

(م) فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له : نفيت القياس في الفقه ، وأثبتته في الشعر .

فقال : غلبة الهوى ، وملكة النفوس دعنا إليه .

قال : ومات في ليلته أو في اليوم الثاني .

انظر تاريخ بغداد ٥ / ٢٦٢ ونم الهوى ص ٢٥٧ .

قال مغلطاي: وذكره الحافظ أبو محمد بن الحسين العبادي من حديث أبي سعيد البقال: عن عكرمة: عن ابن عباس موقوفاً لم يرفعه (٧).
وذكره الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي من حديث محمد بن خلف ابن المرزبان: عن أبي بكر الأزرق: حدثنا سويد به مرفوعاً.
قال ابن المرزبان: فعاتبته على ذلك فأسقط ذكر النبي ﷺ من هذا الحديث، فكان يُسأل بعد ذلك عنه فلا يرفعه (٨).

(٧) لم ينكر ابن قيم الجوزية ما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - موقوفاً عليه عن قتيل الهوى لا عقل ولا قود.

وإنما أنكر هذا الحديث عن شهادة من عشق فف، فأنكر ثبوته مرفوعاً، وقال في زاد المعاد: وفي صحته موقوفاً عن ابن عباس نظر.
 واحتج بأنه لم يرد ضمن الشهداء الذين عدوا في الصحيح.

وأقوله في زاد المعاد، والداء والدواء، وقد أورد نصوصه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤٠٥/١ - ٤٠٦ و ٤٠٧ - ٤٠٨، وسيأتي - إن شاء الله - نص كلامه من روضة المحبين وبقيّة كتبه.

(٨) قال ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٢٥٨: أخبرنا ابن ناصر. قال: أنبأنا المبارك ابن عبد الجبار. قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر البرمكي. قال: أنبأنا أبو الحسين الزينبي إجازة قال: حدثنا ابن المرزبان. قال: حدثنا أبو بكر الأزرق. قال: حدثنا سويد بن سعيد. قال: حدثنا علي بن مسهر: عن أبي يحيى القنات: عن مجاهد: عن ابن عباس. قال: من عشق فكتمه وعف فمات فهو شهيد.
قال ابن المرزبان: حدثني أبو بكر الأزرق هذا الحديث: عن ابن عباس: عن النبي ﷺ فعاتبته على ذلك، فأسقط ذكر النبي ﷺ، وكان يُسأل بعد ذلك عن الحديث فلا يرفعه.

ورواه الخطيب : عن الأزهرى : حدثنا المعافى بن زكريا :
 أخبرنا قطبة بن المفضل بن إبراهيم الأنصاري : أخبرنا أحمد بن
 محمد بن مسروق : حدثنا سويد أخبرنا ابن مسهر : عن هشام بن
 عروة : عن أبيه : عن عائشة فذكرته مرفوعاً (٩) .
 فالجواب عن قول من ذكر أن سويداً تفرد به مذكره الزبير بن
 بكار (القائل فيه حافظ بغداد ومؤرخها أبو بكر أحمد بن علي بن
 ثابت : كان ثقة ثباتاً عالماً) : حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون :
 عن أبي حازم : عن ابن أبي نجيح : عن مجاهد : عن ابن عباس :
 عن النبي ﷺ : أنه قال : من عشق فعف فمات فهو شهيد (١٠) .

- انظر تاريخ بغداد ٤٧٩/١٢ وقال بعد سياقه : رواه غير واحد عن سويد :
 عن علي بن مسهر : عن أبي يحيى الققات : عن مجاهد : عن ابن عباس ،
 وهو المحفوظ .
- (٩) أنكر ابن قيم الجوزية صحة هذا الإسناد في زاد المعاد ٣٧٧/٤ ، والجواب
 الكافي ص ٣٥٦ ، ولم يذكر علة الإسناد ، وإنما قال : « ونحن نشهد الله
 أن عائشة ما حدثت بهذا عن رسول الله ﷺ قط ، ولا حدث به عروة
 عنها ، ولا حدث به هشام قط » .
- (١٠) صحح هذا الإسناد الزركشي في اللآلئ المنثورة ص ١٨٠ ، وذكر السخاوي
 في المقاصد الحسنة ص ٤٢٠ أن الديلمي أخرجه في مسنده ، ولكن وقع
 عنده : عن عبد الله بن عبد الملك الماجشون .
 وحكم ابن قيم الجوزية في كتابه الجواب الكافي ص ٣٥٧ أن بعض الوضاعين
 ركب هذا الإسناد على الزبير بن بكار .
 وحكم ابن حجر في تلخيص الحبير ١٤٢/٢ أن بعض الرواة غلط فأدخل إسناداً
 في إسناد ، وعدّ نظم الباجي له تقوية له .
 ورواه ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٢٥٦ فقال : أخبرنا المبارك بن علي . --

وهذا حديث سنده كالشمس لا مرية في صحته ولا لبس ، وهو كان الجدير بالتصحيح لخلوه من مضعف وجريح ، وجميع رواته خرج حديثهم في الصحيح (١١) .

وسويد ممن خرج لهم مسلم في الصحيح على سبيل الاحتجاج وأكثر ما عيب به التلخيص والعمى ، وهما منتقيان هنا . . الأول

== قال : أنبأنا علي بن العلاف . قال : أنبأنا عبد الملك بن بشران . قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكندي . قال : حدثنا محمد بن جعفر بن سهل [هو الخرائطي] قال : حدثنا يعقوب بن عيسى من ولد عبد الرحمن بن عوف : عن ابن أبي نجيح : عن مجاهد : عن ابن عباس : عن النبي ﷺ قال : من عشق ففعل فمات فهو شهيد .

وقد رده ابن الجوزي في مشيخته بكون شيخ الخرائطي لم يدرك ابن أبي نجيح ، ويكون الخرائطي رواه في كتابه الاعتلال عن يعقوب : عن الزبير : عن ابن الماجشون : عن ابن أبي نجيح .

وضعف ابن الجوزي الخرائطي ، وأبى عليه الألباني ذلك ، وأعله بيعقوب . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٤٠٤ - ٤٠٥ .

وأورده ابن الجوزي بهذا الإسناد في العلل المتناهية ٢ / ٢٨٥ - ٢٨٦ وضعفه بيعقوب .

وقال العراقي في المغني بحاشية الإحياء في باب كسر الشهوتين ٩٠/٣ ، ورواه الخرائطي من غير طريق سويد بسند فيه نظر .

وحشى محقق العلل المتناهية ٢ / ٢٨٦ بضعف الماجشون . وصححه السخاوي - رحمه الله - بشرط أن يكون السند على السلامة فيما قبل

الزبير ، فإنه قال في المقاصد الحسنة ص ٤٢٠ : رواه الزبير بن بكار : حدثنا عبد الملك بن عبدالعزيز بن الماجشون : عن عبدالعزيز بن أبي حازم :

عن ابن أبي نجيح : عن مجاهد به مرفوعاً ، وهو سند صحيح .

وينظر هل هذه هي الطريق التي أورده الخرائطي منها ، فإن تكون هي فقد

قال العراقي : في سندها نظر .

(١١) بل فيه ابن الماجشون ، ولم يذكر رواية عن الزبير . والمعروف أن راويه عن الزبير يعقوب بن عيسى ، وهو متهم بالكذب .

لتصريحه بالتحديث ، والثاني لرواية الأكابر هذا الحديث قبل ذهاب
بصره (١٢) .

ويجواب عن حديث أبي سعيد البقال بضعفه (١٣) ، وبأنه لو كان
قوياً لكان قوة لحديث سويد ومتابعاً له ، لأن مثل هذا لا يؤخذ
بالرأي (١٤) ، ومحمولاً على نشاط الراوي وعدمه .
ويجاب عن ترك الأزرق رفعه بأنه لم يظهر له أمر تركه له ،
وإنما ابن خلف شككه فشك إذ لم يكن حافظاً (١٥) .

(١٢) بل عيب بنكارة أحاديث له رواها عنه الأكابر ، وكان يحيى بن معين أغلظ
الناس فيه قولاً ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤ / ٢٧٢ - ٢٧٥ ؛ فإن
قيل : إن الأحاديث المنكرة بعدما عني كان ذلك عذراً لسويد عن تعمد ما لا
يصح ، وبقيت الأحاديث على نكارتها .

وانظر عن سويد سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٠ - ٤٢٠ ؛ وتاريخ الإسلام للذهبي
فترة ٢٣١ - ٢٤٠ هـ ص ١٩٠ - ١٩٣ وتلخيص الحبير ٢ / ١٤٢ .

(١٣) لم يبين وجه الضعف .

(١٤) صح أن العفيف الصابر موعود بالجنة ، فأمكن إلحاقه بأحد الشهداء قياساً ،
والقياس يصيب ويخطئ .

إذن الأخذ بالرأي الخاطئ ممكن .

وسئلت البراهين على رجحان وقفه .

(١٥) قال أبو عبد الرحمن : هذا احتمال مرجوح ، لأنه قام البرهان أنه من كلام ابن
عباس رضي الله عنهما ، فكان رفعه من أوهام سويد ، فصح بهذا أن مذهب
ابن المرزبان والأزرق أنه موقوف .

وأما رواية سويد له : عن ابن مسهر : عن هشام فليست اضطراباً بل تقوية (١٦) وبياناً ، فإن الحديث قد اجتمع فيه أمران الصحة والحسن (١٧) بأن رواه غير ابن عباس بسند ليس به بأس ، إذ من الجائز أن يكون لابن مسهر فيه شيخان لكل منهما طريق .
 ويزيد هذا وضوحاً أن الحافظ أبا محمد بن أحمد لما ذكره في معرض الاحتجاج أنشد :

فإن أهلك هوى أهلك شهيداً

وإن تمنن بقيت قرير عين

روى هذا لنا قوم ثقات

نأوا بالصدق عن كذب ومين (١٨)

انتهى . . قلت وأنبائي المسند شهاب الدين أحمد بن محمد بن

(١٦) إنما يقال هذا بالنسبة للحفاظ ، أما من عرف بالوهم والإغراب فاختلاف إسناده محمول على الاضطراب .

(١٧) لا حسن ولا صحة ، لأن تفرد مثل سويد لا يجعل الإسناد صحيحاً .
 والمتابعات مدخولة لم تعد غير حسنة موقوفاً .

(١٨) حكم ابن حزم بثقة رواه يعني احتججه به .

على أن ابن حزم قال قبيل البيتين في طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم
 ٢٥٧/١ : وقد جاء في الآثار : من عشق . . . إلخ .

فعلق الدكتور إحسان بقوله : وقول ابن حزم : (في الآثار) : دليل على أنه لا يصححه .

أبي بكر الواسطي : عن أبي الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميديمي
بسماعه على النجيب أبي الفرج عبداللطيف بن عبدالمنعم الحراني:
أنبأنا أبو الفرج عبدالمنعم بن عبدالوهاب بن سعيد بن كليب : أنبأنا أبو
علي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نبهان الكاتب : أنبأنا أبو علي
الحسن بن الحسين بن العباس المعروف بابن دوما النعالي (١٩) : أنبأنا
أبو بكر أحمد بن نصر بن عبدالله بن الفتح الذارع نزير النهران
في جزئه : حدثنا صدقة بن موسى ، وأحمد بن محمود الأنصاري ،
والقاسم بن أحمد قالوا : حدثنا سويد بن سعيد الحدثاني : أخبرنا
ابن مسهر : عن أبي يحيى الققات : عن مجاهد : عن ابن عباس -
رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق فكم
وعف فمات فهو شهيد .

(١٩) قال ابن الجوزي : في ذم الهوى ص ٢٥٦ : أخبرنا إبراهيم بن دينار . قال :
أنبأنا أبو علي محمد بن سعيد بن نبهان . قال : أنبأنا الحسن بن الحسين بن دوما .
قال : أنبأنا أحمد بن نصر الذارع . قال : حدثنا صدقة بن موسى ، وأحمد بن
محمود الأنباري ، والقاسم بن أحمد . قالوا : حدثنا سويد بن سعيد الحدثاني .
قال : حدثنا علي بن مسهر : عن أبي يحيى الققات : عن مجاهد : عن ابن
عباس قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق وكم وعف فمات فهو شهيد .
قال الذارع : قال لنا عمر بن زكريا المؤدب : معنى وكم : كتم من يحبه أنه يحبه .
قال أبو عبد الرحمن : ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٥٦/٥ من طريق أحمد
ابن محمود الأنباري وقال : والذارع ليس بحجة .
وأسنده إلى الخطيب ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٢٥٦ .

حدثنا عثمان بن زكريا المؤدب : معنى فكتم : كتم من يحبه
أنه يحبه (٢٠) .

حدثنا محمد بن خلف : أخبرنا زكريا بن يحيى الكوفي : حدثنا
محمد بن حريث بن أبي مطر الشيباني : عن أبيه : عن أبي سعيد
البحال : عن عكرمة : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : من
عشق فعف فمات دخل الجنة . انتهى .

قال المصنف : قال الجوهرى : وأنشدنا محمد بن محمد الصايغ :
سأكتم ما ألقاه يا نور ناظري

من الوجد كيلا يذهب الأجر باطلا (٢١)

فقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد

ومن كان برأ بالعباد وواصل

بأن من يمت في الحب يكتم وجده

يموت شهيداً في الفرديس نازلاً

رواه سويد : عن علي بن مسهر

فما فيه من شك لمن كان عاقلاً

وما ذا كثير للذي مات مفرداً

سقيماً عليلاً بالهوى متشاغلاً

(٢٠) هذه دعوى على عموم النص الذي لم يعين المكتوم عنه .

(٢١) في الأصل : فور ناظري . . من الأجر كيلا .

وفي مصارع العشاق ٢ / ١٤٥ : يا فوز ناظري .

قلت : وقال الذارع : حدثنا زكريا بن جعفر : أخبرنا العباس ابن الفضل : عن أبيه قال : قال المهدي : أشتي أن أصلي على جنازة عاشق مات وجداً .

حدثنا صدقة : أخبرنا العباس بن بكار : أنبأنا أبو بكر الهذلي قال : قيل لشريح وهو قاعد على الطريق يوماً : ما يقعدك ؟ .
قال : لعلني أرى صورة حسنة .

وقال القاضي تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى : روى الحاكم بإسناده إلى الأستاذ أبي سهل (يعني محمد بن سليمان الصعلوكي) بإسناده إلى أبي نواس قال : مضيت يوماً إلى أزهر السمان ، فوجدت ببابه جماعة من أصحاب الحديث فجلست معهم أنتظر خروجه ، فمكث غير بعيد ووقف بين بابي داره ثم قال لأصحاب الحديث : حوائجكم ؟ .

فجعلوا يذكرونها له ويحدثهم بما يسألونه ، ثم أقبل علي وقال : حاجتك يا حسن ؟ .

فقلت :

ولقد كنتم رويتهم

عن سعيد عن قتادة

عن سعيد بن المسيب

أن سعيد بن عبيدة

قال من مات محباً

فله أجر الشهادة

قال : نعم يا خليف : حدثنا سعيد بن أبي عروبة : عن قتادة :
عن سعيد بن المسيب : عن سعد بن عباد : قال : قال رسول الله
ﷺ : من مات محبا في الله فله أجر الشهادة . انتهى (٢١) .

وقال الحافظ مغلطاي : وقال العلامة أبو الوليد الباجي :
إذا مات المحب جوئ وعشقا

فلك شهادة يا صاح حقاً

رواه لنا ثقات عن ثقات

إلى الخبر ابن عباس ترقى (٢٢)

(٢٢) قال السراج في مصارع العشاق ٢ / ٢٨٥ : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد
ابن عطية المكي : حدثنا أبو الفتح يوسف بن عمر بن مسرور القواسي الزاهد :
حدثنا الحنبلي أبو بكر : حدثني مسيح بن حاتم المكي : حدثني ابن عائشة
قال : كنا على باب عبد الواحد بن زياد ومعنا أبو نواس ، فخرج الشيخ فقال :
سلوا يا فتیان :
فسألنا حتى بقي أبو نواس ، فقال : سل يا فتى ؟
فقال أبو نواس :

ولقد كنا روينا

عن سعيد عن قتادة
عن سعيد بن المسيب

أن سعد بن عباد

قال : من مات محباً

فله أجر الشهادة

فقال : يا خبيث والله لا حدثك حديثاً ، وأنا أعرفك .

قال أبو عبد الرحمن : لم أجد الأبيات في ديوان أبي نواس .

(٢٣) انظر تلخيص الحبير ٢ / ١٤٢ .

وقال عبد الكريم بن هوازن القشيري :

إن المحب إذا توفي صابراً

كانت منازلته مع الشهداء

يرويه أقوام غدوا في صدقهم

علماء ناهيكم بهذا النداء

ونكر أبو الرقعمق في كتابه رستاق الاتفاق في ملح شعراء

الاتفاق في الجزء الرابع : أنشدونا لعبد الله بن المبارك الإمام :

حدثنا سفيان عن خالد

عن خالد عن سهل الساعدي

يرفعه من مات عشقا فقد

استوجب العفو من الماجد

وقال ابن الجوزي : أخبرنا أبو منصور القزاز . قال : أنبأنا أبو

بكر أحمد بن علي بن ثابت . قال : أخبرني الأزهرى . قال : حدثنا

المعافى بن زكريا . قال : حدثنا قطن بن الفضل بن إبراهيم

الأصباري . قال : حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق . قال : حدثنا

سويد بن سعيد ، قال : حدثنا علي بن مسهر . عن هشام بن عروة :

عن أبيه : عن عائشة . قالت : قال رسول الله ﷺ : من عشق فف

ثم مات مات شهيداً » (٢٤) .

(٢٤) أسواق العشاق ٣ ب - ٤ / ب وفي الأصل : استوجب المشق .

وقال ابن الجوزي: «أخبرنا أبو المعمر الأنصاري قال: أنبأنا صاعد بن سيار • قال أنبأنا أبو بكر أحمد بن سهل الغورجي • قال: أنبأنا إسحاق بن إبراهيم الحافظ إجازة • قال: حدثني أبو علي بن أبي بكر • قال: حدثنا محمد بن الحسين البخاري • قال: حدثنا أبو عبدالله العمري • قال: سمعت الجاحظ يقول: سئل شريك بن عبدالله عن العشاق، فقال: أشدهم حباً أعظمهم أجراً (٢٥) •

وقال الخطيب البغدادي: «أخبرنا محمد بن طلحة بن محمد النعالي: حدثنا أحمد بن محمد الصرصري: حدثنا إبراهيم بن جعفر الفقيه: عن سويد بن سعيد الحدثاني • قال: حدثنا علي بن مسهر: عن أبي يحيى القتات: عن مجاهد: عن ابن عباس: عن النبي ﷺ • قال: من عشق وكنم وعف ثم مات مات شهيداً • أحسب هذا غير البصري، والله أعلم» (٢٦) •

وقال الخطيب: «حدثنا المؤمل بن أحمد من لفظه قال: حدثنا أبو حفص عمر بن إبراهيم الكتاني قال: حدثنا أبو القاسم بن بكير التميمي قال: حدثنا محمد بن زكريا الخطيب قال: حدثنا سويد بن سعيد: عن علي بن مسهر: عن أبي يحيى القتات: عن مجاهد: عن

(٢٥) رد الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٠٦/١ - ٤٠٧ دعوى السيوطي في الجامع الصغير أنه روي عن عائشة رضي الله عنها، وبين أن الحديث عن ابن عباس، فغلط أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي في إسناده كما نبه على ذلك الخطيب في تاريخ بغداد، وكما في المؤلف للدارقطني، واللسان لابن حجر • (٢٦) زم الهوى ص ٢٥٩ •

ابن عباس • قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق وعف وكنم ثم مات مات شهيداً « (٢٧) •

وقال الخطيب : « حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي بجرجان : حدثنا عثمان بن زكريا بن يحيى المروزي ببغداد : حدثنا محمد بن زكريا المروزي : حدثنا سويد بن سعيد : أخبرنا علي بن مسهر : عن أبي يحيى القات : عن مجاهد : عن ابن عباس • قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق فكتم وعف فمات فهو شهيد « (٢٨) •

وقال العجلوني عن بيتي ابن حزم في نظم الحديث : « نكر نحوه منظوماً الباجي ، وأبو القاسم وغيرهما ، ومنه قول ابن الربيع :

(٢٧) تاريخ بغداد ٦ / ٥٠ - ٥١ ، وأسنده ابن الجوزي إلى الخطيب في نه الهوى ص ٢٥٦ - ٢٥٧ •

(٢٨) تاريخ بغداد ١٣ / ١٨٤ ، وأسنده ابن الجوزي إلى الخطيب في كتابيه نه الهوى ص ٢٥٧ ، والعل المتأهية ٢ / ٢٨٥ وأعله بسويد وابن زكريا • قال في العل ٢ / ٢٨٦ : « قال الدارقطني : كان سويد لما كبر يُقرأ عليه حديث فيه بعض النكارة فيجيزه • قالوا : هذا الحديث البلية فيه ممن روى عن سويد ، وهو محمد بن زكريا ، وكان يضع الحديث •

قلت : قد رواه عن سويد جماعة منهم أحمد بن محمود الأنباري ، وصدقة ابن موسى ، والقاسم بن أحمد ، وإبراهيم بن جعفر ، وأبو العباس بن مسروق ، والحسن بن علي الأشناني ، ودلوود الأصبهاني • فما انفرد ابن زكريا بذلك « •

تعفف إذا ما تخل بالخل عالماً

يكون إلهي ناظراً وشهيداً

ففي خبر المختار من عف كائناً

هواه إذا ما مات... مات شهيداً

وقال في الدرر : حديث من عشق فعف فكمات فهو شهيد :

له طرق عن ابن عباس •

وأخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور ، والخطيب في تاريخ بغداد ،

وابن عساكر في تاريخ دمشق ، والديلمى بلا سند عن أبي سعيد

رفعه : العشق من غير ريبة كفارة للذنوب •

وقد عقد شيخنا الشيخ عبدالغني - رحمه الله تعالى - حديث

الديلمى فقال :

يا من يحب حبيبـه

أترك جميع العيوب

وأقدم بنفس منيـبة

وأشرب بالطف كـوب

ولا تخف شر ريـبة

من جاهل محـبوب

روى الثقات غريـبة

للديلمى المرغـوب

في ذي المعاني نسيبة

فردوسه المطلبوب

قد قال من بث طيبه

طه شفا للقلوب :

العشق من غير ريبة

كفارة للذنوب « (٢٩)

وتكلم المناوي عن فقه الحديث وتفسير معناه فقيد الفعل في قوله:

« من عشق » بمن يتصور حل نكاحه لها شرعاً لا كأمرد .

وبين أنه من شهداء الآخرة لأن العشق وإن كان مبدؤه النظر

لكنه غير موجب له ، فهو فعل الله بالعبد بلا سبب .

وعرف العشق بالتفاف الحب بالمحب حتى يخالط جميع

أجزائه (٣٠) .

ولخص ابن قيم الجوزية حجة من احتج بهذا الحديث فقال :

« رواه أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب اعتلال

القلوب : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن عيسى من ولد عبد الرحمن بن

عوف : عن الزبير فنكره ، فخرج سويد عن عهدة التفرد به .

(٢٩) تاريخ بغداد ١١ / ٢٩٧ .

(٣٠) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢ / ٣٤٥ - ٣٤٦ ، وانظر المقاصد للحسنة

ص ٤١٩ - ٤٢١ .

على أنه لو تفرد به فهو ثقة ، احتج به مسلم في صحيحه ،
وقال عبدالله بن أحمد : قال لي أبي : اكتب عنه حديث ضمام .
وقال البغوي : كان حافظاً وكان أحمد ينتقي لولديه صالح
وعبدالله ، فكنا يختلفان إليه (٣١) .

وقال مسلم : ثقة ثقة .

وقال أبو حاتم الرازي ، ويعقوب بن شيبه : هو صدوق وأكثر
ما عيب به القليل (٣٢) .

وقد صرح ها هنا بالتحديث ، وعيب بأنه ذهب بصره في آخر
عمره ، فربما أدخل عليه هذا الحديث في كتبه ، ولكن رواية الأكابر
عنه هذا الحديث كان قبل ذهاب بصره ، لأنه إنما عمي في آخر
عمره ، وليس هذا بقلاح في حديثه » .

(٣١) في سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٢ : « قال عبدالله بن أحمد : عرضت على أبي

أحاديث لسويد بن سعيد عن ضمام بن إسماعيل ، فقال لي : اكتبها كلها .

أو قال تتبعها ، فإنه صالح .

أو قال : ثقة .

وقال أبو القاسم البغوي : كان سويد من الحفاظ ، وكان أحمد بن حنبل ينتقي

عليه لولديه صالح وعبدالله يختلفان إليه فيسمعان منه .

وقال أبو داود : سمعت أحمد يقول : هو لا بأس به .

أرجو أن يكون صدوقاً .

(٣٢) في سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٣ . قال أبو حاتم : صدوق يدلّس ويكثر

ذلك .

ثم قال ابن قيم الجوزية : «وقد أنكر حفاظ الإسلام هذا الحديث على سويد ، وقد تكلم الناس فيه ، فقال ابن المديني : ليس بشيء والضرير إذا كان عنده كتب فهو عيب شديد (٣٣) .

وقال يعقوب بن شيبة : صدوق مضطرب الحفظ ولا سيما بعدما عمي (٣٤) .

وقال البخاري : كان قد عمي فيلقن ما ليس من حديثه (٣٥) .
وقال أبو أحمد الجرجاني : هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد .
وأنكره البيهقي ، وأبو الفضل ابن طاهر ، وأبو الفرج ابن الجوزي وأدخله في كتابه الموضوعات .

ولما رواه أبو بكر الأزرق عن سويد علقه ابن المزيان فأسقط ذكر النبي ﷺ منه ، وكان سويد إذا سئل عنه لا يرفعه ، وهذا أحسن أحواله أن يكون موقوفاً ، ولذلك رواه أبو محمد الحسين القارئ من حديث أبي سعد البقال : عن عكرمة : عن ابن عباس رضي الله عنهما - من قوله .
وأما سياق الخطيب له من حديث هشام بن عروة : عن أبيه : عن عائشة - رضي الله عنها - فلا يشك من شم رائحة الحديث أن هذا باطل

(٣٣) التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ / ٤٣١ .
(٣٤) في سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٢ - ٤١٣ : « قال عبدالله بن علي بن المديني : سئل أبي عن سويد الأتباري ، فحرك رأسه وقال : ليس بشيء .
هذا أحد رجلين : إما يحدث من حفظه ، أو من كتبه .
هو عندي لا شيء .
قيل له : فأين حفظه ثلاثة آلاف ؟
قال : هذا أيسر . . . تكرر عليه » .
(٣٥) انظر سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٣ .

على هشام عن أبيه عن عائشة ، ولا يحتمل هذا المتن هذا الإسناد بوجه ، والتحاكم في ذلك إلى أهل الحديث لا إلى العارفين الغرباء منه .
والظاهر أن ابن مسروق سرقه وغير إسناده .

وأما حديث الزبير بن بكار فمن رواية يعقوب بن عيسى وهو ضعيف لا تقوم به حجة قدضعفه أهل الحديث ونسبوه إلى الكذب (٣٦) .
قال أبو عبد الرحمن : بقية القول عن سويد أنه أبو محمد سويد ابن سعيد بن سهل بن شهر يار الهروي ، ثم الحدثاني الأنباري نزيل حديثة النورة بليدة تحت عانة فوق الأنبار . . رحال جوال صاحب حديث وعناية بهذا الشأن .

لقي الكبار ، وحدث عن مالك بالموطأ وخلق كثير بالحرمين والشام والعراق ومصر .
روى عنه مسلم (٣٧) .

وقال الحسن الميموني : سأل رجل أبا عبد الله عن سويد ، فقال : ما علمت إلا خيراً .

فقال له إنسان جاءه بكتاب فضائل ، فجعل علياً - رضي الله عنه - أولها وأخراً بكر وعمر .

فعجب أبو عبد الله من هذا ، وقال : لعله أتى من غيره .

(٣٦) سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٣ .

(٣٧) روضة المحبين ص ١٧٩ - ١٨١ .

- قالوا له : وثم تلك الأشياء ؟
- قال : فَلِمَ تسمعونها أنتم ؟ .. لا تسمعوها .
- ولم أره يقول فيه إلا خيراً (٣٨) .
- وقال أبو داود : سمعت يحيى بن معين يقول : سويد مات منذ حين .
- قال الذهبي : عني أنه مات ذكره للينه ، وإلا فقد بقي سويد بعد يحيى سبع سنين (٣٩) .
- وقال أبو داود : سمعت يحيى يقول : هو حلال الدم (٤٠) .
- وقال محمد بن يحيى السوسي الخزاز : سألت يحيى بن معين عن سويد بن سعيد فقال : ما حدثك فاكتب عنه ، وما حدث به تلقيناً فلا .
- أي : إنه كان يقبل التلقين (٤١) .
- وقال سليمان بن الأشعث : سمعت يحيى بن معين يقول : سويد بن سعيد حلال الدم (٤٢) .
- وقال النسائي : ليس بثقة ولا مأمون (٤٣) .

(٣٨) انظر سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٠ - ٤١١ .

(٣٩) المصدر السابق ١١ / ٤١٢ .

(٤٠) السابق ١١ / ٤١٢ .

(٤١) السابق ١١ / ٤١٢ و ٤١٣ .

(٤٢) السابق ١١ / ٤١٢ .

(٤٣) السابق ١١ / ٤١٣ .

وقال صالح جزرة : صدوق عمي ، فكان يلقي أحاديث ليست من حديثه (٤٤) .

وهكذا قال الحاكم أبو أحمد . قال : فمن سمع منه وهو بصير فحديثه عنه أحسن .

ولم يذكر كلمة صدوق (٤٥) .

وقال أبو بكر الأعين : هو شيخ .. هو سداد من عيش (٤٦) .
قال أبو عبد الرحمن : جَرَحُ من لم يُقَسِّرَ مردود إلى جرح من فُسِّرَ ، فنخلص إلى أنه صدوق صالح في ذاته يُغْرَبُ في حديثه ، ويدخل عليه الخلل من جهة حفظه قبل عماه وبعده ، وبعد أن عمي صارت كتبه غير مأمونة من الدس .

قال أبو عبد الرحمن : الصواب أن هذا الحديث موقوف ، وهو من كلام ابن عباس - رضي الله عنهما - وفتواه .. قاس قتيل العشق العفيف الصابر على أحد الشهداء ، والقياس يصيب ويخطئ ، ثم رُفِعَ إلى رسول الله ﷺ وهماً لا عن عمد كذب .

والحكم في هذا الحديث عند العلماء رباعي : فمنهم من صححه .
ومنهم من حسنه .

(٤٤) سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٣ .

(٤٥) المصدر السابق ١١ / ٤١٣ .

(٤٦) السابق ١١ م ٤١٣ .

ومنهم من ضعفه .

ومنهم من جعله موضوعاً .

والذين لم يحسنوه ولم يصححوه اختلفوا :

فمنهم من صحح معناه كشيخ الإسلام ابن تيمية (١٧) ، ومنهم من

حكم بفساد معناه كابن قيم الجوزية .

والصواب صحة بعض معناه ، وهو أن العاشق العفيف الصابر

يؤجر ، ويتضاعف أجره بقدر نيته في تركه الإثم خوفاً من الله يدل

على ذلك الحديث الصحيح عن الثلاثة أصحاب الغار في خبر من

كان قبلنا .

وممن صححه لفظاً ومعنى مغلطاي في كتابه عن المحبين ،

والزركشي في « اللآلئ المنثورة » ، والسخاوي في « المقاصد » ،

والبقاعي في « أسواق العشاق » .

وحجة من صححه اتصال السند ، وثقة الناقل خلال سلسلة

الإسناد ، وعدالته .

قال أبو عبد الرحمن : التصحيح دعوى خرقاء تنافي أصول

المصطلح ، لأن أحد أسانيده غير مسلم اتصاله وهو إسناد الخرائطي ،

إذ ورد عنده بإسقاط أبي حازم . والرواية مباشرة عن يعقوب

وهو لم يدركه .

(٤٧) في مجموع الفتاوى .

والإسناد الثاني مداره على سويد ، وعلى التسليم بصدقه في ذاته ؛ فإن الرجحان على أن هذا من أوهامه ، ولا يعني رواية الأكابر عنه نفي وهمه ، لأنه أغرب في أحاديث رواها عنه الأكابر . وأما من حسنه فلم أجد غير الزرقاني في مختصر المقاصد الحسنة (١٨) .

قال أبو عبد الرحمن : وتُخَرَّجُ حُجَّتُهُ بِنَاءً عَلَى وَقَعِ رَوَايَاتِ الْحَدِيثِ وَأَصُولِ الْمِصْطَلَحِ فِي التَّحْسِينِ بِكَوْنِ رَاوِيهِ غَيْرِ مُتَّهِمٍ بِالْكَذِبِ ، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِالْوَهْمِ لِسُوءِ حِفْظِ ، أَوْ آفَةِ عَمَى تَمْنَعُ مِنْ صَيَانَةِ الْكِتَابِ عَنِ الدُّسْ فِيهِ ، لِأَنَّهُ سَوِيدٌ كَانَ ضَرِيرًا ، وَقَدْ زَالَ الْوَهْمُ بِشَوَاهِدٍ أُخْرَى .

(٤٨) قال ابن قيم الجوزية في الجواب الكافي ص ٢٥٧ « وكلام حفاظ الإسلام في إنكار هذا الحديث هو الميزان ، وإليهم يرجع في هذا الشأن ، ولا صححه ولا حسنه أحد يعول في علم الحديث عليه ، ويرجع في التصحيح إليه ، ولا من عاداته التسامح والتساهل ، فإنه لم يصف نفسه [قال أبو عبد الرحمن : العبارة ها هنا قلقة . . . ولعل صحة العبارة : فإن من صححه لم ينصف من نفسه] ، ويكفي أن ابن طاهر الذي يتساهل في أحاديث التصوف ويروي منها الغث والسمين قد أنكره وشهد ببطلانه » .

وقال في زاد المعاد ٤ / ٢٧٦ : « فقلد أئمة الحديث العاملين به وبطله ، فإنه لا يحفظ عن إمام واحد منهم قط أنه شهد له بصحة ، بل ولا بحسن ، كيف وقد أنكروا على سويد هذا الحديث ، ورموه لأجله بالعظائم ، واستحل بعضهم غزوه لأجله ؟ » .

كما أن هذا الحديث معمول به ، لأن كثيرين من العلماء قبلوه في
شعرهم . قال الإمام أبو محمد ابن حزم :

فإن أهلك هوئ أهلك شهيداً

وإن تمنن بقيت قرير عين

روى هذا لنا قوم ثقات

نأوا بالصدق عن كذب ومين

وقال محمد بن محمد الصايغ :

رواه سويد: عن علي بن مسهر

فما فيه من شك لمن كان عاقلاً

وقال أبو الوليد الباجي :

إذا مات المحب جوى وعشقا

فتلك شهادة يا صاح حقاً

رواه لنا ثقات عن ثقات

إلى الحبر ابن عباس ترقى

وقال عبدالكريم بن هوازن القشيري :

إن المحب إذا توفي صابراً

كانت منازلُه مع الشهداء

-- قال أبو عبدالرحمن : وذكر الشيخ حمدي عبدالمجيد محقق خلاصة البدر المنير

١ / ٢٦٢ أن للشيخ أحمد بن محمد الصديق الغماري رسالة في درء الضعف عن

حديث من عشق ففغ ، ووعد بنشرها .

يرويه أقوام غدوا في صدقهم

علماء ناهيكم بهذا الداء

وقال عبدالله بن المبارك الإمام :

حدثنا سفيان عن خالد

عن خالد عن سهل الساعدي

يرفعه من مات عشقاً فقد

استوجب العفو من الماجد

وقال ابن الربيع :

تعف إذا ما تَخَلُّ بالخلِّ عالماً

يكون إلهي ناظراً وشهيدا

ففي خبر المختار من عف كاتماً

هواه إذا ما مات مات شهيدا

قال أبو عبد الرحمن: أما رواية أبي نواس في شعره فلاعبرة بها .

قال أبو عبد الرحمن : التحسين ها هنا منهج خاطئ ، لأن شواهد

هذا الحديث نوعان :

صحيح غير مرفوع فيحمل ما لم يصح على ما صح .

وغير صحيح لوهم أو اتهام بالكذب ، فيبقى الشاهد معلولاً في

ذاته ، فلا يتقوى به إسناد آخر معلول من وجه آخر بعلته تتعلق بالوهم .

وأما أقوال العلماء فليست كلها نصّاً في التحسين ، بل تنكر

الورود بمعنى أنه روي ، وليس كل مروي يكون صحيحاً أو حسناً .

كما أن الفتوى ها هنا غرض شعري ، ومجارة مبناهما على التسامح لا سيما أن لمدلول الحديث معنى صححه ابن عباس قياساً لا نصاً .

ولو صح أن أحد هؤلاء العلماء صححه أو حسنه لكان ذلك رأياً يُردُّ إلى الأصول .

قال أبو عبد الرحمن : وهناك من ضعفه ولم يبين درجة ضعفه حسب اصطلاح معين : أهو من الضعيف الراجح بطلانه ، أم الضعيف الذي لم تقم شواهد صحته ، فيكون محتمل الطرفين حكمه التوقف ؟ (٤٩) .

قال أبو عبد الرحمن : قام البرهان على أنه حديث باطل رفعه إلى رسول الله ﷺ ، وهو صحيح الإسناد إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - من قوله موقوفاً عليه .
ومنهم من حكم بوضعه (٥٠) .

(٤٩) حقت مثل هذا التفريق الضروري في كتبي الثلاثة : تضعيف حديث دخول الجنة بجواز من الرحمان ، وفي المختاب ، والبرهان على تحسين حديث سلمان في خطبة رسول الله ﷺ في رمضان .

وممن ضعف حديث : « من عشق » المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ / ٤٣١ .

وبعضهم اكتفى بالقول إن فيه مقالاً ، أو نظراً ، أو لخص إعلال الأئمة له كابن الملقن في خلاصة البدر المنير ١ / ٢٦٢ .

(٥٠) ممن حكم بوضعه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤٠٢/١ .

وممن بالغ في الحكم بوضعه ابن قيم الجوزية في عدده من كتبه .
وفي هذا الحكم إجحاف ، لأنه يعني تعمد الكذب ، وقد قام
البرهان على أنه محمول على الوهم لا تعمد الكذب ، وما كان هكذا
يكون ضعيفاً لا موضوعاً .

ويكون من الضعيف المرئود الذي نسب إلى رسول الله ﷺ
وهماً لا وضعاً .

قال ابن قيم الجوزية : « هذا حديث باطل على رسول الله ﷺ
قطعاً لا يشبه كلامه ، وقد صح عنه أنه عد الشهداء ستة فلم يذكر
فيهم قتيل العشق شهيداً ، ولا يمكن أن يكون كل قتيل بالعشق
شهيداً ، فإنه قد يعشق عشقاً يستحق عليه العقوبة » (٥١) .

وقال : « ومما يوضح ذلك : أن النبي ﷺ عد الشهداء في الصحيح ،
فذكر المقتول في الجهاد ، والمبطون ، والحرق ، والنفساء يقتلها ولدها ،
والغرق ، وصاحب ذات الجنب ، ولم يذكر منهم من يقتله العشق .

-- ومن أورده في الكتب الخاصة بالموضوعات فقد حكم بوضعه كالشوكاني في
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية ص ٢٥٥ وابن قيم الجوزية في
المنار المنيف ص ١٤١ رقم ٣٢١ ، وتبعه للصباغ في تحقيقه لمختصر
المقاصد ص ١٩٦ .

وهناك كتب جمعت بين الضعيف والموضوع ، ولكن سياق المؤلف يوحي بأنه
أراد التضعيف مثل كتاب الكشف الإلهي للطرابلسي ٢ / ٧٠٣ قال : حكم ابن
القيم بوضعه ، وانتصر له الزركشي بتقويته بتعدد طرقه .

(٥١) روضة المحبين ص ١٧٩ .

وحسب قتيل العشق أن يصح له هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، على أنه لا يدخل الجنة حتى يصبر لله ، ويعف لله ، ويكتم لله ، لكن العشاق إذا صبر وعف وكنتم مع قدرته على معشوقه ، وأثر محبة الله وخوفه ورضاه .. هذا من أحق من دخل تحت قوله تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ [سورة النازعات / ٤٠-٤١] ، وتحت قوله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ [سورة الرحمن / ٤٦] .
فنسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم أن يجعلنا ممن أثر حبه على هواه ، وابتغى بذلك قربه ورضاه » (٥٢) .

وقال ابن قيم الجوزية أيضا : « فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، ولا يجوز أن يكون من كلامه ، فإن الشهادة درجة عالية عند الله ، مقرونة بدرجة الصديقية ، ولها أعمال وأحوال .. هي شرط في حصولها ، وهي نوعان :

- عامة وخاصة ، فالخاصة الشهادة في سبيل الله .
- والعامة خمس مذكورة في الصحيح ليس العشق واحداً منها .
- وكيف يكون العشق الذي هو شرك في المحبة ، وفراغ القلب عن الله ، وتمليك القلب والروح والحب لغيره تُنال به درجة الشهادة ؟ .
- هذا من المحال ، فإن إفساد الصور للقلب فوق كل إفساد ، بل

هو خمر الروح الذي يسكرها ، ويصدها عن ذكر الله وحبه ، والتلذذ بمناجاته ، والأنس به ، ويوجب عبودية القلب لغيره ؛ فإن قلب العاشق متعبد لمعشوقه ، بل العشق لب العبودية ، فإنها كمال الذل ، والحب والخضوع والتعظيم ، فكيف يكون تعبد القلب لغير الله مما تنال به درجة أفاضل الموحدين وساداتهم ، وخواص الأولياء ؟ .

فلو كان إسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطاً ووهماً ، ولا يحفظ عن رسول الله ﷺ لفظ العشق في حديث صحيح ألبتة .

ثم إن العشق منه حلال ، ومنه حرام ، فكيف يظن بالنبي ﷺ أنه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف بأنه شهيد ؟ .

فترى من يعشق امرأة غيره ، أو يعشق المردان والبغايا ينال بعشقه درجة الشهداء !! .

وهل هذا إلا خلاف المعلوم من دينه ﷺ بالضرورة ؟ .

كيف والعشق مرض من الأمراض التي جعل الله سبحانه لها الأدوية شرعاً وقدرأ ، والتداوي منه إما واجب إن كان عشقاً حراماً ، وإما مستحب .

وانت إذا تأملت الأمراض والآفات التي حكم رسول الله ﷺ لأصحابها بالشهادة ، وجدتها من الأمراض التي لا علاج لها ، كالمطعون ، والمبطون ، والمجنون ، والحريق ، والغريق ، وموت المرأة يقتلها ولدها في بطنها ، فإن هذه بلايا من الله لا صنع للعبد فيها ، ولا علاج لها ، وليست أسبابها محرمة ، ولا يترتب عليها من

فساد القلب وتعبد له غير الله ما يترتب على العشق « (٥٢) » .

قال أبو عبد الرحمن : ورود حديث عن الشهداء لم يذكر العشاق
الغيف الصابر لا يعني أن حديث شهادة العشاق باطل ، لأن الأحكام
لا تؤخذ من نص واحد ، ولأن حديث الشهداء لم يرد بصيغة الحصر .
ودفعي للاحتجاج بحديث الشهداء إسقاط للحجة ، وليس إسقاطاً
لدعوى أن حديث من عشق فف غفر ثابت .

قال أبو عبد الرحمن : ولا نكارة في معنى الحديث جملة ، ولكن
الذي ينسب إلى الشرع بعض معناه .
وبيان ذلك : أن فيه تبشير العشاق الصابر ، لأنه حكم له
بالشهادة ، والجنة دار الشهداء .
وفيه الحكم بأنه شهيد .

فأما مدح العشاق الصابر وتبشيره فذلك معنى شرعي بمقتضى
نصوص العفة والصبر ، وبمقتضى حديث أصحاب الغار .
وأما الحكم بشهادته فذلك زيادة شرع لا تجوز إلا بنص ، وهو
ثابت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من قوله وقتواه ،
ولا محل له إلا على القياس ، فثبت ابن عباس الحكم اجتهداً .
والتداوي من العشق واجب على كل تقدير .

ولا معنى لإنكار ابن قيم الجوزية مشروعية العشق ، لأن
الأجر والشهادة للعفة والكرم والصبر لا للعشق ، والله المستعان .

• • •

الفصل الثالث :

العشاق والوصل :

قال أبو محمد ابن حزم : « ومن وجوه العشق الوصل ، وهو حظ رفيع ، ومرتبة سرية ، ودرجة عالية ، وسعد طالع ، بل هو الحياة المجددة ، والعيش السني ، والسرور الدائم ، ورحمة من الله عظيمة . ولولا أن الدنيا ممر ومحنة وكدر ، والجنة دار جزاء وأمان من المكاه لقلنا : إن وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه ، والفرح الذي لا شائبة ولا حزن معه ، وكمال الأمان ، ومنتهى الأراجي . ولقد جربت الذات على تصرفها ، وأدركت الحظوظ على اختلافها ، فما للدنو من السلطان ، ولا للمال المستفاد ، ولا الوجود بعد العدم ، ولا الأوبة بعد طول الغيبة ، ولا الأمن من بعد الخوف ، ولا التروح على المال - من الموقع في النفس - ما للوصل ، ولا سيما بعد طول الامتناع ، وحلول الهجر ، حتى يتأجج عليه الجوى ، ويتوقد لهيب الشوق ، وتتضرم نار الرجاء . وما إصناف النبات بعد غب القطر ، ولا إشراق الأزهار بعد إقلاع السحب الساريات في الزمان السجسج ، ولا خير المياه المتخللة لأفانين النوار ، ولا تائق القصور البيض قد أحقت بها الرياض الخضر : بأحسن من وصل حبيب قد رُضيت أخلاقه ، وحمدت غرائزه ، وتقابلت في الحسن أوصافه . . وإنه لمعجز السنة البلغاء ، ومقصر فيه بيان الفصحاء ، وعنده تطيش الألباب ، وتعزب الأفهام » (١) .

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١٨٠/١ - ١٨١ .

قال أبو عبد الرحمن : الحب عن شهوة ينكسر بالوصل .

أما العشاق فلا يزيده الوصل إلا نعيماً .. قال أبو محمد ابن حزم : « وأنا أدركت بنت زكريا بن يحيى التميمي المعروف بابن برطال (وعمها كان قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن يحيى ، وأخوها الوزير القائد الذي كان قتله غالب وقائدين له في الواقعة المشهورة بالثغور ، وهما مروان بن أحمد بن شهيد ، ويوسف بن سعيد العكي) وكانت متزوجة بيحيى بن محمد بن الوزير يحيى بن إسحاق ، فعاجلته المنية وهما في أغص عيشهما وأنضر سرورهما ، فبلغ من أسفها عليه أن باتت معه في دثار واحد ليلة مات ، وجعلته آخر العهد به وبوصله ، ثم لم يفارقها الأسف بعده إلى حين موتها » (٢) .

وعن فساد الحب بالوصل أو عدم فساد قال ابن قيم الجوزية : « فصل الخطاب بين الفريقين أن الجماع الحرام يفسد الحب ، ولا بد أن تنتهي المحبة بينهما إلى المعادة والتبغض والقلبي كما هو مشاهد بالعيان . فكل محبة لغير الله آخرها قلى وبغض ، فكيف إذا قارنها ما هو من أكبر الكبائر ؟ »

(٢) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١٨٧/١ - ١٨٨ ، وانظر ذم الهوى لابن الجوزي ص ٤٥١ - ٤٧٢ حيث ذكر جماعة نعموا بالوصل . وذكر ابن قيم الجوزية التداوي الشرعي بالوصل المباح كما ذكر أخبار من نعموا بالوصل في روضة المحبين ص ٢١٢ - ٢٢٠ . ويتبع حكم التداوي بالوصل الفصل الذي عقده بعنوان فضيلة الجمال وميل النفوس إليه ص ٢٢١ - ٢٥٨ .

وهذه عداوة بين يدي العداوة الكبرى التي قال الله تعالى فيها : ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزخرف / ٦٧] .

وسنذكر - إن شاء الله تعالى - من ظفر بمحبة وترك قضاء وطره منه رغبة في بقاء محبته ، وخشية أن تتقلب قلبى وبغضاً في الباب الموعود به ، فإن ذلك أليق به .

وأما الجماع المباح فإنه يزيد الحب إذا صادف مراد المحب ، فإنه إذا ذاق لذته وطعمه أوجب له ذلك رغبة أخرى لم تكن حاصلة قبل الذوق .

ولهذا لا يكاد البكران يصبر أحدهما عن الآخر ، هذا ما لم يعرض للحب ما يفسده ويجب نقله إلى غير المحبوب .

وأما ما احتج به الآخرون فجوابه أن الشهوة والإرادة لم تطفأ نارها بالكلية ، بل فترت شهوة ذلك الوقت ثم تعود أمثالها ، وإنما يظهر هذا إذا غاب أحدهما عن حبيبه ، وإلا فما دام بمرأى منه وهو قادر عليه متى أحب فإن النفس تسكن بذلك وتطمئن به ، وهذا حال كل من كان بحضرته ما يحتاج إليه من طعام وشراب ولباس وهو قادر عليه ، فإن نفسه تسكن عنده ، فإذا حيل بينه وبينه اشتد طلبه له ونزاع نفسه إليه .

على أن المحب للشئ متى أفرط في تناول محبوبه نفرت نفسه منه ، وربما انقلبت محبته كراهية ، وسيأتي مزيد بيان لهذا

في باب سلو المحبين إن شاء الله تعالى « (٣) » .

قال أبو عبد الرحمن : وهنا نعيم وصل من بقايا دين الجاهلية ظل

في سمر القوم بعد الإسلام فحكاه الأصمعي وغيره .

قال ابن قيم الجوزية : « قال الأصمعي : قلت لأعرابية : ما

تعدون العشق فيكم ؟ » .

قالت : العناق والضممة والغمزة والمحادثة .

ثم قالت : يا حضري فكيف هو عندكم ؟

قلت : يقعد بين شعبها الأربع ثم يجهدهما .

قالت : يا ابن أخي ما هذا عاشق .. هذا طالب ولد .

وسئل أعرابي عن ذلك فقال : مص الريق ، ولثم الشفة ،

والأخذ من أطايب الحديث ، فكيف هو فيكم أيها الحضري ؟

فقال : العفس الشديد ، والجمع بين الركبة والوريد ، ورهز

يوقظ النائم ، ويشفي القلب الهائم .

فقالت (٤) : بالله ما يفعل هذا العدو الشديد فكيف الحبيب

الودود ؟

وقال بعضهم : الحب يطيب بالنظر ويفسد بالغمز .

قال هؤلاء : والحب الصحيح يوجب إعظام المحبوب وإجلاله

(٣) روضة المحبين ص ٨٩ - ٩٠ .

(٤) في الأصل : فقال .

والحياء منه ، فلا تطاوع نفسه أن يلقي جلاباب الحياء عند محبوبه ،
وأن يلقيه عنه ، ففي ذلك غاية إذلاله وقهره كما قيل :

إذا كان حظ المرء ممن يحبه حراماً فحظي ما يحل ويجمل
حديث كماء المزن بين فصوله عتاب به حسن الحديث يفصل
ولثم فم عذب اللثات كأنما جناهن شهد فت فيه القرنفل
وما العشق إلا عفة ونزاهة وأنس قلوب أنسهن التغزل
وإني لأستحيي الحبيب من التي تريب وأدعى للجميل فأجمل
وزعم بعضهم أنه كان يشترط بين العشيقة والعاشق أن له من
نصفها الأعلى إلى سرتها ينال منه ما يشاء من ضم وتقبيل
ورشف ، والنصف الأسفل يحرم عليه ، وفي ذلك قال شاعر القوم :
فلحب شطر مطلق من عقاله وللبل شطر ما يرام منيع
وقال الآخر :

لها شطر فمن حل وبل ونصف كالبحيرة ما يهاج (٥)
وهذا كان من دين الجاهلية فأبطلته الشريعة ، وجعلت
الشطرين كليهما للبل .

(٥) البل بالكسر : المباح يقال : حل بل وهو إتباع .

والبحيرة : الناقة ، كانت في الجاهلية إذا ولدت خمسة أبطن شقوا أذنهما ، وأغفوها
أن ينتفع بها ، ولم يمنعوها مرعى ولا ماء ، وقد أبطلها الإسلام . قال تعالى
﴿ ما جعل الله من بحيرة ﴾ سورة المائدة / ١٠٣ . [محقق للروضة] .

والشعراء قاطبة لا يرون بالمحالات والنظر للأجنيبات بأساً ، وهو مخالف للشرع والعقل فإن فيه تعويضاً للطبع لما هو مجبول على الميل إليه ، والطبع يسرق ويغلب ، وكم من مفتون بذلك في دينه ودنياه .
فإن قيل فقد أنشد الحاكم في مناقب الشافعي له :

يقولون لا تنظر وتلك بليّة ألا كل ذي عينين لا بد ناظر
وليس اكتحال العين بالعين ريبة إذا عف فيما بين ذاك الضمائر (٦)
فإن صحت عن الشافعي فإنما أراد النظر الذي لا يدخل تحت
التكليف ، كنظرة الفجأة أو النظر المباح » (٧) .

وعن التداوي بالوصل قال ابن الجوزي : « أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين قال : أنبأنا أبو علي الحسن بن علي قال : أنبأنا أحمد بن جعفر قال : حدثنا عبد الله بن أحمد قال : حدثنا أبي قال : حدثنا عبد الصمد قال : حدثني حرب : عن أبي الزبير : عن جابر - رضي الله عنه - :
أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأعجبته ، فأتى زينب فقضى منها حاجته ، وقال : إن المرأة تقبل في صورة شيطان ، وتدبر في صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله ، فإن ذلك يرد مما في نفسه .
انفرد بإخراجه مسلم ، وقد نبه هذا الحديث على أمرين .
أحدهما : التسلي عن المطلوب بجنسه .

(٦) في معجم البلدان لياقوت أن هذين البيتين للخضيل بن عبيد فلم تتأكد نسبتها إلى الشافعي [محقق الروضة] .
(٧) روضة المحبين ص ٨٦ - ٨٨ .

والثاني : الإعلام بأن سبب الإعجاب قوة الشهوة ، فأمر بتقيصها « (٨) » .

وقال : « فإن خلقاً كثيراً أضناهم العشق ، فلما قدرُوا على المحبوب عاودتهم الصحة سريعاً ، لأن النكاح يزيل العشق » .

أنبأنا عبدالوهاب بن المبارك قال : حدثنا محمد بن المظفر بن بكران قال : حدثنا أحمد بن محمد العتيقي قال : أنبأنا يوسف بن أحمد بن الدخيل قال : حدثنا أبو جعفر العقيلي قال : حدثنا محمد بن خزيمة قال : حدثنا عبدالله بن يوسف التتيسي قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائفي : عن إبراهيم بن ميسرة : عن طاووس : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن رسول الله ﷺ قال : لم ير للمتحابين مثل التزوج .

أخبرنا محمد بن ناصر ، وابن أبي عمر قالوا : أنبأنا علي بن أيوب قال : أنبأنا أبو علي بن شاذان قال : حدثنا أبو الفوارس أحمد ابن علي محتسب المصيصة قال : حدثنا حيان بن بشر قال : حدثنا أحمد بن حرب قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : حدثنا عمرو بن دينار : عن جابر - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله : عندنا يتيمة قد خطبها رجلان موسر ومعر ، وهي تهوى المعسر ، ونحن نهوى الموسر ، فقال رسول الله ﷺ : لم ير للمتحابين مثل النكاح .

أنبأنا محمد بن ناصر قال : أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال :
 أنبأنا الجوهري قال : أنبأنا ابن حيويه قال : أنبأنا ابن المرزبان إجازة
 (وحدثنا محمد بن حريث عنه) قال : حدثنا داوود بن رشيد ، قال :
 حدثني الهيثم بن عدي قال : عن ابن شبرمة قال : كنت أقعد إلى
 فلانة الترجمية (وكانت جميلة برزة) فخلا البيت يوماً فقلت لها :
 هل لك فيما أحل الله عز وجل وأمر به ؟ .

فقلت : يعجبك ؟ .

قلت : نعم .

قلت : فلا ترده ، فإن الحب إذا نكح فسد .

أخبرنا محمد بن ناصر . قال : أنبأنا أحمد بن محمد البخاري ،
 وأخبرتنا شهدة قالت : أنبأنا أبو محمد ابن السراج قال : أنبأنا الحسن
 ابن علي الجوهري قال : أنبأنا ابن حيويه . قال : حدثنا ابن خلف قال :
 زعم ابن داب أن معاذ بن كليب كان يعشق ليلى الأعلمية من بني
 عقيل ، وكان قد أقعده حبها من رجله ، فأتاه أخو ليلى بليلى ، فلما
 نظر إليها وكلمته تحلل ما كان به ، وانصرف وقد عوفي « (٩) .

قال أبو عبد الرحمن : الهيثم بن عدي كذاب ، ولو صح الخبر لكانت
 وصية الترجمية وصية فسق تضاد وتحد وصية الشرع المطهر .
 وعن حديث « لم ير للمتحابين » قال ابن قيم الجوزية :

(٩) نم الهوى ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .

« وقال الطبراني في معجمه الأوسط : حدثنا بكر بن سهل : حدثنا عبدالله بن يوسف : حدثنا محمد بن مسلم : عن إبراهيم بن ميسرة : عن طاووس : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن رجلاً قال : يا رسول الله عندنا يتيمة قد خطبها رجلان موسر ومعسر ، وهي تهوى المعسر ، ونحن نهوى الموسر ؟ ! »

فقال : لم ير للمتحابين مثل التزويج .

قال أبو القاسم الطبراني : لم يروه عن طاووس إلا إبراهيم ، ولا رواه عن إبراهيم إلا محمد بن مسلم ، وسفيان الثوري .
تفرد به مؤمل بن إسماعيل عن الثوري ، انتهى .

وقد رواه أبو الفرج ابن الجوزي من حديث حسان بن بشر : حدثنا أحمد بن حرب : حدثنا ابن عيينة : حدثنا عمرو : عن جابر فنكره .
قال المعافى بن عمران : حدثنا إبراهيم بن يزيد : عن سليمان بن موسى : عن عمرو : عن طاووس : عن ابن عباس رضي الله عنهما .
وحدثنا علي بن حرب الطائي : حدثنا ابن عيينة : عن إبراهيم ابن ميسرة : عن طاووس .

ونكره الدارقطني في كتاب الغرائب ، وقال : تفرد به يزيد بن مروان : عن عمرو بن هارون : عن عثمان بن الأسود المكي : عن إبراهيم بن ميسرة : عن طاووس .

وقالت هند بنت المهلب : ما رأيت لصالحى النساء وشرارهن خيراً من إلحاقهن بمن يُسكن إليه من الرجال ، ولرب مسكون إليه

غير طائل ، والسكن على كل حال أوفق .

ونكر الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - يرفعه : أربع لا يشبعن من أربع : أرض من مطر ، وأنثى من نكر ، وعين من نظر ، وعالم من علم .

وهذا باطل قطعاً على رسول الله ﷺ ، وهو كثير عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٠) .

ونكر الطبراني في معجمه الأوسط من حديث ابن عمر يرفعه : فضل ما بين لذة المرأة ولذة الرجل كثر المخطط في الطين إلا أن الله سترهن بالحياء .

وقال : لم يروه عن أيث إلا أبو المسيب سلم بن سلام : عن سويد : عن عبدالله بن أسامة : عن يعقوب بن خالد : عن عطاء : عن ابن عمر رضي الله عنهما .

قلت : وهذا أيضاً لا يصح عن رسول الله ﷺ ، وإسناده مظلم لا يحتج بمثله « (١١) » .

(١٠) نكر هذا الحديث في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى من رواية الحاكم أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها - لا عن أبي هريرة ، وفي سننه عبدالسلام بن عبدالقدوس .

وجاء في تهذيب التهذيب قول أبي حاتم في عبدالسلام : يروي الموضوعات لا يحل الاحتجاج به منها حديث : أربع لا يشبعن من أربع ٠٠٠ إلخ ثم قال : هذا منكر [محقق الروضة] .

(١١) روضة المحبين ص ٨٣ - ٨٥ ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٩٦/٢ - ١٩٩ رقم ٦٢٤ .

ومن أحاديث الوصل أسطورة أبي المسهر الجعد بن مهجع العنزي المنسوبة روايتها إلى الشاعر عمر بن أبي ربيعة . قال عمر : سمعت أبا المسهر يتكلم بشيء ، فأصغيت إليه ، فإذا هو يقول :

يارب كل غدوة وروحوة

من محرم يشكو الضحى ولوحة

أنت حسيب الخلق يوم الدوحة

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ .

قال : والله لأخبرنك ولو لم تسألني .

فيممنا نحو مزدلفة ، فأقبل علي وقال : إني رجل ذو مال كثير من نعم وشاء (ونو المال لا يرويه الماء القليل) وقطر الغيث أرض كلب ، فانتجعت أخوالي منهم ، فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني معظم الماء ، وكنت فيهم في خير أخوال .

ثم إني عزمت على إرواء إبلي بماء لهم يقال له الحوذان ، فركبت فرسي ومضيت ، حتى إذا كنت بين الحي ومرعى النعم أبصرت دوحة عظيمة ، فنزلت عن فرسي وشدته بغصن من أغصانها ، وجلست في ظلها .

فبينما أنا كذلك إذ سطع غبار من ناحية الحي وبدأ لي ثلاثة أشخاص ، ثم تبينت فإذا فارس يطرد حماراً وحشياً وأتانة ، فتأملته فإذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء ، وإذا فروع شعره تضرب خصره ، فقلت : غلام حديث عهد بعرس أعجلته لذة الصيد فترك

ثوبه ولبس ثوب امرأته .

فما جاز علي إلا يسيراً حتى طعن الحمار الوحشي وثنى طعنة
للأتان فصرعهما ، وأقبل راجعاً نحوي ، وهو يقول :
نطعنهم سلكى ومخلوجة

كرك لأمين على نابـل (١٢)

فقلت : إنك قد تعبت وأتعبت ، فلو نزلت ! .

فتنى رجله فنزل فشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة وألقى
رمحه وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدثني حديثاً ذكرت به قول أبي نؤيب :
وإن حديثاً منك لو تبذلينه

جنى النحل في ألـبان عوذ مطاقل (١٣)

فممت إلى فرسي فأصلحت من أمره ، ثم رجعت (وقد حسر
العمامة عن رأسه) فإذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش .
فقلت : سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأحسن صنعتك ! .
فقال : مم ذاك ؟ .

قلت : مما راعني من جمالك وبهرني من نورك .

(١٢) هذا البيت لامرئ القيس .. السلكى : الطعنة المستقيمة .. المخلوجة : الطعنة
المعوجة .. اللكم : السهم عليه الريش الملائم .. النابل : صاحب النبل
[زراقط] .

(١٣) عوذ : جمع عائذ وهي الحديثة النتاج إلى خمسة عشر يوماً أو نحوها ، ثم هي
بعد ذلك مطلق [زراقط] .

قال : وما الذي يروعك من حبيس التراب ، وأكيل الدواب ، ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أم يياس ؟ ! .

قلت : لا يصنع الله بك إلا خيراً .

ثم تحدثنا ساعة ، فأقبل علي وقال : ما هذا الذي قد وضعت في سرجك ؟ .

قلت : شراب أهدها إلي بعض أهلي ، فهل لك فيه من أرب ؟ .
قال : أنت وذاك .

فأتيت به ، فشرب منه وجعل ينكت أحياناً بالسوط على ثناياه ، فجعل والله يتبين لي ظل السوط فيهن ، فقلت : مهلاً فإني خائف أن تكسرهن .
فقال : ولم ؟ .

قلت : لأنهن رقاق وهن عذاب .
فرفع عقيرته يتغنى :

إذا قبل الإنسان آخر يشتهي

ثناياه لم يَأثم وكان له أجرا

فإن زاد زاد الله في حسناته

مناقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع ، فبرقت لي بارقة تحت الدرع ، فإذا ثدي كأنه حق عاج ، فقلت نشدتك الله امرأة ؟ .
قالت : إي والله إلا أني أكره العشير وأحب الغزل .

ثم جلست فجعلت تشرب معي ما أفقد من أنسها شيئاً حتى

نظرت إلى عينيها كأنهما عينا مهابة مذعورة ، فوالله ما راعني إلا
ميلها على الدوحة سكرى .

فزين لي والله الغدر وحسن في عيني ، ثم إن الله عصمني
منه ، فجلست بعيداً عنها (١٤) ، فما لبثت إلا يسيراً حتى انتبهت
فزعة فلاثت عمامتها برأسها وجالت في متن فرسها ، وقالت : جزاك
الله عن الصحبة خيراً .

فناولتني يدها (١٥) فقبلتها فشممت والله منها ريح المسك (١٦)
المفتوت فنكرت قول الشاعر :

كأنها إذا تقضى النوم وانتبهت

سحابة مالها عين ولا أثر

قلت : وأين الموعد ؟

(١٤) قال أبو عبد الرحمن : لوصحت أساطير الأعراب لكان هذا جباراً لقوة إرادته
ودينه - بالرغم عن الشراب !! - .

(١٥) لا تزال لهذه الأحوال من الوصل بقايا في جيل العامة ، فيقف زير النساء - أو
الفقيقي بلغة العوام - فيكون ملوح الشعر ، أو سريع البديهة في الرد ، أو حلو
الصوت بالغناء الساذج فيستميل أنس نساء الحي في مضاربهم ، أو على الموارد ،
أو القطين حول ديار الحضر في الصيف ، وهن غُذَّين بالعفاف ، فإذا دوخه
حبهن أو إصغاهن زنده بوقود من رفع اللثام ، أو إصغاه الخمار ، فإن وصل
الأمر إلى البطر ألمسته ظاهر كفها ، أو أشارت إلى صدرها وقالت : عانه ! .
فيظل الفقيقي يتدفق بما عنده من أنس .

(١٦) يستحسن الأدباء عبارة « أشممني يدك » بدل : ناولنيها ، لأنها مظنة الطيب .

قالت : ان لي أخوة شرساً وأباً غيوراً ، ووالله لأن أسرك أحب إلي من أن أضرك .

ثم انصرفت ، فجعلت أتبعها بصري حتى غابت ، فهي والله يا ابن أبي ربيعة أحلتني هذا المحل وأبلغتني .

فقلت له : يا أبا المسهر ، ان الغدر بك مع ما تذكر لمليح !! .
فبكى واشتد بكاءه ، فقلت : لا تبك ، فما قلت لك ما قلت إلا مازحاً ، ولو لم أبلغ في حاجتك بمالي لسعيت في ذلك حتى أقدر عليه .
فقال لي خيراً .

فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته ، ودعوت غلامي فشد على بعير له ، وحملت عليه قبة حمراء من أدم كانت لأبي ربيعة المخزومي ، وحملت معي ألف دينار ومطرف خز ، وانطلقنا حتى أتينا بلاد كلب ، فنشدنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه ، وإذا هو سيد الحي ، وإذا الناس حوله ، فوقفت على القوم فسلمت ، فرد الشيخ السلام ثم قال : من الرجل ؟ .

قلت : عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة .

فقال : المعروف غير المنكر ، فما الذي جاء بك ؟ .

قلت : خاطباً .

قال : الكفاء والرغبة .

قلت : إني لم آت ذلك لنفسي عن غير زهادة فيك ولا جهالة

بشرفك ، ولكني أتيت في حاجة ابن أختكم العذري ، وها هو ذاك .

فقال : إنه لكفيى الحسب رفيع البيت ، غير أن بناتي لم يقعن
إلا في هذا الحي من قريش .

فوجمت لذلك ، وعرف التغير في وجهي ، فقال : أما إني صانع
بك ما لم أصنعه بغيرك .

قلت : وما ذاك فمثلي من شكر ؟ .

قال : أخيرها فهي وما اختارت .

قلت : ما أنصفتني إذ تختار لغيري وتولي الخيار غيرك .

فأشار إلي العذري أن دعه يخيرها .

فأرسل إليها : إن من الأمر كذا وكذا ، فأرسلت إليه : ما كنت
لأستبد برأي دون القرشي ، فالخيار في قوله .. حكمه .

فقال لي : إنها قد ولتلك أمرها فاقض ما أنت قاض .

فحمدت الله عز وجل وأثنيت عليه ، وقلت : أشهدوا أنني قدزوجتها من
الجد بن مهجع وأصدققتها هذا الألف دينار ، وجعلت تكرمتمها العبد والبعير
والقبة ، وكسوت الشيخ المطرف ، وسألته أن يبني بها عليه في ليلته .

فأرسل إلى أمها ، فقالت : أخرج ابنتي كما تخرج الأمة ! ؟ .

فقال الشيخ : اسرعي في جهازها .

فما برحت حتى ضربت القبة في وسط الحريم ، ثم أهديت إليه
ليلاً وبت أنا عند الشيخ .

فلما أصبحت أتيت القبة فصحت بصاحبي ، فخرج إلي وقد أثر
السرور فيه ، فقلت : كيف كنت بعدي وكيف هي بعدك ؟ .

فقال لي : أبدت لي والله كثيراً مما كانت أخفته عني يوم لقيتها
فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول :

كتمت الهوى لما رأيته جازعاً
وقلت فتى بعض الصديق يريد
وإن تطرحني أو تقول فتية
يضر بها برح الهوى فتعود
فوريت عما بي وفي داخل الحشا
من الوجد برح فاعلمن شديد
فقلت : أقم على أهلك بارك الله فيك .
وانطلقت وأنا أقول :

كفيت أخي العذري ما كان نابه
وإني لأعباء النوائب حمال
أما استحسننت مني المكارم والعلا
إذا طرحت إني لما لي بـئـال

وقال العذري :
إذا ما أبو الخطاب خلى مكانه
فأف لدينا ليس من أهلها عمر
فلا حي فتيان الحجازين بعده
ولا سقيت أرض الحجازين بالمطر (١٧)

* * *

(١٧) عشاق العرب ص ١٢٧ - ١٣٣ . . . ومن نماذج الوصل ما حكاه الأصمعي
عن قصة شاب أراد خالد بن عبدالله القسري قطع يده . . . ذكر القصة الكرسي
في كتابه من القائل ، والدكتور نايف معروف في كتابه طرائف ونوادر عن
التحفة السنية في النوادر العربية لابن سديرة .

الفصل الرابع :

فتاوى بين الإباحة والحظر :

قال ابن قيم الجوزية : « نكر العتبي أن رجلاً من ولد عثمان
ورجلاً من ولد الحسين خرجا يريدان موضعاً لهما ، فنزلا تحت
سرحة فأخذ أحدهما فكتب عليها :

خبرينا خصصت بالغيث يا سرح
(م) بصدق والصدق فيه شفاء

وكتب الآخر :

هل يموت المحب من ألم الحب
ويشفي من الحبيب اللقاء
ثم مضيا ، فلما رجعا وجدا مكتوباً تحت ذلك :
إن جهلاً سؤالك السرح عما
ليس يوماً عليك فيه خفاء
ليس للعاشق المحب من الحب
سوى لذة اللقاء شفاء » (١)

قال أبو عبد الرحمن : هذه من الفتاوى التجريبية وليست مقصود
هذا البحث ، وإنما المقصود فتاوى نسبت إلى الشرع ووردت استفتاء
وجواباً في أشعار الأبناء ، أوردها المؤلفون في الحب .

(١) روضة المحبين ص ٢١٣ .

ومن الأساطير المروجة بعزوها إلى الأصمعي - وهي مما
ضرب تحت المقفزية - دعوى أن الأصمعي قال : بينما كنت أسير
في البادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت :

أيام معشر العشاق بالله خبروا

إذا حل عشق بالفتى كيف يصنع ؟
فكُتبت تحته :

يداري هواه ثم يكتُم سره
ويخضع في كل الأمور ويخضع
ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوباً تحته :
وكيف يداري والهوى قاتل الفتى
وفي كل يوم روحه تنقطع ؟
فكُتبت تحته هذا البيت :

إذا لم يجد صبراً بكتمان سره
فليس له شيء سوى الموت أنفع
فعدت في اليوم الثالث فوجدت شاباً ملقى تحت ذلك الحجر ميتاً
ومكتوب تحته هذان البيتان :

سمعنا وطعنا ثم متنا فبلغوا
سلامي إلى من كان بالوصل يمنع
هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم

وللعاشق المسكين ما يتجرع (٢)

وأما الفتاوى المنسوبة إلى الفقهاء فمن ذلك قول البقاعي :
« قال أبو نواس :

حدثنا الخفاف عن وائل
وخالد الحذاء عن جابر
ومسعر عن بعض أشياخه
يرفعه الشيخ إلى عامر
وابن جريج عن سعيد وعن
قتادة الماضي وعن عابر
قالوا جميعاً أيما طفلة

علقها نو خلق طاهر
فواصلته ثم دامت له
على وصال الحافظ الذاكر
كانت لها الجنة مبذولة

تمرح في مرتعها الزاهر
وأي معشوق جفا عاشقاً

بعد وصال ناعم ناضر
ففي عذاب الله مثوى له

بعداً له من ظالم غادر

وقال : وسمع ابن أبي الليث قاضي مصر جارية تغني وهو يكتب فتياً:
تري في الحكومة يا سيدي

على من تعشق أن يقتل

فرمى القلم من يده وقال : لا لا .

قال مغلطاي : وقال جامع بن مرخية (٣) :

سألت سعيد بن المسيب مفتي

(م) المدينة هل في حب دهما من وزر

فقال سعيد بن المسيب إنما

تلام على ما تستطيع من الأمر

فقال سعيد : والله ما سألني أحد عن هذا ، ولو سألني ما كنت

أجيبه الأبد .. انتهى .

ورأيت في بعض الكتب أن جارية سوداء أتت الشيخ أبا خليفة

في مسجده والفقهاء بين يديه فألقت إليه رقعة فقرأ ما فيها على

أصحابه فإذا هو :

قل للإمام أبي خليفة

لا كان رأي أبي حنيفة

إنني قصدتك للذي

كأتمت من حذر وخيفة

ماذا تقول لطفلة

بالحسن مولدها شريفة

(٣) في الأصل : مرجية .. قال أبو عبد الرحمن : وإنما هو بالخاء المعجمة

من فوق .

تصبو إلى زين الوري

في غير ما باس عفيفة

قال فكتب أبو خليفة الجواب في ظهر الرقعة :

يا من تكامل ظرفها

حال الهوى حال شريفة

إن كان مما أظهرته

في غير ما باس وخيفة

فلك السعادة والشهادة

والجلالة يا ظريفة

هذا المباح بعينه

وبه يقول أبو خليفة

قال بعض أصحابه : أيها القاضي من أين حكمت لها

بالشهادة ؟ .

قال لأنه قد روى ابن عباس - رضي الله عنهما - : عن

النبي ﷺ : أنه قال : من عشق فعف فمات فهو شهيد « (٤) » .

وقال الخطيب البغدادي : « حدثنا أبو نعيم الحافظ : حدثنا

سليمان بن أحمد الطبراني : أخبرني بعض أصحابنا قال : كتب بعض

أهل الأدب إلى أبي بكر بن داود الفقيه الأصبهاني :

(٤) أسواق العشاق ٤/ب - ١ / ٥ .

يا ابن داوود يا فقيه العراق
أفتنا في قوئل الأحداق
هل عليها القصاص في القتل يوماً
أم حلال لها دم العشاق ؟
فأجابه ابن داوود :

عندي جواب مسائل العشاق
اسمعه من قلق الحشا مشتاق
لما سألت عن الهوى أهل الهوى
أجريت ممعاً لم يكن بالراق
أخطأت في نفس السؤال وإن تصب
تلك في الهوى شنفاً من الأشناق
لو أن معشوقاً يعذب عاشقاً

كان المعذب أنعم العشاق « (٥) »

وقال ابن خلكان عن محمد بن داوود : « وحكى أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا : أنه حضر مجلس محمد المذكور ، قال : فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة ، فأخذها وتأملها طويلاً وظن تلامنته أنها مسألة ، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردّها إلى صاحبها ، فنظرنا فإذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور ، وإذا في الرقعة :

يا ابن داود يا فقيه العراق
أفتنا في قوائل الأحداق
هل عليهن في الجروح قصاص
أم مباح لها دم العشاق ؟
وإذا الجواب :

كيف يفتيكم قتيل صريع
بسهم الفراق والإشتياق
وقتيل التلاق أحسن حالاً
عند داود من قتيل الفراق « (٦)
وقال ابن قيم الجوزية :

سألت فقيه الحب عن علة الهوى
وقلت له : أشكو إلى الشيخ حالياً
فقال : نواء الحب أن تلصق الحشا
بأحشاء من تهوى إذا كنت خالياً
وتتجدا من بعد ذاك تعانقاً
وتلثمه حتى يرى لك ناهياً
فتقضي حاجات الفؤاد بأسرها
على الأمن ما دام الحبيب مؤاتياً

(٦) وفیات الأعيان ٢٦١/٤، والوافي بالوفيات ٦٠/٣، ومصارع العشاق ٢١٣/٢ - ٢١٤ .

إذا كان هذا في حلال فحبذا

وصال به الرحمن تلقاه راضيا

وإن كان هذا في حرام فإنه

عذاب به تلقى العنا والمكاويا (٧)

قال ابن قيم الجوزية : « وأما أقوال الأئمة فحكى السمعاني أن

الشافعي - رحمه الله - كتب إليه رجل في رقعة :

سل المفتي المكي هل في تزاور

ونظرة مشتاق الفؤاد جناح

فأجابه الشافعي :

معاذ إله العرش أن يذهب التقى

تلاصق أكباد بهن جراح

وذكر الخرائطي هذا السؤال والجواب عن عطاء بن أبي

رباح ، وأوله : سألت عطاء المكي •

وذكر الحاكم في مناقب الشافعي رحمه الله من شعره :

يقولون لا تنتظر وتلك بليسة

ألا كل ذي عينين لابد ناظر

وليس اكتحال العين بالعين ريبة

إذا عف فيما بين ذاك الضمائر

ونكر الإسترابادي في كتاب مناقب الشافعي أن رجلاً كتب إلى سعيد بن المسيب :

يا سيد التابعين والبررة
نسيت في العشق سورة البقرة
فكن بفتواك مشفقاً رفيقاً
باهي بك الله أكرم البررة
هل حرم الله لثم خد فتى
أوصافه بالجمال مشتهرة
فأجابه سعيد :

يا سألني عن خفي لوعته
عليك بالصبر تحمدن أثره
ولا تكن طالباً لفاحشة
أو كالذي ساق سيله مطره
وراقب الله واخش سطوته
وخالف الفاسقين والفجرة
وقبل الخد من حبيبك ذا
في كل يوم وليلة عشرة (٨)
وقال أبو العباس المبرد في الكامل: قال أعرابي (أنشدني
أبو العليّة) :

سألت الفتى المكي ذا العلم ما الذي
يحل من التقبيل في رمضان

(٨) قال أبو عبد الرحمن : هذا تطرف بالكذب وتهوين المعصية .

فقال لي المكي : أما لزوجة

فسبع وأما خلة فثمان

ونكر أبو بكر الخطيب في كتاب رواه مالك عن بعضهم :

أقول لمفت بين مكة والصفاء

لك الخير هل في وصلهن حرام

وهل في صموت الحجل مهضومة الحشا

عذاب الثنايا إن لثمت أثم

فقال لي المفتي وسالت دموعه

على الخد من عينيه فهي تؤلم

ألا ليتني قبلت تلك عشيّة

بيبطن منى والمحرمون نيام

وقال الحاكم في كتاب مناقب الشافعي : حدثنا أبو العلاء بن

كوشيار الحاري : أنبأنا علي بن سليمان الأخفش : عن محمد بن

الجهم قال : سمعت الربيع يقول : حضرت الشافعي بمكة وقد دفع

إليه رجل رقعة فيها :

أقول لمفتي خيف مكة والصفاء

لك الخير هل في وصلهن حرام

وهل في صموت الحجل مهضومة للحشا

عذاب الثنايا إن لثمت أثم

قال فوق الشافعي فيها :

فقال لي المفتي وفاضت دموعه

على الخد من عين وهن تؤام

ألا ليتني قبلت تلك عشية

بيطن منى والمحرمون قيام

وقال عمرو بن سفيان ابن ابنة جامع بن مرخية :

إنا سألنا مالكا وقرينه

ليث بن سعد عن لثام الوامق

أيجوز قالوا والذي خلق الوري

ما حرم الرحمن قبلة عاشق ؟!

ذكر ذلك صاحب كتاب رستاق الاتفاق وهو شاعر المصريين ،

وأنشد فيه لعمرو بن سفيان هذا ، وكتب بها إلى ابن عيينة :

قلنا لسفيان الهلالي مرة

حرمت ضم العاشق المشتاق

لحبيبه من بعد نأي ناله

فأجاب لا والواحد الخلاق

وأنشد فيه لجده جامع ، وكتب بها إلى علي بن زيد بن جدعان :

سألنا ابن جدعان بن عمروأخا العلا

أيحرم لثم الحب في ليلة القدر

فقال لنا المكي (وناهيك علمه):

ألا لا ومن قد جاء بالشفع والوتر

وأنشد لإبراهيم بن المدبر وكتب بها إلى أبي بكر بن عياش
أحد أئمة القراء :

سألت ابن عياش وكان معلماً

لك الخير هل في ضمة الحب من وزر؟

فقال أبو بكر ولا في لثامه

ألم يأتنا التنزيل بالوضع للإصر ؟ !

وأنشد لآخر (وكتب بها إلى الإمام أحمد بن حنبل ، قال : وزعم
بعضهم أنه إسحاق بن معاذ بن زهير شاعر أهل مصر في وقته) :
سألت إمام الناس نجل ابن حنبل

عن الضم والتقبيل هل فيه من باس

فقال إذا جل العزاء فواجب

لأنك قد أحببت عبداً من الناس

وأنشد لابن مرخية ، وكتب بها إلى أبي حنيفة :

كتبت إلى النعمان يوماً رسالة

نسأله عن لثم حب ممنوع

فقال لنا لا إثم فيه وإنه

شهى إذا كانت لعشر وأربع

وكتب رجل إلى أبي جعفر الطحاوي :

أبا جعفر ماذا تقول فإنه

إذا نابنا خطب عليك المعول

فلا تتكرن قلبي وأبشر برحة (م)
الإله عن المر الذي عنه نسال
أبالحب عارام من الحب مهرب ؟
وهل من لحا أهل الصباة بجهل ؟
وهل بمباح فيه قتل متيم
يهاجره أحبابه وهو يوصل ؟
فرايك في رد الجواب فإبني
بما فيه تقضي أيها الشيخ أفل
فأجابه الطحاوي :
سأقضي قضاء في الذي عنه تسأل
وأحكم بين العاشقين فأعدل
فديتك ما بالحب عار علمته
وللعار ترك الحب إن كنت تعقل
ومهما لحا في الحب لاح فإنه
لعمرك عندي من نوي الجهل أجهل
وليس مباحاً عندنا قتل مسلم
بلا ترة بل قتل النفس يقتل
ولكنه إن مات في الحب لم يكن
له قود فيه ولا عنه يعقل

وصالك من تهوى وإن صدوا جب

عليك كذا حكم المتيم يفعل

فهذا جواب فيه عندي قناعة

لما جئت عنه أيها الصب تسأل

ويكفي أن المعتزلة من أشد الناس تعظيماً للذنوب ، وهم

يخلدون أصحاب الكبائر . . ولا يرون تحريم ذلك كما نكره

الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه المشهور لبعض المعتزلة :

سألنا أبا عثمان عمراً وواصلاً

عن الضم والتقبيل للخد والجيد

فقالا جميعاً والذي هو عادل

يجوز بلا إثم فدع قول تفنيد

وقال إسحاق بن شبيب :

سألنا شيوخ الواسطيين كلهم

عن الرشف والتقبيل هل فيهما إثم ؟

فقالوا جميعاً ليس إثمًا لزوجة

ولا خلة والضم من هذه غنم

وانشد أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن سعد الخير في

كتابه شرح الكامل :

فلما أن أبيح لنا التلاقي

تعانقنا كما اعتنق الصديق

وهل حرجاً تراه أو حراماً

مشوق ضمه صب مشوق « (٩)

ثم قال ابن قيم الجوزية معقّباً على هذه الفتاوى : « وأما ما ذكره السمعاني عن الشافعي - رحمه الله تعالى - فمن تحريف الناقل ، والسائل لم يذكر لفظ الشافعي ، والبيتان هكذا هما : سألت الفتى المكي هل في تزاور

ونظرة مشتاق الفؤاد جناح ؟

فقال معاذ الله أن يذهب التقى

تلاصق أكباد بهن جراح

فهذا السائل هو الذي ذكر السؤال والجواب ، وهو مجهول لا يُعرف هل هو ثقة أم لا ؟ .

ثم إن الجواب لا يدل على مقصود هذه الفرقة بوجه ما ، بل هو حجة عليها ، فإنه نهى أن يذهب التقى تلاصق هذه الأكباد ، فكأنه قال : لا تتلاصق هذه الأكباد لئلا يذهب تلاصقها التقى ، فالتلاصق المذكور فاعل ، والتقى مفعول ، فكأنه قال : لا يفعل لئلا يذهب التلاصق التقى .

وجواب آخر: وهو أن هذا التلاصق إنما يكون غير مذهب

(٩) روضة المحبين ص ١١٣ - ١١٧ .

للتقى إذا كان في عشق مباح بل مستحب كعشق الزوجة والأمة (١٠) .
وأما ماذكروا عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - فقد
أجاب عنه سعيد نفسه ، فإنه لما مر به مرخية هذا السائل - وكان
من بني كلاب - قال سعيد : هذا من أكذب العرب ! .

قيل : كيف يا أبا محمد ؟ .

قال : أليس الذي يقول :

سألت سعيد بن المسيب مفتي (م)

المدينة هل في حب دهما من وزر

فقال سعيد بن المسيب إنما

تلام على ما تستطيع من الأمر

كذب والله ما سألتني عن شيء من هذا قط ولا أفتيته .

وإذا كان هذا جواب سعيد في مثل هذا ، فما جوابه لمن

سأله أن يقبل حبيباً أجنبياً كل يوم وليلة عشرة ؟ .

(١٠) قال محقق روضة المحبين ص ١٢٥ : وردت هذه القصة في طبقات السبكي

عن الربيع بن سليمان ، وفيها قال الربيع : فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث

بمثل هذا ، فقلت : يا أبا عبدالله تفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب ؟ ! .

فقال لي : يا أبا محمد : هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر (يعني

شهر رمضان) وهو حديث السن ، فسأل هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من

غير وطني فأفتيته بهذا ؟ .

قال الربيع : فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي .

قال : فما رأيت فراسة أحسن منها .

فقبح الله الفسقة الكذابين على العلماء لا سيما على مثل
سعيد ، فهؤلاء كلهم فسقة كاذبون أرادوا تنفيق فسقهم بالكذب
على علماء وقتهم ، كما نفق الفاسق أبو نواس كذبه على إسحاق بن
يوسف الأزرق .

قال عبدالله بن محمد بن عائشة : أتيت إسحاق بن يوسف
الأزرق يوماً ، فلما رأيته بكى .

قلت : ما يبكيك ؟

قال : هذا أبو نواس .

قلت : ماله ؟

قال : يا جارية : أئتينى بالقرطاس فإذا فيه مكتوب :

يا ساحر المقلتين والجيد

وقتلني منه بالمواعيد

توعدني الوصل ثم تخلفني

ويلاه من مخلف لموعودي !

حدثني الأزرق المحدث عن

شمر وعوف عن ابن مسعود

لا يخلف الوعد غير كافرة

أو كافر في الجحيم مصفود

كذب والله علي وعلى التابعين وعلى الصحابة .

ولو صح عن سعيد لم يكن لكم فيه حجة ، فإن سعيداً أمره

بالصبر أولاً ، ومراقبة الله وخوف سطوته ومخالفة الفسقة ، ثم أمره بتقيل خد من يحبه كل يوم عشر مرات .

وهذا قطعاً إنما أراد به من يحل له تقيله من زوجة أو سرية ، فأمره أن يعتاض بقبلتها من لا يحل له ، ولا يظن بعلماء الإسلام غير هذا إلا مفرط في الجهل ، أو متهم على الدين .

وأما ما ذكره المبرد عن الأعرابي الذي سأل المفتي المكي عن القبلة في رمضان فقال : للزوجة سبع وللخلة ثمان : فهذا المستفتي والمفتي لا يُعرف واحد منهما حتى يُبل خبره ؟ !

ولو صح ذلك وعرف المستفتي والمفتي لكانت الخلة هي أمته الجميلة ، وهي التي يحل تقيلها ثمانياً فأكثر .

وأما أن يفتي أحد من أهل الإسلام بأنه يحل تقيل المرأة الأجنبية المحرمة عليه ثمانياً في رمضان أو غيره فمعاذ الله من ذلك .

وهكذا حكم الأثر الذي ذكره الخطيب في كتاب رواه مالك .

ولا يظن بعالم أنه تمنى أن يقبل امرأة أجنبية وهو محرم ببطن منى ، فإن القبلة المذكورة تعرض للحج للفساد وتبطله عند طائفة ، فإن صح هذا فإنما أراد امرأته أو أمته .

وأما الأثر الذي ذكره الحاكم في مناقب الشافعي - رحمه الله تعالى - فليس بين الحاكم وبين الربيع من يحتج به .

ويدل على أن القصة كذب ظاهر أن المستفتي زعم أن الشافعي أجاب بقوله : فقال لي المفتي وفاضت دموعه .

وهذا إنما هو حكاية المستفتي قول المفتي ، فمن هو الحاكي
عن الشافعي ؟ .

فدعوا هذه الأكاذيب والترهات .

وأما ما ذكرتم عن عمرو بن سفيان ابن بنت جامع فمن ذكر
هذا عن عمرو بن سفيان ؟ .

ومن هو عمرو بن سفيان ابن بنت جامع بن مرخية هذا ؟ .

وهذا موضع البيتين المشهورين :

سألنا عن ثمالة كل حي

فقال القائلون : ومن ثمالة

فقلت : محمد بن يزيد منهم

فقالوا : زدنا بهم جهالة

وهل يحل لأحد أن يصدق عن مالك والليث بن سعد أنهما أجازا

تقبيل خد المرأة الأجنبية المعشوقة أو خد الأمرد الجميل الصورة ؟ .

هذا وقصة مالك مع الذي ضم صبيّاً إليه فأفتى بضربه

ستمئة سوط فمات ، فقال له أبو الفتى : قتلتي ابني ؟ ! .

فقال : قتله الله .

فمن هذا تشديده وفتواه هل يفتي بجواز تقبيل خدود المرد الحسن ؟ ! .

نعم ما حرم الرحمن قبلة عاشق يحل لمعشوقه مواصلته ، ولا

قبلة الرجل خد ولده كما قبل الصديق - رضي الله عنه - خد ابنته

عائشة رضي الله عنها .

ورأى أعرابي النبي ﷺ يقبل أحد ابني ابنته فقال : وإنكم لتقبلون الصبيان ؟ •

إن لي عشرة من الولد ما قبلتهم !! •

فقال : أو أمّلك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟ •

وأما صاحب كتاب رُسْتاق الاتفاق وهو شاعر المصريين فلعمر الله لقد أفسدت إذ أسندت ، فإنه الفاسق الماجن المسمى أبا الرقعمق ، ولكن لا ينكر هذا المتن بهذا الإسناد ، فإنه لا يليق إلا به •
وأما قصة إبراهيم بن المدير : عن أبي بكر بن عياش : فقل غير مصتق عن قائل غير معصوم •

وأما ما ذكروا عن الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - فوالذي لا إله غيره إنه لمن أقبح الكذب عليه ، ولو أن هذا الكاذب الفاسق نفق هذه الكذبة بغيره لراج أمرها بعض الرواج •
ولكن من شدة جهله نفقها بأحمد بن حنبل وهو كمن نسب إليه القول بأن القرآن مخلوق ، أو تقديم عليّ أبي بكر ، أو تقديم الرأي على السنة .. وأمثال ذلك •

وكذلك ما ذكره عن أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - ، ولو صح لم يكن فيه حجة لهذه الطائفة ، فإنه قال : لا إثم فيه إذا كانت لعشر وأربع ، ولم يقل إذا كانت أجنبية •
ونحن نقول بما قال أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - إذا كان المعشوق حلالاً •

وأما ما ذكر عن الطحاوي فلا نعلم صحته ، وإن صح
فإنما أراد به التقبيل المباح » (١١) .

وقال ابن قيم الجوزية : « وقد سئل أبو الخطاب محفوظ بن أحمد
الكلوذاني في رقعة :

قل لأبي الخطاب نجم الهدى

وقدوة العالم في عصره

لا زلت في فتواك مستأمناً

من خدع الشيطان أو مكره

ماذا ترى في رشاً أغيد

حاز اللمي والدر في ثغره

لم يحك بدر التم في حسنه

حتى حكى الزنبور في حُضره (١٢)

فهل يجيز الشرع تقبيله

لمستهام خاف من وزره

أم هل على المشتاق في ضمه

من غير إبداء إلى صدره

(١١) روضة المحبين ص ١٢٤ - ١٢٨ ، وانظر ص ١٤٣ .

(١٢) الحضر العدو في وثب .

إثم إذا ما لم يكن مضمراً

غير الذي قدم من ذكره ؟

فأجاب :

يا أيها الشيخ الأديب الذي

قد فاق أهل العصر في شعره

تسأل عن تقبيل بدر الدجى

وعطف زنديك على نحره

هل ورد الشرع بتحليله

لمستهام خاف من وزره

من قارف الفتنة ثم ادعى (م)

العصمة قد نافق في أمره

هل فتنة للمرء سوى الضم (م)

والتقبيل للحب على ثغره

وهل دواعي ذلك المشتبهى

إلا عناق البدر في خدره

وبذله ذاك لمشتاقه

يزري على هاروت في سحره

ولا يجيز الشرع أسبابه ما

يورط المسلم في حظره

فاتج ودع عنك صدا ع الهوى

عساك أن تسلم من شره

هذا جواب الكلوذاني قد

جاءك يرجو الله في أجره

فهذا جواب أهل العلم ، وهو مطابق لما ذكرناه ، والله

تعالى أعلم .

وسئل الإمام أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله -

بأبيات :

يا أيها العالم ماذا ترى

في عاشق ذاب من الوجد

من حب ظبي أغيد أهيف

سهل المحيا حسن القد

فهل ترى تقيله جائزاً

في الفم والعينين والخد

من غير ما فحش ولا ريبة

بل بعناق جائز الحد

إن كنت ما تفتي فإني إذا

أصيح من وجدي وأستعدي

فكتب - رحمه الله تعالى - الجواب :

يا ذا الذي ذاب من الوجد
 وظل في ضر وفي جهد
 اسمع فنتك النفس من ناصح
 بنصحه يهدي إلى الرشـد
 لو صح منك العشق ما جئتني
 تسألني عنه وتستعدي
 فالعشق الصادق في حبه
 ما باله يسأل ما عندي
 غيـبه العشق فما إن يُرى
 يعيد في العشق ولا ييدي
 وكل ما تذكُرُ مستفتياً
 حرمه الله على العبد
 إلا لما حله ربنا
 في الشرع بالإبرام والعقد
 فعد من طرق الهوى معرضاً
 وقف بباب الواحد الفرد
 وسله يشفيك ولا يبتلي
 قلبك بالتعذيب والصد
 وعف في العشق ولا تبده
 وأصبر وكلم غاية الجهد

فإن تَمُتَ محتسباً صابراً

تَفُزْ غداً في جنة الخلد « (١٣)

وقال المقرئ: «وكتب بعض الأبناء إلى ابن حزم الأندلسي بقوله :

سألت الوزير الفقيه الأجل

سؤال مدل على من سأل

فقلت أيا خير مسترشد

ويا خير من عن إمام نقل

أحرم أن نالني قبله

غزال ترشف فيه الغزل

وعاتقني والدجى خاضب

فبتنا ضجيعين حتى نصل

وجئتك أسأل مسترشداً

فبين فديت لمن قد سأل

فأجابه ابن حزم بقوله :

إذا كان ما قلته صادقاً

وكنت تحرّيت جهد المقل

وكان ضجيعك طاوي الحشا

أعار المهابة احمرار المقل

قريب الرضى وله غنة

تميت الهموم وتحيي الجذل

ففي أخذ أشهب عن مالك

عن ابن شهاب عن الغير قل

بترك الخلاف على جمعهم

على أن ذلك حل وبل « (١٤)

قال أبو عبد الرحمن : ومثل تلك الفتاوى الشعرية المزعومة من

الأدب العامي قول محيسن المشعلي يخاطب أخاه الأكبر جبران :

الا يا نديبي وارتحل من على شقران

وتوه صريع وبالرسن لا تعسرونه (١٥)

تحر فريق ربعوا يمة الصمان

يشئون وبقاق بوشهم ما يعلونه (١٦)

ويا عد اسيلك عن الذي نالوا العربان

على الما وهم لا جا الربيع يتعدونه (١٧)

عليه البيوت اللي كما شمع الضلعان

رفاع مباتيها ومن المال مشحونه

(١٤) نفح الطيب ١٦٠/٤ .

(١٥) صريع : صعب لم يعصفه سانس بعد ويروضه .

(١٦) يعلونه : يسقونه مرة ثانية بعد النهل ، وذلك كناية عن سرعتهم .

(١٧) اسيلك : أسالك .. عن الذي : تنطق لأجل الوزن هكذا : عالذي .

- وفيه البني اللي كما شرد الغزلان
ثلاث غدن بالزين عن كل مزيونه
الا واهني اللي هيا له من الخلان
لو ساق تسعين من الشرف مفنونه (١٨)
انا ما نبخني كود طفل مع الجبلان
عسى الله يبجج كل حي بمضنونه (١٩)
انا اللي نبخني كامل الزين يا جبران
حماحيم راسه والمزاريج بعينونه (٢٠)
تري الحب هو والدين يوصف على الريعان
سناديه وعرات على اللي يذبونه (٢١)
انا ناشد يا اهل الهوى الشثري العميان
يقول الهوى لا باس يا للي تريدونه

(١٨) هيا له : تها له .. مفنونة : مشترطة يقولون : فن عليه بمعنى وضع عليه شروطاً .

(١٩) الشطر الأخير ورد في قول الدجيم - وينسب لخليف بن بليهد - :

عسى الله بعينك يا عيوني على السهر

وعسى الله يبجج كل حي بمضنونه

(٢٠) حماحيم راسه : سواد شعر رأسه ، ويكون الشعر جميلاً بشدة سواده .

(٢١) سناديه : مرتفعاته .. يذبونه : يرقونه ويصعدون إليه ليتجاوزوه .

انا ناشد عالم ولا اقول قول فلان

ولا اقول قول اللي بعرضه يذمونه

قال أبو عبد الرحمن : يريد قاضي المزاحمية الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الشثري ، وقد سمعت أن فضيلته - رحمه الله - قرر الشاعر على كذبه عليه وزجره أو أدبه .
وقريب من ذلك الدعوى على المحبوب بأنه أفتى كما في قول محيسن الهزاني :

من عقب ماني ميس منه جاني

عليه تفت كابع فيه قلت : أفت

قال : انتبه ان كنت للورد جاني

واجن الثمر يوم انني لك تطرفت

..... إلخ .

* * *

الباب الثالث

العشاق بين الموت والدفن والجنون :

توطئة .

- الفصل الأول : عشاق يموتون بشهقة .
- الفصل الثاني : عشاق يطاولهم الضنى
- فيموتون جلدأ على عظم .
- الفصل الثالث : عشاق يقتلهم الأهل للأفة .
- الفصل الرابع : عشاق يهيمنون أو يختلطون .
- الفصل الخامس : عشاق يموتون فرحاً بعد الوصل .
- الفصل السادس : شعراء يحبون فحسب .

[عليّ لربيع العامرية وقففة
تُمَلِّي عليّ الشوق والدمع كاتب
ولا وأبي العشاق ما أنا عاشق
إذا هي لم تلعب بصبري الملاعب
ومن مذهبي حب الديار لأهلها
وللناس فيما يعشقون مذاهب

• أبو فراس الحمداني [

توطئة:

قتلى الغرام ، وقتلاؤهم ، وقتالاهم (عبّر بما شئت من هذه الألفاظ فكله جائز لغة) قوم رقيقو القلوب ، نور قلوب مُقَتَّلَة .
قال في القاموس وشرحه : والمقتل من القلوب المنزل بالحب ،
وقيل : هو الذي قتله العشق .

قال أبو عبد الرحمن : وقد زعم الزاعمون أن من هؤلاء من يصطلم بالحب عن خبر قبل نظرة مسمومة ، وأن منهم من يموت في الحال بشهقة .

وكل ذلك ينافي الطبيعة البشرية .
وهو شيء يتطرف به ويتطرف الأبناء ، ولا يرمقه العلماء
والعقلاء بمؤخرة أعينهم .

ولسنا ننكر أن أهل الهوى قد يموتون بسبب الهوى ، وإنما
ننكر موتهم بصعقات الحب المفاجئة كما تموت طيور السلوى التي
قيل إن أكلها يجعل القلب رقيقاً ، وأن بني إسرائيل قست قلوبهم
لما تركوا أكلها .

الرجال عيون تسبع ، وأقام تهدر وتبلغ ، وجسوم تراحم
لحيّزها في الكون ، وقلوب تتربى وترسو على الآلام !! .
فأي بشر هؤلاء الذين يموتون بشهقة ؟ ! .

قال أبو عبد الرحمن : جربت الهوى المبرح الممض ، وأتبع

الشهقات زفرات ، فما تهدم مني جسم ، ولا نحل مني عظم ،
ولا اصنّاعد نفسي حشرات ، فله الحمد كثيراً ، واستعنت بالله ثم
بالأوراد الموظفة ، ثم بتلاوة هود وأخواتها .

وقد خيل لي يومها أن الحياة لا طعم لها إلا بالوصل أو
الانهماك في الأحلام والأوهام والتغني بدموع المولهيين .

وشربت حتى الثمالة من آهات نوي الضياع الرومانسي ،
وخيل إلي أن العلم كله ، والفن كله ، والآداب كلها مما مخوره
الله في الأطلال وطريق مقمر تثب الفرحة فيه قبلنا !! .

أو بحيرة كومو وطغيان الروح على الجسد !! .
أو القمر العاشق المضنى يكرع ويعصر من خلال الشرفة
حيث ترقد ذات الغلالة !! .

فسبحان من يرزق العقل ويرده بعد عزوبه ، وسبحانه يغير
ولا يتغير تبارك وتعالى أحسن الخالقين .

وطالما غنيت لتلوهات هؤلاء الرومانسيين بقول مهيار الديلمي :

انكرونا مثل نكرانا لكم

رب نكرى قربت من نرحا

وانكروا صباً إذا غنى بكم

شرب الدمع وعاف القدح

والعشق في بني عذرة أشهر ، ولكن المشهورين من خصوص

الأفراد كانوا في بني عامر أكثر ، فقيس وليلى عامريان ، وكذلك

مزاحم بن عمرو العقيلي وعشيقتة ليلي ، وتوبة بن الحمير الخفاجي
ومحبوبته ليلي بنت عبدالله الأخيلية .

- ومن العذريين جميل وبثينة ، وعروة بن حزام وعفراء بنت عقال .
- ومن الأساطير غرام أبي مالك بن النضر العذري بابنة عمه (١) .
- وأقرباء العذريين النهديون منهم عبدالله بن العجلان وصاحبته هند .
- ومن العشاق المرقش الأكبر عوف بن سعد ، وأسماء بنت عوف بن مالك ، وهما ضبعيان من بكر بن وائل .
- وكثير بن عبدالله خزاعي .

ومن بني عامر بن عبد مناة بن كنانة عبدالله بن علقمة وعشيقتة
حبشية بنت حبيش .

وقد زوجوا بثينة نبيها فمات جميل عشقاً .

وزوجوا ليلي بورد بن محمد العقيلي فمات قيس بن الملوح
غراماً بعد أن جن .

وزوجت أسماء بنت عوف برجل من مراد ، فمات المرقش الأكبر
مضني بحبها .

(١) عشاق العرب ص ١٧٥ - ١٧٦ .

ولهذا ورد في أسطورة أبي المسهر - كما في عشاق العرب - ص ١٢٧ :

فإن معاشرى ورجال قومي

حتوفهم الصبابة واللقاء

إذا العذري مات خلي نزع

فذاك العبد يبكيه الرثاء

ومات عروة في هوى غراء وقد زوجت بغيره ، فقامت تنديه حتى مات جزعاً .

وأما العشيقان يموتان معاً فأحداثهما المتشابهة كثيرة .

وزوجت ليلي الأخيلية بغير توبة فهم بها ، وقتل في حرب ، وماتت عند قبره مصادفة .

وزوجت عزة بغير كثير فلم يمت منهما أحد .

وزوجوا ليلي بغير مزاحم ولم يمت منهما أحد .

وتزوجت مي بغير ذي الرمة وناقرته فمات موتاً طبيعياً .

ونعم قيس بن زريح بعشيقة لبنى ، فقد تزوجها ، ثم طلقها ،

وتزوجت ثم طلقت من أجله فتزوجها ، ولم تتجب .

وتزوج عبدالله بن العجلان هنداً عن عشق ، وأرغم على

طلاقها بعد ثماني سنوات لأنها لم تتجب ، فطلقها فتزوجت ، ثم

تعانقا بعد ذلك فوجدا ميتين معاً ! .

وقتل عبدالله بن علقمة - وكان أسير حرب - ، فالتقمت

حبيشة بنت حبيش فاه وماتت عنه (٢) .

وكان المرقش في الكهف مدنفاً وبقي فيه إلى أن أتى راعي غنم

إلى المكان فرآه ، وسأله : من أنت ؟ وما شأنك ؟ .

فقال له مرقش : أنا رجل من مراد ، ومن أنت ؟ .

فأجابه الراعي بما فهم منه مرقش أنه راعي زوج أسماء ،

(٢) وانظر عشاق العرب ص ١٧٩ - ١٨١ عن العاشق للمجهول حيث ماتا معاً .

فقال له : خذ خاتمي هذا ، فإذا حلبت فألقه في اللبن ، وإنك مصيب به خيراً لم يصبه راعٍ قط إن أنت فعلت ذلك .

فأخذ الراعي الخاتم ، وعندما جاءتة جارية أسماء بالقدح وحلب لها العنز ، طرح الخاتم فيه ، فانطلقت الجارية به وتركته بين يدي أسماء ، فلما سكنت الرغبة شربت أسماء الحليب ، ففرع الخاتم ثنيتها ، فأخذته واستضاعت بالنار فعرفته ، فقالت للجارية : ما هذا الخاتم ؟ .

قالت : ما لي به علم .

فأرسلتها إلى مولاها فأقبل فزعاً ، فقال لها : لم دعوتني ؟ .

قالت له : ادع عبدك راعي غنمك .

فدعاه ، فقالت : سله أين وجد هذا الخاتم ! .

قال : وجنته مع رجل في كهف خبان ، وقد قال لي : اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مصيب به خيراً ، وما أخبرني من هو ، ولقد تركته بأخر رمق .

فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ .

قالت : خاتم مرقش ، فأعجل الساعة في طلبه .

فركب فرسه وحملها على فرس آخر ، وسارا حتى طرقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلها ، فمات عند أسماء ، وقال قبل أن يموت شعراً « (٣) » .

(٣) عشاق العرب ص ٩٢ - ٩٣ .

ولما قدم عروة بن حزام نعى أبو عفراء الفتاة إليه - مع أنه زوجها - وأراه قبراً وهمياً ، وبعد أيام أعلمته جارية صحة الخبر ، فركب بعض إبلهم وترك الحي ، وأخذ معه زاداً ونفقة ، ورحل إلى الشام فقدمها ، وسأل عن الرجل فدل عليه ، فقصده ، وانتسب إلى عدنان ، فأكرمه وأحسن ضيافته ، فمكث أياماً حتى أنسوا به ، ثم قال لجارية لهم : هل لك في يد تولينها ؟

• قالت : نعم •

• قال : تدفعين خاتمي هذا إلى مولاتك •

• فقالت : سوءة لك : أما تستحي لهذا القول ؟ ! •

• فأمسك عنها ، ثم أعاد عليها ، وقال لها : ويحك ! •

هي والله بنت عمي ، وما أحد منا إلا وهو أعز على صاحبه من الناس جميعاً ، فاطرحي هذا الخاتم في صبوحها ، فإذا أنكرت عليك ، فقولي لها • اصطبح ضيفك قبلك ، ولعله سقط منه •

• فرقت الأمة وفعلت ما أمرها به •

فلما شربت عفراء اللبن ، رأت الخاتم فعرفته ، فشهقت ، ثم

• قالت : أصدقيني الخبر ؟ ! •

فأصدمتها الأمة الخبر ، فانتظرت إلى أن جاء زوجها ، وقالت

• له : أتدري من ضيفك هذا ؟ •

• قال : نعم فلان بن فلان • • للنسب الذي انتسب له عروة •

• فقالت : كلا والله ، بل هو عروة بن حزام ابن عمي ،

وقد كتم نفسه حياء منك .

فبعث زوج عفراء إلى عروة فدعاه إليه ، وعاتبه على كتماته
نفسه ، وقال له : بالرحب والسعة ، نشدك الله ما بارحت هذا
المكان أبداً ، وخرج وتركه مع عفراء يتحدثان ، وأوصى خالماً
له بالاستماع عليهما ، وإعادة ما تسمعه منهما عليه ، فلما خلوا
تشاكيا ما وجدا بعد الفراق ، فطالت الشكوى ، وهو يبكي أحر بكاء ،
ثم أتته بشراب ، وسأله أن يشربه ، فقال : والله ما نخل جوفي
حرام قط ، ولا ارتكبته منذ كنت ، ولو استحللت حراماً لكنت قد
استحللته منك ، فأنت حظي من الدنيا ، وقد ذهبت مني ، وذهبت
بعدك فما أعيش ! .

وقد أجمل هذا الرجل وأحسن وأنا مستح منه ، والله لا أقيم
بعد علمه مكاني ، وإني عالم أني أرحل إلى منيتي .
فبكت وبكى ، وانصرف .

فلما جاء زوجها ، أخبرته الخادم بما دار بينهما ، فقال : يا
عفراء امنعي ابن عمك من الخروج .
فقالت : لا يمتنع ، هو والله أكرم وأشد حياء من أن يقيم
بعدا جرى بينكما .

فدعاه ، وقال له : اتق الله في نفسك ، فقد عرفت خبرك ،
وإنك إن رحلت تلفت ، والله لا أمنعك من الاجتماع معها أبداً ،
ولئن شئت لأفارقنها .

فجزاه عروة خيراً ، وأثنى عليه ، وقال له : إنما كان الطمع فيها آفتي ، والآن قد ينست ، وقد حملت نفسي على اليأس والصبر ، فإن اليأس يسلي ، ولي أمور ، ولا بد من رجوعي إليها ، فإن وجدت من نفسي قوة على ذلك ، وإلا رجعت إليكم وزرتكم ، حتى يقضي الله من أمري ما يشاء .

وعندما أراد الاتصراف ، زودوه وأكرموه وشيعوه ، فأنصرف . فلما رحل عنهم ، نكس بعد صلاحه وتمائله وأصابه غشي وخفقان ، فكان كلما أغمي عليه ، ألقى على وجهه خمار لغراء زودته إياه ، فيفيق (٤) .

ولقيه في الطريق ابن مكحول ، عراف اليمامة ، فرآه وجلس عنده ، وسأله عما به ، وهل هو خبل أو جنون ؟ . فقال له عروة : ألك علم بالأوجاع ؟ .

قال : نعم .

فأنشأ عروة يقول :

وما بي من خبل ولا بي جنة

ولكن عمي يا أخي كـذوب

أقول لعراف اليمامة داوئي

فإنك إن داويتني لطيب

(٤) قال أبو عبد الرحمن : استعمل لهذه الأسطورة من قصة قميص يوسف عليه السلام .

فوا كبدا أمست رفاتنا كأنما
يلذعها بالموقدات طيب
عشية لا عفراء منك بعيدة
فتسلو ولا عفراء منك قريب
عشية لا خلفي مكر ولا الهوى
أمامي ولا يهوى هواي غريب
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا
وما عقيتها في الرياح جنوب
وإني لتغشائي لذكراك هـزة
لها بين جلدي والعظام ديب
وصار عروة يأتي حياض الماء التي كانت إيل عفراء
تردها فيلصق صدره بها ، فيقال له : مهلا ، فإنك قاتل نفسك ،
فاتق الله .
فلا يجيب حتى أشرف على التلف ، وكان في هذه الفترة يردد :
فيا واشيي عفراء ويحكما بمن
وما وإلى من جئتما تشيان
بمن لو أراه عانياً لفديته
ومن لو رأي عانياً لفداني
متى تكشفنا عني القميص تبينا
بي الضر من عفراء يا فتيان

إنن تريا لحماً قليلاً واعظماً
 بلين وقلبا دائم الخفقان
 وقد تركتني لا أعى لمحدث
 حديثاً وإن ناجيته ونجاني
 جعلت لعراف اليمامة حكمه
 وعراف حجر إن هما شفيعاني
 فما تركا من حيلة يعرفانها
 ولا شربة إلا وقد سقياني
 ورشاً على وجهي من الماء ساعة
 وقاما مع العواد يبتدران
 وقالوا شفاك الله والله مالئنا
 بما ضمنت منك الضلوع يدان
 فرحت من العراف تسقط عمتي
 عن الرأس ما ألتأها بينان
 فويلي على عفراء ويلا كأنه
 على الصدر والأحشاء حد سنان
 أحب ابنة العذري حبا وإن نأت
 ودانيت فيها غير ما هو داني
 إذا رام قلبي هجرها حال دونه
 شفيعان من قلبي لها جـذلان

إذا قلت لا قالاً بلى ثم أصبحاً
جميعاً على الرأي الذي يريـان
فيا رب أنت المستعان على الذي
تحملت من عفراء منذ زمان
كان قطاة علقت بجناحها
على كبدي من شدة الخفقان
وقد تركت عفراء قلبي كأنه
جناح غراب دائم الخفقان
وكان عروة إمام العذريين ، وكان يفوقهم جميعاً في حدة
الإحساس بالقهر والمقدرة على التعبير عنه ، ومما قاله في نونيته الشهيرة :
فيا عم يا ذا الغدر ما زلت مبتلى
حليفا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجيـة
فألزمت قلبي دائم الخفقـان
يكلفني عمي ثمانين ناقـة
ومالي والرحمن غير ثمان
فيا عم لا أسقيت من ذي قرابة
بللاً فقد زلت بك القدمان
ومنييتي عفراء حتى رجوتها
وشاع الذي منيت كل مكان

فياليت كل اثنين بينهما هوى

من الناس والأنعام يلتقيان

فيقضي حبيب من حبيب لبانة

ويرعاهما ربي فلا يريان (٥)

قال أبو عبد الرحمن : مرت قصة الخاتم في قصة المرقش .

ومسألة التأليس من علاج العراف والطبيب كثيرة الورود في

أخبار العشاق ، ويأتي - إن شاء الله - شيء من شعر الدجيماء في ذلك .

وعاد عروة بن حزام ، والمرقش بالمهر الباهظ الذي طلب منهما

فوجدا معشوقتيهما قد زوجتا .

وفي شعر الدجيماء ما يشبه شعر عروة في لوم أبي الحبيبة إذ

كلفه مالا يطيق من المهر .

وفي أسطورة المقداد والمياسة قال جابر : يا مقداد : أريد

منك مهر ابنتي أربع مئة ناقة حمراء وبر سود الحنق لم يحمل عليها

شيئاً وأربع مئة رأس خيل مجللة بجلال إيريسم وسرجها وركابها من

الذهب ، ومئة جارية ومئة عبد ومئة أوقية . . . إلخ (٦) .

وفي أسطورة عتبة وريا بنت الخطريف قال الخطريف لعتبة :

إن فتاة الحي قد أجابت ، ولكنها تريد مهراً لا تقاً بها ، فمن يقوم به ؟

فقال عبد الله بن المعمر راوي خبر عتبة بن الحباب : أنا .

(٥) عشاق العرب ص ١١٢ - ١١٨ ، وانظر نيل الأمالي للقالبي ص ١٥٧ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

قال : أريد لها مهراً ألف سوار من الذهب الأحمر ، وخمسة آلاف درهم من درب هجر ، ومئة ثوب من الأبراد ، وخمسة كرايس من العنبر ، فهل أجبت ؟ .
فقال : أجبت .

وأنفذ في اليوم نفسه نفرأمن الأنصار إلى المدينة المنورة ، فاتوا بجميع ما ضمنته ونبحت النعم والغنم ، واجتمع الناس لأكل الطعام .
قال ابن المعمر : فأقمنا على هذه الحال أربعين يوماً .
قال والد الفتاة بعدها : خذوا فتلكم .

فحملناها على هودج ، وجهزها أبوها بثلاثين راحلة من التحف ، ثم ودعنا وانصرف .

وسرنا حتى بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة ، فخرجت علينا خيل تريد الغارة فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال ، وانحرف وبه طعنة ، ثم سقط إلى الأرض ، وأتتنا النجدة من سكان تلك الأرض فطردوا عنا الخيل .

وجئنا عتبة ، فوجدناه وقد قضى نحبه .
فصرخنا : واعتبأه ! .

فسمعت الجارية صراخنا ، فأتت وألقت نفسها عن الناقة ، وانكبت عليه صائحة نائحة ، وأنشدت :

تصبرت لا أني صبرت وإتما

أعل نفسي أنها بك لاحقـه

ولو أنصفت روعي لكأنت إلى الردى

أمامك من دون البرية سابقه

فما أحد بعدي وبعذك منصف

خليلاً ولا نفس لنفسي موافقه

ثم شهقت شهقة واحدة وأسلمت الروح ، فحفرنا لهما قبراً
واحداً وواريناها التراب .

ورجعت إلى ديار قومي وأقمت فيها سبع سنين ثم عدت إلى
الحجاز ودخلت المدينة المنورة للزيارة ، وقلت لأعودن إلى قبر عتبة .
فاتيت إليه فإذا عليه شجرة عالية عليها عصائب لطيفة الألوان ،
فقلت لأرباب المنزل : ما يقال لهذه الشجرة ؟ .

فقالوا : شجرة العروسين ، فأقمت عند القبر يوماً وليلة
وانصرف (٧) .

قال أبو عبد الرحمن : وفي هذا الكتاب أساطير مشابهة عن
موتها معاً ، وعن دفنهما في قبر واحد ، وعن نبات شجرة ! .
وتقدم مزاحم فخطب مية من أبيها ، فمنعه أهلها لفقره الشديد
وقلة ماله ، وانتظروا بها رجلاً موسراً في قومها كان يذكرها . فقال
مزاحم لوالد الفتاة : يا عم : أقطع رحمي وتختار عليّ غيري
لفضل أباعر تحوزها وطفيف من الحظ تحظى به ، وقد علمت أنني

أقرب إليك من خاطبها الذي تريده ، وأفصح لساناً ، وأجود كفاً ،
وأمنع جانباً ؟ ! .

فقال له والدها : لا عليك ، فإنها إليك صائرة ، وإنما أعلل
أمها بهذا ، ثم يكون أمرها لك .
فوثق مزاحم بكلامه .

ومضت مدة غاب فيها مزاحم عن الديار ، ولما عاد علم أنها
تزوجت من ذلك الرجل الغني ، فأنشأ يقول :

نزلت بمفضي سيل حرسين والضحي

يسيل بأطراف المخارم ألها

بمسقية الأجفان أنفد دمعها

مقاربة الألاف ثم زياها

فلما نهاها اليأس أن تؤنس الحمى

حمى البئر جلى عبرة العين جالها

أيا ليل إن تشحط بك الدار غربه

سوانا ويعيي النفس فيك احتيالها

فكم ثم كم من عبرة قد رددتها

سريع على جيب القميص انهلالها

خليلي هل من حيلة تعلمانها

يقرب من ليلي إلينا احتيالها

هنيئاً لليلي مهجة ظفرت بها

وتزويج ليلي حين حان ارتحالها

فقد حبسوها محبس البدن وابتغى

بها الربع أقوام تساخف مالهـا

فإن مع الركب الذين تحملوا

غمامة صيف زعزعتها شمالها

وقال بعد أن تزوجت :

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت

فظلت بي الأرض الفضاء تدور

وزايلني لبي وقد كان حاضرا

وكان جناني عند ذاك يطير

فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا

تلاقٍ وعيني بالدموع تمور

أيا سرعة الأخبار حين تزوجت

فهل يأتيني بالطلاق بشير (٨)

وقيل للمجنون في بعض أوقات صحوه : أي شيء رأيته أحب

إليك ؟

قال : ليلي

(٨) عشاق العرب ص ١٢٢ - ١٢٣ .

قيل : دع ليلى فقد عرفنا مالها عندك ولكن سواها .
 قال : والله ما أعجبني شيء قط فنكرت ليلى إلا سقط من عيني
 وأذهب نكرها بشاشته عندي غير أنني رأيت ظبياً مرة فتأملته ،
 ونكرت ليلى فجعل يزداد في عيني حسناً ، ثم إنه عارضه ذئب
 وهرب منه ، فتبعته حتى خفياً عني فوجدت الذئب قد صرعه
 وأكل بعضه ، فرميته بسهم فما أخطأت فقتلته ، وبقرت بطنه
 فأخرجت ما أكل منه ، ثم جمعته إلى بقية شلوه ، ثم دفنته
 وأحرقت الذئب ، وقلت في ذلك :

أبى الله أن تبقى لحي بشاشة

فصبراً على ما شاء الله لي صبرا

رأيت غزالاً يرتعي وسط روضة

فقلت أرى ليلى تراعت لنا ظهرا

فيا ظبي كل رغداً هنيئاً ولا تخف

فلأنك لي جارٍ فلا تهرب الدهرا

وعندي لكم حصن حصين وصارم

حصام إذا أعملته أحسن الهبـرا

فما راعني إلا وذئب قد انتحى

فأعلق في أحشائه الناب والظفرا

ففوقت سهمي في كتوم غمزتها

فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا

فأذهب غيظي قتله وشفى جوى

بقلبي إن الحر قد يدرك الوترا (٩)

وكان قيس بن ذريح في كثير من الأحيان يخرج متوجهاً نحو الطريق الذي سلكته حبيبته يتسم روائحها فسنحت له ظبية فقصدها فهربت منه ، فقال :

ألا يا شبهه لبنى لا تراعي

ولا تيممي قلل القلاع

وفي أخبار المجنون أن أضيافاً طرّقوا ذات ليلة أضياف آل قيس ، ولم يكن عندهم إدام لهم ، فبعثه أبوه إلى منزل أبي ليلى ليطلب إداماً ، فاتاه ، وطلب من أبي ليلى الإدام ، فقال الرجل : يا ليلى أخرجي إليه ذلك النحي ، فاملئي له إناءه من السمن .

فأخرجته ، وكان مع قيس قعب ، فجعلت تصب السمن فيه ، وكانا يتحدثان ، فألهاهما الحديث وهي تصب السمن وقد امتلأ القعب ولا يعلمان ، فسال السمن حتى استتقت أرجلهما في السمن (١٠) .

ويشبه ذلك قصة ذي الرمة ومي ، فعندما وصلت إليه مدنو الرمة وعاءه ، وراحت تصب فيه من وعائها ، والتقت نظراتهما طويلاً ، ثم صار الماء يذهب يميناً وشمالاً ، فأقبلت عجوز كانت

(٩) عشاق العرب ص ٥٩ - ٦٠ .

(١٠) المصدر السابق ص ٤٥ .

جالسة بعيداً تنظر إليهما وقالت: يا بني ألهمتك مي عما جئت تريده ..
أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً ؟ .

فقال ذو الرمة : أما والله ليطولن هيامي بها (١١) .

وفي بعض أساطيرهم خيال ينفيه المعتاد من الواقع كرنو هند
إلى ثوب عبدالله بن عجلان النهدي وقد لمحت أثر كفها لا يزال
عالقاً ، وقد التقيا وهما يطوفان حول البيت .

وكان لهذا الأثر عدة شهور (١٢) .

قال أبو عبد الرحمن : فهل ترى عبدالله لم يغسل ثوبه قط ،
وهل ترى أنه لا أحد طول هذه المدة لفت نظره إلى هذا الأثر ،

(١١) عشاق العرب ص ١٥٩ ، ومثل ذلك قضية شعلة النار في مسرحية مجنون
ليلي لأحمد شوقي .

وفي عشاق العرب ص ٢٢٠ أسطورة مسلم الوشاحي وحسن البرمكية .. قال :
« فلما رأت حسن أنه وقع في هواها تركته على حاله ، وركبت مع البنات ،
وسرن كئنهن للطيور في السماء مسافة عشرة أيام ، وفي اليوم الحادي عشر
رأت بائع دبس فقالت له : ما معك ؟ .

فقال لها : معي دبس يا ست الملاح ، وروح الأرواح .. هل تريدين منه ؟ .
فقالت : أرني من دبسك قليلاً ، فإن كان جيداً أخذت كل ما معك .

فتقدم البائع وفتح الظرف ، وأخذ منه قليلاً ، ونزلت الست حسن عن ناقتها ،
وكشفت عن وجهها حتى تذوق الدبس ، فلما رآها البائع لأذهله حسنهما وجمالها ،
ووقع في حبها ، وقل حيله ، ولم يقدر أن يتمالك نفسه من شدة ما أصابه
من جمالها ، فأقلت الظرف من يده وسال ما فيه على الأرض ولم يبق منه
شيء ، وهو لا يعلم شيئاً ، ولا يسمع إلا أصوات البنات للواتي معها .. إلخ .

(١٢) انظر عشاق العرب ص ١٠٠ .

وهل أعجز هذا الأثر الأيام وما يجري فيها من احتكاك برحل وجرم
وجلوس وتقلب ؟ ! .

ومسألة الالتقاء في الطواف مما تظرف به العشاق والرواة
كما في شعر عمر بن أبي ربيعة ، وجبرين سيار ، وبصرى
الوضيحي .

وفي أسطورة ابن عجلان أنه رأى جماعة من الفتيات يتردن
في الماء خليات البال ، فمكث في مكانه ينظر إليهن حريصاً على ألا
يحدث ما يزعجهن .

وبقي في مكانه يرنو إليهن إلى أن خرجن جميعاً من الماء ما
عدا واحدة منهم تمتاز عنهن بطول قامتها وإشراق وجهها وشعرها
الغزير الطويل الفاحم .

بقيت الفتاة في الماء تصرح شعرها الطويل الفاحم وتسد له
على جسدها البديع ، وتتغنى بقول عبدالله :
خود رداح طفلة

ما الفحش من أخلاقها

كانت الفتاة خلية البال ، تلاعب شعرها وتتغنى ، وكان عبدالله
يرنوا إليها مشدوهاً ، فأحس وكأنه مسحور أوثق إلى مكانه
لا يستطيع له براحاً .

بقي يرنو إليها لا يريم إلى أن غادرن جميعهن المكان ،
وتوارين عن الأنظار . . نهض ليركب راحلته ولكن عجز عن ذلك ،

وحاول مرات وفشل ، فجلس يفكر في أمره ويقول محدثاً نفسه :
كانت توصف لي ثلاث رواحل قائمة فالحقها وأركب الرابعة ، فما
الذي حدث لي ؟ .

لعله الحب الذي يحكون عنه ، ثم سرح نظره إلى البعيد ،
وأنشأ يقول :

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة

إذا شئت لمساً للثريا لمستها

أتتني سهام من لحاظ فارشقت

بقلبي ولو أنني استطعت رددتها

وراح يستعيد في خاطره جمال فتاته ويقول : هذه والله
الضالة المنشودة التي لا ترد ، ثم ارتحل عائداً إلى دياره . . . إلخ (١٣) .
قال أبو عبد الرحمن : البيت الذي غنته الفتاة من آثار هيام
عبد الله بالفتاة فكيف جاء هاهنا سابقاً للغرام ؟ ! .

والحلم بفتيات يتردن في الماء خيال يداعب الرواة والعشاق
والشعراء كما في رائية الحبيشى ، وقد أوردها في أحد أسفار كتابي
« ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد » .

* * *

الفصل الأول :

عشاق يموتون بشهقة :

قال البقاعي : « وقال مغلطاي : ذكر الزبير : عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهم (١) قال : إني لمع مولاي عشية عرفة إذ أقبل فتية من بني عذرة يحملون فتى من بني عذرة (٢) قد بلي بدنه حتى أوقفوه بين يديه ، ثم قالوا له : استشف لهذا يا ابن عم رسول الله . فقال : وما به ؟ .

قالوا : العشق .

فترنم الفتى بصوت ضعيف حتى لا يبين :

بنا من جوى الأحزان والحب لوعة

تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة مقول

على ما به عود هناك صليب

(١) قال ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٣٧٣ : أخبرنا المبارك بن علي قال : أنبأنا علي بن محمد العلاف قال : أنبأنا عبد الملك بن بشران قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكندي قال : أنبأنا محمد بن جعفر الخرائطي قال : حدثنا يوسف الزهري قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا محمد بن عيسى بن بكار : عن فليح بن إسماعيل بن جعفر : عن عبد الملك بن صالح : عن عمه سليمان بن علي : عن عكرمة قال : إنا لمع عبدالله بن عباس . . . إلخ .

(٢) نسبة إلى عذرة بن سعد هذيم (الإضافة إلى عبد حبشي حضنه) ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاة .
وأم عذرة عاتكة بنت مر بن أد بن طابخة .
وبنات مر أمهات قبائل انظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٠٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ - ٤٥٠ .
واشتهر في بني عذرة كثرة العشاق مع العفة فنسب الحب الشريف إليهم .

وما عجبى موت المحبين في الهوى

ولكن بقاء العشاقين عجيب

ثم شفق شهقة فمات .

قال عكرمة : فما زال ابن عباس - رضي الله عنهما - بقية

يومه يتعوذ بالله تعالى من الحب « (٣) » .

قال أبو عبد الرحمن : إن صح هذا الخبر فهو عن عاشق لم

يمت بشهقة بدءاً ، وإنما هو عن ذي شغف أضناه العشق مدى

حياته منذ علق به الغرام ، وطاوله الدنف ، ثم حضر أجله

فشفق شهقة الموت .

قال أبو عبد الرحمن : جاء قريب من هذا المعنى في إشارة

الإمام أبي محمد ابن حزم فإنه قال : « وقد جاء من فتيا ابن عباس

رضي الله عنهما مالا يحتاج إلى غيره حين يقول : هذا قتل

الهوى لا عقل ولا قود » (٤) .

وتداول هذا الخبر بنصه أو بلفظ : « قتل الهوى هدر » كل من

الوشاء في « الموشى » ، والراغب في « المحاضرات » ، وابن قيم

الجوزية في « الجواب الكافي » كما ذكر ذلك الدكتور إحسان عباس في

تعليقه على نص ابن حزم .

وقال البقاعي : « أنبأنا الرئيس أبو علي بن وشاح الكاتب : أنبأنا

(٣) أسواق العشاق ص ٩١ / ب ، وانظر زم الهوى ص ٣٧٢ - ٣٧٤ .

(٤) طوق الحمامة / ضمن رسائل ابن حزم ٩٣/١ .

القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا: أخبرنا علي بن سليمان الأخفش :
أخبرنا محمد بن مزيد قال : حدثت عن بعض أصحاب ابن عباس
قال : إني وابن عباس بفناء الكعبة وهو في جماعة ، فإذا بفتيان
يحملون بينهم فتى حتى وضعوه بين يدي ابن عباس ، فقالوا استشف .
فكشفوا عنه فإذا وجه حلو ، وعود صليب ، وجسم نازل ،
فقال له : ما يؤلمك ؟

فقال :

بنا من جوى الأحزان والحب لوعة

تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقي حشاشه ما ترى

علي ما ترى عود هناك صليب « (٥)

(٥) أسواق العشاق ورقة ٤٨ ، وقال السراج في مصارع العشاق ٢٤٥/٢-٢٤٦ :
أنبأنا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر الطبري : حدثنا عبدالرحمن بن
محمد بن حامد ابن متويه البلخي : حدثنا أحمد بن إسماعيل الكرابيسي : حدثنا
معبد بن فرقد البلخي : حدثنا سليمان بن أبي عبدالرحمن : عن مجالد بن
عبدالرحمن الأندلسي : عن عطاء : أن عكرمة قال : كنا عند ابن عباس في آخر
أيام الشهر في المسجد الحرام إذ أقبل فتان يحملون فتى حتى وضعوه بين يدي
ابن عباس ، فقالوا : استشف الله له توجر .
فقال لهم : ما به ؟

فأنشأ الفتى يقول :

وبه من جوى الأسقام والحب لوعة

تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقي حشاشه ما ترى

علي ما به عود هناك صليب

قال ابن عباس : والله ما رأيت وجهاً أعتق ، ولا لساناً أنلق ، ولا عوداً أصلب
من هذا . . هذا والله قتيل الحب والهوى ، لا قود له ولا دية .

وقال البقاعي : « قال المصنف [يعني السراج] : ذكر أبو
عمر بن حيويه : أخبرنا أبو بكر ابن المرزبان : أخبرنا إبراهيم بن
محمد : أخبرنا الحسن بن محمد بن عيسى المقرئ : أخبرني محمد
ابن عبيدالله العتبي : أخبرنا محمد بن المنبه : سمعت أبا الخطاب
الأخفش (قال الحافظ مغلطاي: سعيد بن مسعدة صاحب النحو) يقول :
خرجت في سفر ، فنزلنا على ماء لطيف ، فبصرت بخيمة من بعيد ،
فقصدت نحوها ، فإذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال فأنشد يقول :
ألا ما للمليحة لا تعود

أبخل بالمليحة أم صودود
مرضت فعانني عواد قومي
فمالك لم تري فيمن يعود ؟ !
ولا استبطأت غيرك فاعلميه

وحولي من نوي رحي عبيد
قال ثم أغمي عليه فمات ، فوَقعت الصيحة في الحي ، فخرج
من آخر الماء جارية كأنها فلقة قمر ، فتخطت رقاب الناس حتى
وقفت عليه فقبلته ، وأنشأت تقول :

عدائي أن أعودك يا حبيبي
معاشر فيهم الواشي الحسود
أذاعوا ما علمت من الدواهي
وعابونا وما فيهم رشيد
فأما إذ حللت ببطن أرض
وقصر الناس كلهم اللحدود

فلا بقيت لي الدنيا فواقاً

ولا لهم ولا أثرى عديد

قال : ثم شهقت شهقة فخرت ميتة عليه ، فخرج من بعض الأخبية شيخ فوقف عليهما ، فترحم عليهما ، وقال : والله لئن كنت لم أجمع بينكما حين لأجمعن بينكما ميتين ، فدفنهما في قبر احتره لهما فسألته ، فقال : هذه ابنتي وهذا ابن أخي (٦) .

قلت : ووجدت في نديم المسامرة : عن الأصمعي : عن أبي عمرو بن العلاء قال : حدثني رجل من بني تميم (٧) قال : خرجت في طلب ضالة لي فبينما أنا أدور في بني عذرة إذا بيت معتزل عن البيوت ، وإذا في كسر البيت فتى شاب مغمى عليه وعند رأسه عجوز لها بقية من جمال ساهية تنظر إليه فسلمت ، فردت السلام ، فسألتها عن ضالتي فلم يكن عندها علم ، فقلت : أيتها (٨) العجوز من هذا الفتى ؟

فألت : ابني . ثم قالت : هل لك في أجر لا مؤونة فيه ؟

(٦) وانظر أيضا عيون الأخبار لابن قتيبة ١٣٠/٤ .

(٧) قال ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٣٧٩ - ٣٨٠ : أخبرنا المبارك بن علي قال : أنبأنا علي بن محمد بن العلاف قال : أنبأنا عبد الملك بن بشران قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكندي قال : أنبأنا محمد بن جعفر الخرائطي قال : حدثنا أبو الفضل الربيعي قال : حدثنا الرياشي : عن الأصمعي : عن أبي عمرو بن العلاء قال : حدثني رجل من بني تميم . إلخ .

(٨) في الأصل : أيها .

فقلت : والله إني لأحب الأجر وإن رزئت .

فقالت : إن ابني هذا يهوى ابنة عم له ، وكان علقها وهما صغيران ، فلما كبرا حبت عنه فأخذه شبيهه بالجنون ، ثم خطبها إلى أبيها فامتنع من تزويجه ، وخطبها غيره فزوجه إياها .
فنحل جسم ولدي واصفر لونه وذهل عقله ، فلما كان منذ خمس زفت إلى زوجها فهو كما ترى لا يأكل ولا يشرب ، وهو مغمى عليه ، فلو نزلت إليه فوعظته .

قال : فنزلت إليه فلم أدع شيئاً من الموعظة إلا وعظته حتى إني قلت له فيما قلت : إنهن الغواني صويحبات يوسف ، وقد قال فيهن كثير عزة :

هل وصل عزة إلا وصل غانية

في وصل غانية من وصلها خلف

قال : فرفع رأسه محمرة عيناه كالمنضب وهو يقول : لست مثل كثير عزة . . إن كثيراً رجل مائق ، وأنا رجل وامق ، ولكني كأخي تميم حيث يقول :

ألا لا يضير الحب ما كان ظاهراً

ولكن ما أخفى الفؤاد يضير

ألا قاتل الله الهوى كيف قاتني

كما قيل مغلول اليدين أسير

فقلت : فإنه قد جاء عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال :

من أصيب بمصيبة فليذكر مصابه بي .
فأنشأ يقول :

ألا ما للمليحة لم تعدني

أبخل بالمليحة أم صدود ؟

مرضت فعادني أهلي جميعاً

فما لك لم تُري فيمن يعود

فقدتك بينهم فبكيت شوقاً

وفقد الإلف يا أُملي شديد (٩)

... الأبيات ، ثم شهق شهقه ، ثم خفت ، فمات ، فبكت

العجوز ، وقالت : فاضت والله نفسه .

فدخلني أمر عظيم لم يدخلني مثله ، فلما رأت العجوز ما حل

بي قالت : يا فتى لا ترع .. مات بأجله ، واستراح من تباريحه

وغصصه ، ثم قالت : هل لك في استكمال الصنعة ؟ .

قلت : قولي .

قالت : تأتي تلك البيوت ، فتعاه إليهم ليأتوني فيعاونوني على

رسمه ، فأني وحيدة .

(٩) عند ابن الجوزي بعد هذا :

وما استبطأت غيرك فاعلميه

وحولي من نوي رحي عديد

ولو كنت المريض لكنت أسعى

إليك وما يهددني الوعيد

قال : فركبت فرسي نحو البيوت ، فبينما أنا أنعاه إذ خرجت
جارية أجمل من رأيت من النساء ناشرة شعرها حديثاً عهد بعرس ،
فقلت : بغيرك الحجر المصلت من تتعى ؟
قلت : فلاناً .

قلت : أوقد مات ؟

قلت : إي والله .

قلت : فهل سمعت له قولاً ؟

قلت : اللهم لا إلا شعراً .

قلت : وما هو ؟ .. فأنشدتها قوله :

ألا مـا للمليحة لا تعود

أبخل بالمليحة أم صـدود

... الأبيات فاستعبرت باكياً ، وأنشأت تقول :

عدائي أن لا أزورك يا منـاي

معاشر كلهم واش حسود .

... الأبيات .

(١٠) عند ابن الجوزي بعد هذا :

أشاعوا ما علمت من الدواهي

وعابونا وما فيهم رشيد

فلما أن ثويت اليوم لحداً

فكل الناس دورهم لحود

فلا طابت لي الدنيا فواقداً

ولا لهم ولا أثرى العديـد

وانظر شرح المقامات للشريشي ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

ثم شهقت شهقة خرت إلى الأرض ، وخرج النساء إليها من البيوت ، فاضطربت ساعة فماتت .

فما خرجت من الحي حتى دفننا جميعاً .

وساقها مغلطاي بإسناد إلى السامري : عن الرياشي : عن الأصمعي : عن أبي عمرو (وقال : ذكر الأصمعي أنه خرج لبعض الأحياء فيما ذكره ثعلب) . قال : فجنني الليل ، فأويت إلى جبانة ، فتوسدت قبراً ، فسمعت في الليل قائلاً من القبر :

أنعما لله بالخيالين عيناً

وبمسراك يا سعاد إليناً

وحشة ما لقيت من خلل القبر

عسى أن نراك أو أن تريناً

قال : فأرقت ليلتي ، فلما أصبحت دخلت الحي فإذا أنا بجنازة قد أقبلت : فسألت عنها ، فقبل لي : هذه سعاد كانت تحت ابن عم لها فتعاقدا على الوفاء ، فهلك ، فلم تزل باكية عليه وها هي قد لحقت به .

فتبعتهم حتى دفنت إلى جانب القبر الذي بت عنده ، فإذا هو قبر

ابن عمها ، فحدثتهم بما سمعت فأكثروا التعجب من ذلك . انتهى .

قال السراج : وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الأبنوسي

رحمه الله ونقلته من أصله : أخبرنا أبو محمد علي بن عبد الله بن

المغيرة الجوهري : أخبرنا أحمد بن محمد بن أسد الأزدي : أخبرنا

الساجي : عن الأصمعي قال (١١): رأيت بالبادية رجلاً قد دق عظمه ،
وضؤل جسمه ، ورق جلده ، فتعجبت ، فدنوت منه لأسأله عن
حاله ، فلم يرد جواباً ، فسألت جماعة حوله عن حاله ، فقالوا :
انكرله شيئاً من الشعر يكلمك . . فقلت :

سبق القضاء بأنني لك عاشق

حتى الممات فأين منك مذهبني

فشهق شهقة ظننت أن روحه قد فارقتّه ، ثم أنشأ يقول :

أخلو بذكرك لا أريد محدثاً

وكفى بذلك نعمة وسرورا

أبكي فيطربني البكاء وتارة

يأبى فيأتي من أحب أسيرا

فإذا أتى سمح بفرقة بيننا

أعقبت منه حسرة وزفيرا

فقلت : أخبرني عنك .

قال : إن كنت تريد علم ذلك فأحملني ، وألقني على باب

تلك الخيمة ، ففعلت ، فأنشأ يقول بصوت ضعيف رفعه جهده :

(١١) قال ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٣٨٤ : « أخبرتنا شهدة قالت : أنبأنا أبو محمد

ابن السراج قال : وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الأبتوسي ، ونقلته من

أصله قال : حدثنا أبو محمد علي بن عبدالله بن المغيرة الجوهري قال : حدثنا

أحمد بن محمد بن أسد الأزدي قال : أنبأنا الساجي : عن الأصمعي . . . إلخ » .

ألا ما للمليحة لا تعود

أبخل ذاك منها أم حدود

فلو كنت المريضة جنت أسمى

إليك ولم ينهنهني الوعد

فإذا جارية مثل القمر خرجت فألقت نفسها عليه ، فاعتقها

وطال ذلك ، فسترتهما بثوبي خشية أن يراها الناس ، فلما خفت

عليهما الفضيحة فرقت بينهما ، فإذا هما ميتان ، فما برحت حتى

صليت عليهما ودفنا .

فسألت عنهما فقيل عامر بن غالب وجميلة بنت أميل المزنيين

فانصرفا .

زاد الشهاب محمود ، فقال وعملت في ذلك :

لا تحسبن رويهما افترقا وقد

قضيا [حياة] في زمان واحد (١٢)

هيهات ما حرما وصالاً زائلاً

إلا لينفردا بوصل خالداً (١٣)

قال أبو عبد الرحمن : ولهذه القصة طريق أخرى . قال ابن

الجوزي : « وقد رويت لنا هذه الحكاية من طريق آخر .

(١٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(١٣) أسواق العشاق ورقة ٩٨ - ٩٩ .

فأنبأنا محمد بن ناصر الحافظ قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن السمسار (ويعرف بابن قشيش) قال: أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد الكاتب قال: حدثنا أبو بكر الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثنا أحمد بن عبيد: عن أبي عبدالله الزياتي قال: قال محمد بن قيس الأبيدي: وجهني عامل المدينة إلى يزيد بن عبد الملك وهو خليفة في أمر من أمور الناس، وكتب معي كتاباً، فسرنا حتى إذا خلفنا المدينة على مسيرة ثلاثة أيام إذا أنا برجل على قارعة الطريق حديث السن، واضع رأسه في حجر امرأة مختمرة قد دخل من نسبها وفيها بقية من جمال، والشباب يتململ ويضرب، وكلما تتحى رأسه من حجرها ردت المرأة رأسه في حجرها، وأنا على بغلة فسلمت فردت المرأة ولم يرد الشاب، ففترست في ملتأ ثم قالت: يا عبدالله هل لك في أجر من غير مرزاة؟

فقلت: نعم والله إني لأحب الأجر وإن رزئت.

قلت: إن ابني هذا كان يهوى ابنة عم له وكان علقها وهما صغيران، فلما حجبت خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجهما، ونحن معاشر العرب إذا كان الرجل منا يألف المرأة في صغره لم يزوجه مخافة أن تُرمى بالعيب، فيقال: قد كان بينهما سوء قبل التزويج.

قالت: وخطب المرأة ابن عم لها آخر فزوجت منه.

فهو على ما ترى منذ بلغه، لا يأكل ولا يشرب ولا يصلي ولا يعقل، فلو وعظته.

قال فنزلت إليه فلم أدع له شيئاً من الموعظة إلا وعظته وقلت له : أترغب فيمن لا يرغب فيك ، وإن عظمت عليك المصيبة فيها فأذكر مصيبتك برسول الله ﷺ ، فإنه قال : من أصيب بمصيبة فعظمت عليه فليذكر مصيبتَه بي فإنه أعظم المصيبات .
قال : فوالله ما تركت شيئاً من الموعظة إلا وعظته بها ، وفنلت له في الذروة والغارب ، وما يحير كلمة ولا جواباً أكثر من أن قال :

ألا ما للمليحة لم تعدني

أبخل بالمليحة أم صدد

مرضت فعادني أهلي جميعاً

فمالك لم تُري فيمن يعُود

فقدتك بينهم فبكيت شوقاً

وفقد الإلف يا أملي شديد

وما استبطأت غيرك فاعلمي

وحولي من ذوي رحمي عديد

ولو كنت المريض لكنت أسعى

إليك وما يهددني الوعيد

قال : ثم شفق وخفت فمات ، فدخلني أمر شديد وخفت أن

يكون مات من عظتي وكلامي .

فلما رأت المرأة ما بي قالت : هوّن عليك ، عاش بأجل ومات

بقدر ، وقدم على رب غفور ، واستراح مما كان فيه من البلاء ، فهل لك في استتمام ما صنعت ؟ .

فاسترحتُ إلى قولها ، وقلت : فما هو ؟ .

قالت : هذه الأبيات منا غير بعيد ، فتأتهم فتتعاه إليهم

وتأمرهم (١٤) بحضوره .

فأقبلت أنعاه إليهم وقد حفظت الشعر ، فبينما أنا أنعاه إليهم ، إذ

خيمة قد رفع جانب منها ، فإذا امرأة قد خرجت كأنها القمر ليلة البدر

ناشرة شعرها تجر خمارها ، وهي تقول : بفيك الحجر من تنعى .

قلت : فلان بن فلان .

قالت : الله لقد زارته شعوب ؟ ! .

قلت : نعم .

قالت : فهل قال من قول قبيل وفاته ؟ .

قلت : نعم . . . وقد حفظته ، فأنشدتها الشعر فوالله ما نهنت

أن قالت :

عداني أن أزورك يا حبيبي

معاشـر كلهم واشـر حسود

أشاعوا ما سمعت من الدواهي

وعابونا وما فيهم رشيد

(١٤) في الأصل : وتأمره .

فأما إذ ثويت اليوم لحدداً

ودور الناس كلهم اللحدود

فلا طابت لي الدنيا فواقداً

ولا لهم ولا أثرى عديد « (١٥)

وقال البقاعي نقلاً عن السراج : « أخبرنا الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قراءة عليه في داره بالحريم الظاهري في سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة : حدثنا أبو العباس أحمد بن منصور الشكري : حدثنا أبو القاسم بإسناد له عن ابن الأشدق . . قال : كنت أطوف بالبيت فرأيت شاباً تحت الميزاب قد أدخل رأسه في كسائه يئن كالمحموم ، فسلمت فرد ثم قال : من أين أقيمت ؟ .

قلت : من البصرة .

قال : وراجع إليها ؟ .

قلت : نعم .

قال : فإذا دخلت النجاج فاخرج إلى الحي ، ثم ناد : يا هلال . . يا هلال . . يخرج إليك جارية تتشدها هذا البيت :
لقد كنت أهوى أن تكون منيتي

بعينيك حتى تتظري ميت الحب

ومات مكانه ، فلما دخلت النجاج أتيت الحي فناديت : يا هلال

(١٥) زم الهوى ص ٣٨١ - ٣٨٣ .

يا هلال .. فخرجت إليّ جارية لم أر أحسن منها، فقالت: ما وراءك ؟ .

قلت : شاب بمكة أنشدني هذا البيت ... وأنشدته .

قالت : وما صنع ؟ .

قلت : مات .

فخرت مكانها ميتة .

وعزاه مغلطاي إلى ابن الخيمي في كتابه الشامل المفيد . انتهى .

أخبرني أبو عبدالله محمد بن أبي نصر : حدثني الفقيه أبو

محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: أنبأنا القاضي أبو محمد عبدالله

ابن الربيع : أخبرنا أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم : أخبرنا ابن

دريد : أخبرنا عبدالرحمن : عن عمه (هو الأصمعي) قال : رأيت

بالبادية امرأة على راحلة تطوف حول قبر تقول :

يامن بمقلته زهى الدهر

قد كان فيك تضاعل الأمر

زعموا قتلت وما لهم خبر

كذبوا وقبرك ما لهم عذر (١٦)

يا قبر سيدنا المجنّ سماحـة

صلى الإله عليك يا قبر (١٧)

(١٦) القسم بغير الله لا يجوز ، وأقبحه أن يقسم بالقبر .

(١٧) العروض هاهنا تامة صحيحة « متفاعلن » مع أن القصيدة مبنية على عروض

أخذ هكذا « // / ٥ » ، وضرب أخذ مضمّر هكذا « / ٥ / ٥ » .

ما ضر قبرا منه سئوئك ساكن
أن لا يمر بأرضه القطر
فلينبعن سماح جودك في الثرى
وليورقن بقبرك الصخر
وإذا غضبت تصدعت فرقساً
منك الجبال وخافك الذعر
وإذا رقدت فأنت منتبـه
وإذا انتبـهت فوجهك البدر
والله لو بك لم أدغ أحداً
إلا قتلت لفاتني الوتر

قال فدنوت منها لأسألها عن أمرها فإذا هي ميتة « (١٨) » .
قال أبو عبد الرحمن : هذه أخبار منتحلة ، وأسائيد إخباريين
ومجهولين وظرفاء .
والكذبة الصلعاء أسطورة بشر الأسدي وهند الجهنية على عهد
رسول الله ﷺ .

وهي أسطورة من أساطير الأدب الفصيح ، وقد أسهم في
تعميقها الحكواتي النجدي . . . ذلك أن الحكواتي العلمي قد يشارك
في الإضافة إلى أسطورة صنعها الأسلاف كهذه الأسطورة . . . أعني

(١٨) أسواق العشاق ورقة ١٠٤ ، وانظر مصارع للعشاق ١ / ٢١٦ .

أسطورة بشر العابد التي نكرها سويلم العلي السهلي بقوله :
وطرد الهوى ما فيه منقود ادراه

من نور بشر ليا عزيز ابن خاله
بشر من الزهاد وادنت مناياه

وعزيز ذاق الموت باسباب خاله
فقد سألت عدداً من الرواة عن بشر هذا هل هو هلاكي ، أو
ضيغمي ، أو من أهل العصور العامية الحديثة ، أو من أهل القرون الأولى .
وما أفادني أحد غير الراوية رديني عن أبيه عبدالكريم السهلي ،
فقد سماه بشراً العابد ، وروى لي شيئاً من شعره يتحاكى
بالفصحى ، ولم يذكر مصدره من الكتب ، وقال : نرويه مشافهة .
قال بشر :

اسألي يا هند من ذاق الهوى

اسألي يا هند من ذاق اسألي

ما بلي بالحب مثلي عاشق

ما بلي بالحب مثلي ما بلي

هند ما مرت عليك جنازتي

صلّ يا هند عليّ واسلمي^{١)}

فقلولي مرحوم يا ميت الهوى

في جنة الفردوس ان كنت مسلم

(١٩) في رواية رديني : فصلي علي يا هند وسلمي .
قال أبو عبدالرحمن : فعدلت لأجل الوزن .

والبيت الأخير مكسور كله عامي الأسلوب في مرحوم وفي
إعراب مسلم .

وروى قول هند :

ألا ليتني أرض وأنت إمامها

تدوس بنعليك الكرام على خدي

فقلت في نفسي: هذا الشعر شعر فصيح قديم حرفته الرواية العامية ،
فبحثت عن بشر في أخبار الصوفية وأهل السلوك فلم أجد له خبراً ،
وما خطر ببالي أن بشرأ من الصحابة في كذب الأسطورة وزعمها ،
فقلت أعدل إلى كتب الألفه والألاف ، فوجدت قصة منكرة سخيفة
موضوعة جعل بطلها رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم وكرمهم .
وإنما سمع الحكواتي النجدي بالقصة من قارئ فنسج شعراً
على منوالها ، وهذا نصها من أسواق العشاق .

قال البقاعي : « قال مغلطاي : ذكر ابن أبي الدنيا : عن سعيد
بن يعقوب به .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الملك بن بشران (٢٠) - رحمه الله -
قراءة عليه : حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن زرق (٢١) في

(٢٠) هو راوي سنن الدارقطني حافظ ثقة ترجمته في تاريخ بغداد ٣٤٩/٢ وسير

أعلام النبلاء ٦٠/١٨ - ٦١ .

(٢١) ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٠٢/١ - ٣٠٣ ولم يبد عنه

كبير فائدة .

شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وثلاثمئة : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم (٢٢) الشافعي قراءة عليه في يوم الخميس لا ثنتي عشرة خلت من ربيع الآخر من سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة : أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق (٢٣) : أخبرنا عمر بن عبد الحكيم ، وجعفر بن عبد الله الوراق ، والقاسم بن الحسن : عن ابن سعد : عن أبيه قال : ذكر أنه كان في بدء الإسلام (وبعضهم يزيد على حديث بعض) رجل شاب ، وكان يقال له بشر ، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ ، وكان من بني أسد بن عبد العزى ، وكان طريقه إذا غدا على رسول الله ﷺ أخذاً على جهينة ، فإذا فتاة من جهينة يقال لها هند ، فنظرت إليه فعشقتة ، وكان لها من الحسن والجمال حظ عظيم ، وكان للفتاة زوج يقال له سعد بن سعيد ، وكانت الفتاة تقعد كل غداة لبشر حتى يجتاز بها لتنظر إليه ، فلما أخذها حبه كتبت إليه هذه الأبيات :

تمر ببابي ليس تعلم ما الذي

أعالج من شوق إليك ومن جهد

تمر رخي البال من لوعة الهوى

وأنت خلي الروع مما بدا عندي

(٢٢) ابن عبدويه بن موسى بن بيان البزاز إمام حافظ ثقة .

ترجم له في تاريخ بغداد ٤٥٦/٥ - ٤٥٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣٩/١٦ - ٤٤ .

(٢٣) الصوفي ترجمته في تاريخ بغداد ١٠٠/٥ - ١ - ٣ قال فيه الدارقطني : ليس بالقوي يأتي بالمعضلات .

فديتك فانظر نحو ما بي نظـرة
 فإنك أهوى الناس كلهم عنـدي
 فوالله لو قصرت عنا فلم تكن
 تمر بنا أصبحت لا شك في لحد
 فأجابها الفتى وهو يقول :
 عليك بتقوى الله والصبر إنـه
 نهانا عن اتیان النساء التعبـد
 وصبراً لأمر الله لا تقربى الذى
 نهى الله عنه والنبي محمد
 فوالله لا آتى حليـة مسلم
 إلى أن أدلى فى القبور وأفقد
 أحاذر أن أصلى جحيماً وأن أكن
 صريعاً لنار حرها يتوقـد
 فلا تطمعي فى أن أزورك طائـعاً
 وأنت لغيري فى الخباء معـود
 فأجابته الفتاة وهي تقول :
 أمرت بتقوى الله والصبر والتقى
 فكيف ومالي من سبيل إلى الصبر
 وهل يستطيع الصبر حرى حزينـة
 معذبة بالحب موقرة الظهـر

ووالله ما أدعوك يا حب للذي
تظن ولكن للحديث وللشعر
وكي يتداوى ما تراكم داؤه
من الشوق والحب الذي لك في صدري
ولست فدتك النفس أبغيك محرماً
وما ذاك من شأني وما ذاك من أمري
وما هاجني إلا الحديث ومجلس
يسكن دمعاً قد يسيل على النحر
قال فأجابها الفتى :

منع الزيارة أن أزورك طائعاً
أخشى الفساد إذا فعلت وتفسدي
أخشى دنواً منك غير محل
فأكون قد خالفت دين محمد
وأخاف أن يهواك قلبي سارقاً
فيكون حنفي بالذي كسبت يدي
فالصبر خير عزيمة فاستعصمي
وإلى إلهك ذي المعارج فاقصدي
فإذا أتتك وسأوس وتفكر
وتذكر فلكل ذلك فاطردي

وعليك يا سيناً فإن قراتها

تتفي الهموم وذاك نفسك عودي

فأجلبته الفتاة وهي تقول :

لعمرك ما ياسين تغني من الهوى

وقربك من ياسين أشهى إلى قلبي

قدع نكر ياسين فلسبت بناقعي

فإني في غم الحياة وفي كرب

تخرجت عن إتياننا وحديثنا

فقتلي إن فكرت من أكبر الذنب

وإتياننا أدنى إلى الله زلفه

وأحسن من قتل المحب بلا عتب

فلما قرأ بشر هذه الأبيات غضب غضباً شديداً ، وحلف

لا يمر بباب هند ولا يقرأ لها كتاباً ، فلما امتنع بشر وأبى أن

يمر ببابها كتبت إليه :

سألت ربي فقد أصبحت لي شجنا

أن تُبتلى بهوى من لا يباليك

حتى تنوق الذي قد نقت من نصب

وتطلب الوصل ممن لا يواتيك

رماك ربي بحمأة مقابلة

وبامتناع طيب لا يداويك

وأن تظل بصحراء على عطش

تطالب الماء ممن ليس يسقيها

فلما لج بشر ، وترك الممر (٢٤) بابها : أرسلت إليه بوصيفة

لها فأنشدته هذه الأبيات ، فقال للوصيفة : لأمر كنت أمر .

فلما جاءت الوصيفة أخبرتها بقول بشر ، فكتبت وهي تقول :

كفر يمينك إن الذنب مغفور

واعلم بأنك إن كُفرت ماجور

لا تطردن رسولي وارثين له

إن الرسول قليل الذنب مغفور

واعلم بأنني أبيت الليل ساهرة

ودمع عيني على خدي محذور

أدعوك باسمك في كرب وفي تعب

وأنت لاهٍ قرير العين مسرور

فلما لج بشر ، وترك الممر على بابها اشتد عليها ذلك ،

ومرضت مرضاً شديداً ، وبعث زوجها إلى الأطباء .

فقالت : لا تبعث إلى طبيب ، فإني قد عرفت دائي . . قهرني

جني في مغتسلي ، فقال لي : تحولي عن هذه الدار فليس في

جوارنا خير .

(٢٤) هكذا في الأصل ، وهي بمعنى المرور .

فقال لها زوجها : وما أهون هذا ! .

فقالت : إني رأيت في منامي أن أسكن بطحاء تراب .

فقال : اسكني بنا حيث شئت .

فاتخذت داراً على طريق بشر ، فجعلت تنتظر إليه كل غداة إذا

غدا إلى رسول الله ﷺ حتى برأت من مرضها وعادت إلى حسنها .

فقال لها زوجها : إني لأرجو أن يكون لك عند الله خير لما

رأيت في منامك : أن اسكني بطحاء تراب . . فأكثرني من الدعاء .

وكانت مع هند في الدار عجوز ، فأقشمت إليها أمرها ، وشكت

ما ابتليت به وأخبرتها أنها خائفة إن علم بشر بمكانها ترك الممر في

طريقه ويأخذ طريقاً آخر .

فقالت لها العجوز : لا تخافي فإني أعلم لك أمر الفتى كله ،

وإن شئت أقعدتك معه ولا يشعر بمكانك .

قالت : فليت ذاك قد كان .

فقعدت العجوز على باب الدار ، فلما أقبل بشر قالت له

العجوز : يا فتى هل لك أن تكتب لي كتاباً إلى ابن لي بالعراق .

قال بشر : نعم . . فقعد يكتب والعجوز تميل عليه وهند تسمع

كلامهما .

فلما فرغ قالت العجوز لبشر : يا فتى إني أظنك مسحوراً .

قال بشر : وما علمك ؟

قالت له : ما قلت لك حتى علمت ، فما الذي تهم ؟

قال لها : إني كنت أمر على جهنمة ، وإن قوماً منهم كانوا يرسلون إليّ ، ويدعونني إلى أنفسهم ، ولست آمنهم أن يكونوا فعلوا بي شيئاً .

قالت له العجوز : انصرف عني اليوم حتى أنظر في أمرك .
فلما انصرف دخلت العجوز على هند فقالت : هل سمعت ما قال .
قالت : نعم .

قالت : أبشري فإني أراه فتى حديثاً لا عهد له بالنساء . .
متى ما أتى زينتك هنيئاً وطيبتك وأدخلتك عليه ، فغلبت شهوته وهواه دينه ، فأنظري أي يوم يخرج زوجك إلى القرية فأخبريني .
فسألت هند زوجها ، فأخبرها أنه خارج يوم كذا وكذا ، وأخبرت هند العجوز ، وواعدت العجوز بشراً ميعاداً لتتظر له في جمعه .
فلما كان ذلك الوقت جاء بشر إلى العجوز .

قالت : إني شاكية لست أقدر أن أجعل النشرة ، ولكن بيتي أستر عليك ، فدخل معها البيت ، وجاءت هند خلفها فدخلت البيت على بشر ، فلما دخلت خرجت العجوز فغلقت الباب عليهما .

وقدم زوج هند من الخروج في ذلك اليوم إلى الضيعة ، فجاء حتى دخل داره فوجد مع امرأته رجلاً في البيت فطلق امرأته ، ولبيب الفتى فدخل به إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله سل هذا بأي حق دخل داري وجامع زوجتي ؟ ! .

فقال بشر : والله يا رسول الله ما كذبتك منذ صدقتك ،

ولا كفرت بالله منذ آمنت بك ، ولا زنيت منذ أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله .

وقص على النبي ﷺ قصته .

فبعث النبي ﷺ إلى العجوز وهند فأحضرهما فأقرا بين يدي رسول الله ﷺ .

فقال : الحمد لله الذي جعل في أمتي نظير يوسف الصديق عليه السلام .

ثم قال لهند : استغفري لذنبك .

وأدب العجوز وقال لها : أنت رأس الخطيئة .

فرجع بشر إلى منزله وهند إلى منزلها فهاج بشراً حب هند ، فسكت حتى إذا قضت عدتها بعث إليها يخطبها ، فقالت : لا والله لا يتزوجني وهو فضحني عند رسول الله ﷺ ، ثم مرض بشر من حبها .

وعاد إليها الرسول فقال : إنه مريض ، وإنك إن لم تفعلي ليموتن .

فقالت : أماته الله ، فطال ما أمرضني .

ومرض بشر فاشتد مرضه وبلغ أصحاب النبي ﷺ فأقبلوا إليه يعودونه ، فقال بعضهم : أنا أرجو أن يعذب الله هنداً ، فأنشأ يقول :
إلهي إني قد بليت من الهوى

وأصبحت ياذا العرش في أشغل الشغل

أكثر نفساً قد تولى بها الهوى
وقد مل إخواني وقد ملني أهلي
وقد أيقنت نفسي بأنني هالك
بهند وأني قد وهبت لها قتلي
وأني وإن كنت إليّ مسيئـة
يشق علي أن تعذب من أجلي
ثم شهق شهقة فمات - رحمه الله - ، وأقامت عليه أخته
ماتماً وقامت تدببه ، فجاءت هند وأخته تقول : وابشراه من لوعة
الهوى قد تولى .. وابشراه نو الحاجات لا تقضى .. وابشراه شبلاً
ما تملئ .. وابشراه صحيحاً قد تولى .. وابشراه لكتابه ما أقرأ ..
وابشراه بين أصحابه لا يرى .. وابشراه للضيف ما أقرى .. وابشراه
معجلاً إلى الغرباء ؟ !!! .

قال فلما سمعت هند صرخت صرخة ووقعت مغشياً عليها
فماتت رحمها الله ودفنوها مع بشر .

فلما مضى لها أيام جاءت العجوز إلى النبي ﷺ فقالت : يا
رسول الله أنا رأس الخطيئة كما قلت .. أنا الذي كنت سبب الأمر
(وقد خشيت أن لا يكون لها توبة يعني لخطيئتها) .

فقال النبي ﷺ : استغفري لذنبك وتوبي ، فإن الله تعالى يقبل
التوبة النصوح .

قلت : ذكر شيخنا حافظ عصره أبو الفضل قاضي القضاة شهاب
الدين أحمد بن علي بن حجر - رحمه الله - بشراً هذا في القسم

الأول من كتابه الإصابة في أسماء الصحابة ، وقال : روى القصة جعفر السراج مطولة في كتابه مصارع العشاق ، وجعفر المستغفري ، وتبعه أبو موسى في الصحابة . انتهى .

وقال الحافظ شمس الدين الذهبي في تجريده : هند الجهنية في حديث ساقط انتهى « (٢٥) » .

قال أبو عبد الرحمن : بل القصة مكنوبة موضوعة ، ومدارها على ابن مسروق الصوفي صاحب القصص .

ونعي الأخت الذي تقول فيه : وإشراه من لوعة الهوى قد تولى ... إلخ إنما هو جملة أسجاع ، وقد أورده محقق مصارع العشاق على أنه شعر ، فكتبه كتابة الشعر ، وعلق بقوله : هذه الأبيات لا يستقيم وزنها (٢٦) !! .

قال أبو عبد الرحمن : وجدت في كتاب الدكتور زراقط القصة بهذا السياق (٢٧) : « في المدينة المنورة كان يقيم فتى نضر الشباب

(٢٥) أسواق العشاق ص ١٦٥ / ١ - ١٦٦ / ب .

وانظر الإصابة ٢٦٠/١ وقال في الإصابة ٦٩/١٣ : « هند الجهنية ذكرها أبو موسى في الذيل : عن المستغفري : عن الحسن بن محمد : عن أبي عبد الله ابن محفوظ السمرقندي : عن أبي بكر الشافعي : عن أبي العباس ابن مسروق : عن عمر بن عبد الحكم ، وحفص الوراق ، والقاسم بن الحسن : عن ابن سعد : عن أبيه . قال : كان في بدء الإسلام رجل شاب يقال له بشر ، وكان من بني أسد ... إلخ ، فنذكر القصة مطولة .

(٢٦) انظر مصارع العشاق ٢٤٠/٢ .

(٢٧) قال أبو عبد الرحمن : عيب هذا الكتاب أنه لا يذكر مصانره .

جميل اسمه بشر العابد ، وكان بشر تقياً يكثر من التردد إلى مسجد النبي ﷺ ، وقد عرف بالصلاح وتقوى الله .

وفي المدينة نفسها كانت تقيم هند بنت فهد ، وهي امرأة من أجمل نساء العرب تزوجت رجلاً موسراً ومؤمناً يسمى قيس ، وعاشت حياة سعيدة تنعم بالرغد والهناء .

وذات يوم كانت هند جالسة في نافذة غرفتها تنظر إلى الطريق العام ، فرأت بشراً العابد ماراً بالقرب من دارها .

كانت إطلالة بشر ساحرة فعلقت نظراتها به . . ابتعد بشر ولكن طيفه يراودها فصارت تراقبه وتسعى إلى رؤيته ، ومع مرور الأيام تمكن حبه في صدرها ، واجتهدت في كتمان هذا الحب ، واستمرت تتاجي نفسها ، وتقول :

أهواك يا بشر دون الناس كلهم

وغيرك يهواني فيمنعه صدي

تمر ببابي لست تعرف ما الذي

أكابد من شوقي إليك ومن بعدي

فيا ليتني أرض وأنت إمامها

تدوس بنعليك الكرام على خدي

ويا ليتني نعلا أقيك من الحفا

ويا ليتني ثوباً أقيك من البرد

تبات خلي البال من ألم الجوى

وقلبي كواه الحب من شدة الوجد

وإنك إن قصرت عني ولم تزر

فلا بد بعد الصد أدفن في لحدي

ولما عيل صبرها ، استحضرت جاريتها ، وقالت لها : هل

تكتمين السر أيتها الجارية ؟ .

فأجابتها : نعم يا مولاتي . . وأقسم لك أني لا أبوح بسر

لأحد .

فكتبت هند في الحال كتاباً رقيق الحاشية ، وقالت لها : أريد

منك أن توصلني هذا الكتاب إلى بشر العابد وتأتيني منه بالجواب .

فقال لها الجارية : سمعاً وطاعة .

ثم أخذت الجارية الكتاب ، وسارت به إلى بشر ، ولما

وصلت إليه سلمت عليه ، فرد عليها السلام وسألها عن حاجتها .

فقال الجارية : إني جارية السيدة هند ، وقد أرسلتني إليك

بكتاب هذا هو ، وأعطته الكتاب .

فأخذه منها وقرأه وفهم معناه ، ثم التفت إليها ، وقال لها : يا

جارية : هل سيدتك عذراء أم ذات بعل ؟ .

فقال الجارية : إنها متزوجة وزوجها موجود في المدينة .

فارتبك بشر وتحير كيف يتدبر أمره ، وأخذته الرأفة بهذه

السيدة ، وهو لا يجهل أمر الحب ، وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله

العلي العظيم ، ثم كتب لها هذه الأبيات :

عليك بتقوى الله لا تقربي الزنا

ولا تطلبي الفحشا فذاك مفسد

استغفري مما هممت بفعله

نهى الله عنه والنبي محمد

أما تذكرني يوم الحساب وهوله

وما للفتى مال ولا شيء يفتدي (٢٨)

وإن تطلبي قربي فبعدي أجود

فخافي عقاب الله والتمسي الهدى (٢٩)

ثم إنه طوى الكتاب وأعطاه للجارية ، فأخذته وسارت به حتى

دخلت على سيدتها فأخذت هند منها الكتاب ، ولما قرأته وفهمت

أبياته ، عز عليها كثيراً وبكت بكاء مرأ ، ثم كتبت إليه هذه

الأبيات :

أما تخشى يا بشر الإله فإني

لفي حسرة من لوعتي وتسهدي

فإن زرتني يا بشر أحييت مهجتي

وربي غفور بالعطا باسط اليد

(٢٨) قال أبو عبد الرحمن : في هذا الشعر للمصنوع إقواء .

(٢٩) قافية هذا البيت تقتضي جعل الأبيات على قافية منصوبة لتسلم من عيوب

القافية ولا غضاضة في خلل النحو لأنه نظم أشباه العوام .

وطوت هذه الرقعة وأعطتها للجارية ، فأخذتها وسارت إلى
بشر فلما قرأها استعظم أمر هذه الصبية ، وصعب عليه ما هي فيه ،
وكتب لها هذه الأبيات :

أيا هند هذا لا يليق بمسلم

ومسلمة في عصمة الزوج فابعدي

أما تعلمي أن السفاح محرم

فحولي عن الفحشاء والعيب وارتي

بهذا نهى دين النبي محمد

فتوبي إلى مولاك يا هند ترشدي

ثم طوى الرسالة وأعطاهما للجارية ، فأخذتها منه وسارت إلى

سيدتها ، فلما قرأتها بكت بكاء شديداً ، ثم كتبت إليه رسالة طويلة

تشكو فيها غرامها وهيامها ، فلما وصلته ، كتبت إليها هذه الأبيات :

إن الذي منع الزيارة فاعلمي

خوف الفساد عليك أن لا تعتدي

وأخاف أن يهواك قلبي في الهوى

فأكون قد خالفت دين محمد

فالصبر خير وسيلة لتشفى

وإلى الإله فسارعي وتعبدي (٣٠)

ولما وصلها هذا الكتاب انكدت نفسها ، ومرضت وصارت في
حالة يرثى لها ، وصارت تعطل نفسها بقاء بشر يوماً بعد يوم ، إلى
أن كان يوم لم تستطع فيه صبراً ، فكتبت إليه تقول :
أيا بشر ما أقسى فؤادك في الهوى

ما هكذا الحب في مذهب الإسلام
إني بليت وقد تجافاني للصفاء

فأرحم خضوعي ثم زد بسلام
ضالقت قراطيس التراسل بيننا

جف للمداد وحقيقت الأقسام (٣١)

فلما وقف بشر على هذه الرسالة كتب تحتها يقول :

لا والذي رفع السماء بأمره

ودحى بساط الأرض باستحكام

وهو الذي بعث النبي محمداً

بشريعة الإيمان والإسلام

لم أعص ربي في هواك وإنتي

لمظهر من سائر الأقسام

ثم أعطى الكتاب للجارية ، فأخذته وسارت ، فنأولته إلى هند ،

فلما قرأته وفهمت ما فيه ، خرت مغشياً عليها ، فلما أفاقَت كتبت

(٣١) في هذا البيت إقواء .

هذه الأبيات تقول :

أدعوك رب كما صيرتني شجنًا

أن يبتليك بهول من لا يوافقك

وتشتكي محنة في الحب نازلة

وتطلب الماء ممن ليس يسقيك

بلاك ربي بأمراض مسلسلّة

وبامتناع طبيب لا يداويك

ولا سرورا ولا يوما ترى فرحا

وكل ضر من الرحمن يبايك (٣٢)

ثم طوت الكتاب ، ودمعها في انسكاب ، وأعطته للجارية

وقالت لها : اذهبي إليه وائتيني برد الجواب .

فسارت إليه ، وناولته الكتاب ، فلما قرأه اغتاض غيظاً شديداً ،

ثم كتب لها يقول :

يا خالق الخلق إني لست أعصيك

أبات أرعى نجوم الليل أدعوك

فارحم خضوع نليل بات مبتهلاً

ولا تخيب رجا من بات يدعوك

ونجني من هوى هند وما صنعت

يا من لكشف كروب الناس يدعوك

(٣٢) هذا نظم مكسر منزوع الحلاوة ، والنظام كتابته بمد الكاف هكذا : يليك .

ثم طوى الكتاب وأعطاه للجارية وقال لها : إن عدت برسالة غير هذه لأضربنك ولأعلمن سيدك ، ثم نهر الجارية وطردها .
فسارت إلى سيدتها وأعطتها الكتاب فقرأته ، وأخبرتها بما قال بشر من أول الكلام ، ثم إنها بكت بكاءً شديداً ما عليه من مزيد ، وزاد بها الهيام ، واشتدت بها الأسقام وامتنعت عن الطعام والشراب .

وخاف بشر على نفسه من الفضيحة فارتحل إلى بطاح مكة ليلاً ولم يخبر أحداً برحيله ، وذهبت إليه الجارية برسالة من سيدتها فلم تجد له أثراً ، ولا وقفت على خبر ، فعادت إلى سيدتها وأخبرتها برحيل بشر ، فحزنت عليه حزناً شديداً ، وتوعدت أياماً حتى صارت في أسوأ حال ، فكانت لا ترى إلا باكية العين حزينة النفس ، واعتراها مرض شديد .

وعاد زوجها من سفر كان فيه ، فلما رآها على هذه الحالة أخذته عليها الرأفة ، وقال لها : هل آتيك بطبيب يا هند ؟
فقالت : لا حاجة لي بالطبيب ، وإنما أرجوك أن ترحل بي من هذا المكان فنذهب إلى بطاح مكة فنعيش هناك حيث الهواء النقي ، والقضاء الفسيح .

وكان من القضاء اللازم والقدر المقدر أن الدار التي أخذها زوج هند وأقام فيها مع زوجته كانت قريبة من دار بشر ، فكانت تراه كلما مر ببابها ، وزادها ذلك عشقاً وكلفاً .

وبينما هند تعاني من سوء حالها ما تعاني دخلت عليها عجوز
يقال لها جنوب ، فلما رأتها في تلك الحالة سألتها عن علتها ،
فأخبرتها بقصتها من مبتدأها إلى منتهاها .

فقالت لها العجوز : طيبي نفساً وقرى عيناً فلسوف أجمعك به ،
فشكرتها هند ، وقامت لها بواجب الإكرام ، ولما همت العجوز
بالانصراف قالت لها هند :

ساعديني واكشفي عني الكرب

ثم نوحى عند نوحى يا جنوب

واندبى حظي ونوحى علناً

إن حالى بعده شئ غريب

ما رأت مثلى زليخا يوسف

لا ولا يعقوب بالحزن العجيب

وخرجت العجوز من بيت هند فجلست على قارعة الطريق

تنتظر عودة بشر ، فلما مر بها ، قالت له : يا ولدى إني أرى

على وجهك سحراً ، وما ظنى بك إلا مسحور .

فدعر بشر ، واقترب من العجوز وقال لها : لا علم لي بمثل

هذا الأمر يا أماء ، وإنما كانت في المدينة امرأة يقال لها هند ما

نظرت إليها قط كانت ترأسني بالأشعار ، فهربت منها وجئت إلى

بطاح مكة ، وما أنا كما ترين .

فقالت : اعلم يا بني أنها هي التي سحرتك ، وإني أرجوك أن

تمر علي في غد ، وأنا آخذك إلى داري وأعمل لك تحويطة تمنع
عنك السحر .

فقال لها بشر : جزاك الله خيراً يا أماء ، ثم انصرف إلى حاله .
أما العجوز فسارت من ساعتها إلى هند ، وقالت لها :
أبشري يا هند ففي صباح غد يكون بشر هنا عندك في بيتك .
فقالت لها هند ، وقد تهلل وجهها بشراً : هل ذلك حقيقة يا أماء ؟
فقالت العجوز : نعم ورب الكعبة .

فقالت هند : إني أحمد الله كثيراً لأن زوجي قد سافر ببضاعة
إلى الشام منذ أيام ولن يعود إلا بعد مدة طويلة .

ثم انصرفت العجوز إلى بيتها ، وفي الصباح سارت إلى بشر ،
وقالت له : قم يا ولدي ، فقد صنعت لك التحويطة ، وهيا لأبخرك .
فقام معها بشر وهو لا يعلم بما دبّرت من مكيدة ، وما زالت
سائرة وبشر خلفها إلى أن وصلت إلى دار هند ، وكانت هند تنظر
من نافذة بيتها المطلّة على الطريق ، فلما رأت بشراً مقبلاً نزلت
مهرولة ففتحت الباب ، ودخلت العجوز وبشر خلفها ، وهو يعتقد
أنه في منزل العجوز ، ولم يشعر إلا والباب قد أقفل ووقفت
أمامه فتاة حسناء كأنها البدر إذا بدر ، وقد ارتمت عليه وأخذته
إلى صدرها ، وهي تقول :

يا بشر واصلني وكن بي لطيفاً

إني رأيتك بالكمال ظريفاً

وانظر إلى جسمي وما قد حل بي

فتراه صار من الغرام نحيفاً

فلما رآها بشر راعه جمالها ، وعلم ببدايته أنها هند التي
هجر مقره من أجلها ، وأن هذه الدار دارها ، وأن في الأمر مكيدة
نبروها له ، فتباعد عنها متعطفاً ، وأنشد متلطفاً (٣٣) :

ليس المليح بكامل في حسنـه

حتى يكون عن الحرام عفيفاً

فإذا تجنب عن معاصي ربـه

فهناك يدعى عاشقاً وظريفـاً

وما كانت العجوز تُدخل بشراً إلى الدار حتى ركنت للفرار ،
وما كانت تتخطى عتبة الدار حتى كان زوج هند قد دخل منه
- وكان قد نسي حاجة فجاء ليأخذها - وما كانت تراه الجارية حتى
وقفت واجمة لا تبدي ولا تعيد .

فصعد السلم حتى دخل غرفة رقادها ، فأبصر هنداً وبشراً
يتعاتبان ، فأنكر ما رأى وأراد أن يسل سيفه ليقتلها معاً .

فقال بشر : أتت بي العجوز لهذه الدار ولا أعرف أن هنداً
متزوجة منك أو من سواك ، ولم يكن بيني وبينها شيء مما حرم
الله ، فاسأل عني الناس ، وسل عني شيخ البلد يعلمك بحالي .

(٣٣) قال أبو عبد الرحمن : ويزاد في الدعوى : متمثلاً ، لأن البيتين من الشعر
الثابت المأثور .

وإن هذه المرأة قد أرسلت خادمتها العجوز تدعوني إليها
فظننت أنها تريدني لأمر أو حاجة لا سبيل إليها إلا عن طريقي ،
ولم أكن أظنها تدعوني إلى مطارحة الهوى .

فلما حضرت إلى هنا وسمعت مقالها أخذت أونها ، فعند ذلك
خرج صبي صغير كان يعمل في الخدمة في الدار وقال لسيده : والله
يا سيدي إن كل ما يقوله هذا الرجل صحيح ، فإن هنداً والعجوز
قد تأمرتا على إحضاره إلى هنا ، وقد سمعت محادثتهما قبل أن
تذهب إليه العجوز ، ثم سمعت تأنيبه لها وهي تدعوه إلى نفسها
وهو يرغب عن ذلك أشد الرغبة ويذكرها بالثواب والعقاب
والموت والحساب .

فقال الرجل : الحمد لله الذي لا زال في أمة محمد نظيراً
ليوسف الصديق الذي راودته امرأة العزيز عن نفسه ، فرفض
وقال : إني أخاف الله رب العالمين .

أما أنت يا بشر فامض لا ريب عليك ، وأما أنت يا هند فأنت
طالق مني فاخرجي إلى أهلك ولا أراك بعد اليوم أبداً .

أما بشر ، فما كاد يصل إلى منزله حتى تمثل أمام عينيه جمال
هند ، فشعر بميل شديد إليها وانشغل قلبه بهواها ، فعلى نفسه
بالصبر حتى انقضت عدتها فأرسل إليها ليتزوج بها ، فأجابت :
لا أريده .

فعادت المرأة التي أرسلها إليها ، وأبلغته بما قالت ، فبكى بكاء

شديداً ، وكتب لها يقول :

أرى القلب بعد الصبر أضحي مضيعا

وأبقيت ما لي في هواك مضيعا

فلا تبخلي يا هند بالوصل وارحمي

أسير هوى بالحب صار مضيعا

فلما وصلتها هذه الأبيات كتبت تحتها تقول :

أطلب يا غدار وصلي بعد ما

أسأت ووصلي منا أضحي مضيعا

ولما رجوت الوصل منك قطعته

وأسقيتني كأسا من الحزن مترعا

وأخجلتني عند النبي محمد

فكادت عيوني أن تسيل وتطلعا (٣٤)

فلما وصلتته هذه الأبيات حزن حزناً شديداً واشتدت به

اللوعات ، فكتب لها هذه الأبيات :

سلام الله من بعد البعاد

على الشمس المنيرة في البلاد

سلام الله يا هند عليك

ورحمته إلى يوم التنادي

(٣٤) قال أبو عبد الرحمن : هذا البيت مما غفل عن حذفه محور الأسطورة .

وحق الله لا ينسأك قلبي
إلى يوم القيامة يا مرادي
فرقي وارحمي مضني كئيباً
فبشر صار ملقى في الوساد
فداوي سقمه بالقرب يوماً
فقلبي ذاب من ألم البعاد
وصلى الله ربي كل يوم
على من جاعنا بالخير هادي
محمد المشفع في البرايا
فلولا حبه ما سار حادي
ثم طوى هذه الرسالة وأعطاهما إلى المرأة التي عهد إليها
باستعطافها فلما قرأتها كتبت تقول :
سلام الله من شمس البلاد
على الصب الموسد في المهاد
فإن ترج الوصال وتشتهيه
فأنت من الوصال على بعاد
فلست بنائل مني وصلاً
ولا يذنو بياضك من سواد
ولا تبلغ مرادك من وصال
إلى يوم القيامة والتنادي

ثم أرسلت الكتاب له ، فلما قرأه غشي عليه ، فلما أفاق كتب هذه الأبيات :

كتبت إليك لما ضاق صدري
وأسكتني التجلد والعياء
كتاباً من فتى دنف عليـل
سقيم الجسم ليس له شفاء
فرقي يا مليحة وارحميني
فقد كثر التندم والبكاء
وعذالي بحبك عنفوني
وربي فيك يفعل ما يشاء
وصلى الله ربي كل وقت
على طه ختيم الأنبياء
ثم طوى الكتاب وأرسله إلى هند فلما فهمته ، كتبت تحته
تقول :

كتبت إليّ تشكو ما تلاقى
من الأسقام إذ نزل القضاء
فإنك لم تزل أبداً سقيماً
ووجدك لا يكون له انقضاء
فمن هند الصدود مع التجافي
ومن بشر التضرع والبكاء

فحش صبتاً ومت كمدأ حزيناً

فواحدة بواحدة جـزاء

فلما وصل هذا الكتاب إلى بشر امتنع عن الطعام والشراب
ولزم الوساد ، واشتدت به العلة ، وكانت له أخت تواسيه فقالت
له : هل أتيك بطبيب ؟ .

فقال لها : وما يصنع الطبيب ومرضي من الحبيب ، فلو أن
هنداً واقفة من الباب لربت إلي الحياة ؟ ! .

فلما سمعت أخته هذه الكلمات سارت إلى هند واستعطفتها
وأعلمتها أن بشراً على آخر رمق من الحياة من شدة شوقه إليها .
فشعرت هند وقتئذ بدافع شديد إلى لقائه فسارت معها ،
ولما دخلت عليه وجدت نفسه يصعد ، فوقفت عند رأسه ،
فلما رآها ابتسم لها ابتساماً فيه من غضاضة الموت ، وسلم
عليها وأنشد :

أنت وحياض الموت بيني وبينها

وجانت بوصل حين لا ينفع الوصل

ولما رأني في المنايا تعطفـت

علي وعندي من تعطفها شغل

فلما سمعت هند كلامه تحركت في قلبها عواطف الوجد
الكامنة ، فبكت وأنشدت :

أيا بشر حالك قد فنى جسدي
 وألهب النار في جسمي وفي كبدي (٣٥)
 وفاض دمعي على الخدين منسكباً
 وخاتني الدهر فيكم وانقضى رشدي
 ما كان قصدي بهذا الحال انظركم
 لا والذي خلق الإنسان من كمد
 فلما سمع بشر كلامها أوماً إليها وأنشد :
 أيا هند إن مرت عليك جنازتي
 فنوحى بحزن ثم في النوح رنمي
 وقولي إذا مرت عليك جنازتي
 وشيري بعينيك علي وسلمي
 وقولي رعاك الله يا ميت الهوى
 وأسكنك الفردوس إن كنت معلماً (٣٦)
 ثم شفق شهقة وفارقت روحه الدنيا ، فلما رآته هند ارتمت
 عليه وهي تبكي وتنتحب ، وأنشدت تقول :
 أيا عين نوحى على بشر بتغزير
 ألا ترويه من دمعي بتقدير

(٣٥) قال أبو عبد الرحمن : إسقاط همزة التحذية من الفعل « أفنى » تعبير عامي ،

وهذا شأن محور الأسطورة بيقين .

(٣٦) في هذا البيت من هذا الشعر المصنوع إقواء .

لفقد بشر بكيت اليوم من كمد

لا خير في عيشة تأتي بتكدير

ألقاك ربك في الجنات في غرف

تلقى النعيم بها بالخير موفور

ثم ألقى بنفسها عليه ، وحركوها فإذا هي ميتة ، فغسلوهما

ودفنوهما في قبر واحد ، وبعد أيام طلعت على قبرهما شجرة باسقة

سموها شجرة العاشق والمعشوق .

وأنشد الشاعر العربي حينما وقف على أمرهما :

خليلين محبوبين خانهما الدهر

فما اجتمعا إلا وقد نفذ العمر

مساكين أهل العشق ما نال بعضهم

وصال ولكن بعد ما انكشف المستر» (٣٧)

ومن أخبار من طاوله الضنى حولاً كاملاً ثم مات بشهقة ما

ذكره السراج . قال : « أخبرنا القاضي أبو الحسن أحمد بن علي بن

الحسين التوزي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن

محمد بن علي الجراذي الكاتب قال : أخبرنا أبو بكر ابن دريد قال :

أخبرنا عبد الرحمن : عن عمه : عن يونس قال : انصرف من الحج

فمررت بماوية وكان لي فيها صديق من بني عامر بن صعصعة ،
فصرت إليه مسلماً ، فأنزلني ، فبينما أنا عنده ونحن قاعدان بفنائه إذا
نساء مستبشرات ، وهن يقلن : تكلم تكلم ! .
فقلت : ما هذا ؟ .

فقالوا : فتى منا كان يعشق ابنة عم له ، فزوجت ، وحملت
إلى ناحية الحجاز ، فإنه لعلى فراشه منذ حول ما تكلم ، ولا أكل ،
إلا أن يؤتى بما يأكله ويشربه .
فقلت : أحب أن أراه .

فقام ، وقمت معه فمشينا غير بعيد ، وإذا بفتى مضطجع بفناء
بيت من تلك البيوت ، لم يبق منه إلا خيال ، فأكب الشيخ عليه
يسأله ، وأمه واقفة ، فقالت : يا مالك : هذا عمك أبو فلان يعودك ،
ففتح عينيه ، وأنشأ يقول :

ليبكني اليوم أهل الود والشفق

لم يبق من مهجتي إلا شفا رمو

اليوم آخر عهدي بالحياة فقد

أطلقت من ربة الأحزان والقلق

ثم تنفس الصعداء فإذا هو ميت ، فقام الشيخ ، وقمت ،

فانصرفنا إلى خبائه فإذا جارية بضعة تبكي وتتفجع .

فقال الشيخ : ما يبكيك ؟

فأنشأت تقول :

ألا أبكي لصب شف مهجته

طول السقام وأضنى جسمه الكمد

يأليت من خلف القلب الهيوم به

عندي فأشكو إليه بعض ما أجد

أنشر تربك أسرى لي النسيم به

أم أنت حيث يواط السحر والكبد ؟

ثم انثنت على كبدها ، وشهقت ، فإذا هي ميتة .

قال يونس : فقامت من عند الشيخ وأنا وقيذ .

أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق قال :

حدثنا الأمير أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا

ابن دريد فذكر القصة « (٣٨) » .

قال أبو عبدالرحمن : لقد مر من قصص العشاق أخبار من مات

ثم مات محبوبه أسفاً عليه فدفنا في قبر واحد أو في قبرين متجاورين

مثل القصة التي رواها الأخفش عن موت شاب على ماء لطيف

وموت محبوبته بشهقه ، وأن شيخاً دفنهما في قبر واحد وقال : لم

أجمع بينكما حين لأجمعن بينكما ميتين .

وفي هذا الباب ما رواه أبو محمد جعفر بن أحمد السراج القارئ

عن دفنا في ثوبين !! . قال : « ذكر أبو عمر محمد بن العباس

الخزاز (ونقلته من خطه) : أن أبا بكر محمد بن خلف حدثهم :
حدثني أبو أحمد عبدالله بن محمد الطالقاني : حدثني محمد بن
الحارث الرازي : أخبرني أحمد بن عمر الزهري : حدثني عمي عن
أبيه قال : خرجت في نشدان ضالة لي ، فأواني المبيت إلى خيمة
أعرابي ، فقلت : هل من قرى ؟ .

فقال لي : انزل ! .

فنزلت ، فثنى لي وسادة ، وأقبل علي يحدثني ، ثم أتاني
بقرى ، فأكلت .

فبينما أنا بين النائم واليقظان ، إذا بفتاة قد أقبلت لم أر مثلاً
جمالاً وحسناً ، فجلست ، وجعلت تحدث الأعرابي ويحدثها ، ليس
غير ذلك ، حتى طلع الفجر ، ثم انصرفت ، فقلت : والله لا أبرح
موضعي هذا ، حتى أعرف خبر الجارية والأعرابي .

قال : فمضيت في طلب ضالتي يوماً ، ثم لقيته عند الليل ،
فأتى بقرى ، فبينما أنا بين النائم واليقظان ، وقد أبطلت الجارية عن
وقتها ، قلق الأعرابي ، فكان يذهب ويجيء وهو يقول :

ما بال مية لا تأتي لعادتها

أعاجها طرب أم صدها شغل

لكن قلبي عنكم ليس يشغله

حتى الممات وما لي غيركم أمل

لو تعلمين الذي بي من فراقكم
لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسي فداؤك قد أحلت بي سقماً
تكاد من حره الأعضاء تتفصل
لو أن غادية منه على جبل
لماد وانهد من أركانه الجبل
ثم أتاني فأنبهني ، ثم قال لي : إن خلتي التي رأيت بالأمس قد
أبطأت علي وبينني وبينها غيضة ، ولست آمن السبع عليها ، فانظر
ما ههنا حتى أعلم علمها ، ثم مضى فأبطأ قليلاً ، ثم جاء بها يحملها ،
وإذا السبع قد أصابها ، فوضعها بين يدي ، ثم أخذ سيفه ، ومضى
فلم أشعر إلا وقد جاء بالأسد يجره مقتولاً ، ثم أنشأ يقول :
ألا أيها الليث المضر بنفسه
هبلت لقد جرت يداك لك الشرا
أخلفتني فرداً وحيداً مدلهماً
وصيرت آفاق البلاد بها قبراً
أصبح دمرأ خائني بفراقها ؟
معاذ إلهي أن أكون بها برا
ثم أقبل علي فقال : هذه ابنة عمي كانت من أحب الناس إلي ،
فمنعني أبوها أن أتزوجها ، فزوجها رجلاً من أهل هذه الأبيات ،
فخرجت من مالي كله ورضيت بالمقام ههنا على ما ترى ، فكانت

إذا وجدت خلوة أو غفلة من زوجها أنتتي ، فحدثتي وحدثتها ، كما رأيت ليس شيء غيره ، وقد آليت على نفسي أن لا أعيش بعدها ، فأسألك بالحرمة التي جرت بيني وبينك إذا أنا مت فلفني وإياها في هذا الثوب ، وانقنا في مكاننا هذا ، واكتب على قبرنا هذا الشعر :
كنا على ظهرها والدمر في مهل

والعيش يجمعنا والدار والوطن

ففرق الدهر بالتصريف إلفتنا

فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ثم اتكأ على سيفه ، فخرج من ظهره فسقط ميتاً ، فلفتهما في الثوب وحفرت لهما ، فدفنتهما في قبر واحد وكتبت عليه كما أمرني « (٣٩) » .

وقال ابن الجوزي : « أخبرتنا شهدة قالت : أنبأنا ابن السراج قال : وجدت بخط ابن حيويه يقول : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثني عبدالواحد بن محمد قال : حدثني محمد بن الهيثم بن عدي : عن الهيثم قال : حدثنا محمد بن مالك قال : حدثني عثمان بن عمر التميمي قال : هوى فتى من بني أسد فتاة من فخذ ، وكان أيسر منها وأغنى ، وكان أبوه يمنع من أن يتزوج بها ويريد له أشرف منها وأيسر ، ويعرض عليه غيرها ، فيأبى إلا هي . »

(٣٩) مصارع العشاق ١٠٤/٢ - ١٠٦ ، وانظر تزئين الأسواق ٤٧٧/٣ .

وكان أبوها قد حبسها عليه رجاء أن يتزوجها ، فلما طال على
أبيها وأيس منه زوجها من غيره ، فلقبها الفتى يوماً فقال لها :

لعمرى يا سعدى لطال تألمي

ومعصيتي شيخى فيك كاليهما

وتركى ذا الحيين لم أبغ منهما

سواك ولم يربع هواي عليهما

فقالت الجارية :

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتى

كفانى ما بي من بلاء ومن جهد

ومن عبرات تعتريني وزفرة

تكاد لها نفسى تسل من الوجد

غلبت على نفسى جهاداً ولم أطق

خلفاً على أهلى بهزل ولا جد

ولن يمنعوني أن أموت برغمهم

غدا جوف هذا الغار فى جدث وحدي

فلا تنس أن تلقى هناك فتلتمس

مكاني فتسلو ما تحملت من جهد

فلما كان من غد أتاهما حيث زعمت له ، فوجدها ميتة ،

فأدخلها شعباً ثم ألزمها فمات معها .

قال : فالتمسوا حولاً فلم يقدر عليهما ولم يعلم لهما خبر ، فإذا

هاتف يهتف على الجبل الذي هما فيه ، وكان الجبل يدعى أعرافا :
إن الكريمين نوي التصافي

الذاهبين بالوفاء الصافي
والله ما لقيت في تطوافي
أبعد من غدر ومن إخلاف
من ميتين في ذرا أعراف

قال فصعد القوم فوجدوهما ميتين ، فواروهما « (٤٠) » .

وقال ابن الجوزي أيضاً : « بلغني عن الهيثم بن عدي أنه
حدث عن رجل من بني نهد قال : كان رجل منا يقال له مرة زوج
ابنة عم له جميلة يقال لها ليلي ، وكان مستهماً بها ، فضرب
عليه البعث إلى خراسان ، فكره فراقها ، واشتد عليه ، ولم يجد
من ذلك بداً ، فخلفها عند رجل من قومه براذان .

فغزا ، ثم تعجل ، فلما صار براذان جلس قريباً من القصر ،
وكره أن يدخل نهائراً ، فخرجت من القصر جارية ، فقال لها :
ما فعلت المرأة التي خلفتها عندكم ؟ » .

قالت : أما ترى ذلك القبر الجديد ، فإنه قبرها ، فلم يصدق
حتى خرجت أخرى فسألها ، فقالت مثل ذلك ، فأتى القبر فجعل
يبكي ويتمرغ عليه ويقول :

فيا قبر ليلي لو شهدناك أعولت

عليك نساء من فصيح ومن عجم

ويا قبر ليلى ما تضمنت مثلها
 شبيهاً لليلي في عفاف وفي كرم
 ويا قبر ليلى أكرم من محلها
 تكن لك ما عشنا علينا بها نعم
 ويا قبر ليلى ان ليلى غريبة
 براذان لم يشهدك خال ولا ابن عم
 ولم يزل يبكي حتى مات فدفن إلى جانبها « (٤١) »
 وقال أبو علي القالي : « وأخبرنا عبدالله بن خلف قال: أخبرنا
 عبدالله بن نصر قال : أخبرني عبدالله بن سويد عن أبيه قال : سمعت
 علي بن عاصم يقول: قال لي رجل من أهل الكوفة من بعض إخواني:
 هل لك في عاشقٍ تراه ؟ »

فمضيتُ معه ، فرأيتُ فتى كأنما نُزِعَ الروح من جسده ، وهو
 مؤتزر بإزارٍ مرتدٍ بآخر ، وهو مفكر ، وفي ساعده وردة ، فذكر له
 شعراً من الشعر فتهيج ، وقال :

جعلت من وردتها	تميمة في عضدي
أشمتها من حبها	إذا علاني جهدي
فمن رأى مثلي فتى	للحزن أضحي يرتدي
أسقمه الحب فقد	صار قليل الأود
وصار ساه دهره	مقارناً للكمـد
ألا فمن يرحمني	يرق لي من كمـدي

(٤١) زم الهوى ص ٤٠٧ .

ثم أطرق ، فقلت : ما شأنه ؟ . فقالوا : عشق جارية لبعض أهله ، فأعطى فيها كل ما يملك وهو سبعمائة دينار ، فأبوا أن يبيعوها منه ، فنزل به ما ترى وفقد عقله .

قال : فخرجنا فلبثنا ما شاء الله ، ثم مات ، فحضرت جنازته ، فلما سوي عليه التراب فإذا أنا بجارية تسألني عن القبر ، فدللتها عليه ، فما زالت تبكي ، وتأخذ التراب وتجعله في شعرها ، فبينما هي كذلك إذا قوم يسعون ، فأقبلوا عليها ضرباً ، فقالت : شأنكم ، والله لا تنتفعون بي بعده أبداً ! « (٤٢) » .

قال أبو عبد الرحمن : هذه القصص الغرامية ماثور أجيال ، ولا آمن استحياءها في بعض الراويات الأدبية التي استجذبت ضمن الأجناس الأدبية . وهذه القصص لا سيما القصة التي رواها الأخفش تطابق قصة رواها ممدوح الومير عن العشق في جيل العوام .

فربما كانت مما يتكرر مصادفة ، وربما كانت من وحي الماثور . وكلما كثرت عناصر التخيل والبعد عن المعتاد في حبك القصة كان ذلك أدل على الانتحال كما في قصة قاتل السبع لدى السراج . قال أبو عبد الرحمن : والعرب في جيل الفصحاء وفي جيل العوام يقضون أوقاتهم إما على ظهور مطاياهم يخترقون الآفاق ، وإما في منتدياتهم يتسامرون ، وهم أهل موهبة وشعر ومقالة فنية . وليس لهم علم مدون تسبح فيه مواهبهم ، وليست لهم وظائف إدارية تختصر مواهبهم .

والقصص الواقعية لا تكفي لعمارة أنديتهم ، ولا تفي بتضييع الوقت الذي ينفقونه في قطع الفلوات ، ولا بد لهم من عناصر خيالية تثير الدهشة ، وتخلص من رتابة الواقع ، فكان العربي لذلك حكواتياً ينسج الأسطورة من خياله ، أو من مأثوره ، أو منهما معاً .

وقصة الومير حدثني بها الأستاذ إبراهيم اليوسف قال : «حدث ممدوح الومير - رحمه الله تعالى - الشيخ منديل بن فهد وأنا أسمع : عن والده قال : نزل عندي ضيف في وقت غير بارد ، فكان في الليل يجلس مرمى العصا عن بيت الشعر ، فيتكى على شداد مطيته فإذا كان الليل ليلين (كناية عن انتصافه بشدة حلكه) ذهب يسيراً فإذا كان آخر الليل عاد ونام . ولم يكن عادة العرب سؤال الضيف قبل ثلاث ، أما أهل الشمال فلا يكادون يسألون الضيف عن مذهبهم .

ولما تكررت الحال خشيت أن يكون الضيف مصاباً بداء الوسنة ، حيث يقوم الوسنان ويمير بغير شعور . وخشيت أن يكون في الأمر ماء وثارات بحيث يكون طالباً أو مطلوباً .

فتبعته في إحدى الليالي خلسة فوجدته يذرع النزل طولاً حتى إذا كان بآخره خرجت إليه فتاة فتقابلا وكان بينهما بضعة أمتار . فسمعته يقول : يا بنت الأجواد ذهب عمري وضاع شبلي وأنا في رجاء أن أنال منك حبة (قبلة) تنفي قلبي الذي أسرى من حبك [أي تولدت فيه دودة السرو لشدة غلته] .

فقلت : خط خطين وامح الثالث أن تتل مني شيئاً بغير الزواج .
فقال : وأنا والله كذلك لا أرضى لك بالدنس ، ولكنني عجزت
عن الوصول إليك .

قلت : المرأة لا تزوج نفسها ، وإنما يزوجها رجالها .
فقال : لقد كلمت والدك مراراً ، ووسطت له كبار القوم ،
ومنيته كل ما يريد من مهر ، وهو مصر على عدم تزويجي ، لأن
حب بعضنا لبعض قد اشتهر .

وأنا والله قد يئست من أيبك ، وإنما آتي إلى هاهنا لأسمع
حديثك ، ولا والله أرضى أدنى شيء يجرح شرفك .
وإنما جئت للوداع والاستشفاء أريد أن أضمك على صدري
مرة واحدة ، وأقبلك قبلة طويلة عريضة لعلها تعود إلي روحي
فأعود إلى أهلي سالماً ولن تريني بعد ذلك .

قلت : والله إن الذي في قلبي أشد من الذي تذكره عن نفسك ،
ولكنك لن تطمع مني بأكثر مما يجري الآن إلا بزواج شريف .
فلف الضيف عباءته على رأسه ورقبته وبعض وجهه ،
وعاد من طريقه يخطب خطب عشواء ونام على الشداد ، وعدت من
طريق آخر .

وأتوا إيقاظه في الصباح فوجدوه ميتاً ، فلما علمت بذلك
أرسلت مبعوثاً لأهل البيت القصي ليعاونونا على الحفر له ودفنه ،
وليحضروا العدة .

فلما أعلمهم الناعي ، ووصف لهم الميت كان وراء الخدر فتاة كأنها من الحور تمشط شعرها ، وكانت سمعت من حبيبها البارحة أن القبلة تعيد روحه فنسفت شعرها على وجهها ، وكان يصل إلى قدميها ، وصارت ربما أبصرت طريقها من خلاله ، وجعلت تمشي خبط عشواء بعض الوقت مشية حبيبها البارحة .

فانجنت على الميت تقبله وتضمه وتشمه وترومه ، ثم انطرحت إزاءه وقد لفظت أنفاسها .

قال والد ممدوح : فسدحناهما في قبر واحد ، ووارينا عليهما التراب ، وقلنا : هذا ما نستطيعه من الجمع بينكما في الحياة الدنيا والله المستعان .

قال أبو عبد الرحمن : ومن قصص العشاق لدى العوام عن شهق ومات كما ورد بذلك الخبر في الشعر العامي قصة الفتیان الجلاعيد الأربعة .
ذكر قصتهم الشيخ منديل وإبراهيم اليوسف والرشيدي وابن خميس . قال ابن خميس - والأصل منديل - : « أربعة إخوة أبناء الجلعودي من الجلاعيد من قبيلة عنزة ماتوا بالعشق (٤٣) » .

(٤٣) حورت هذه القصة ، وجعلت رواية عن ابن شعلان الأول ، وروي فيها هذا الشعر :

لا تهني الظن للنسوان من طواع البيض يهفنه

عينت ضيف لابن شعلان موته جزع من سببهنه

عشيقته حافها الديان أتلى حياته هاك الوننه

انظر القصص الشعبي في قطر ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

فإذا كنا نقرأ عن قبيلة عذرة ، وقبيلة عامر ، وهلال ، ونتابع ما كان لقيس مع ليلاه ، وكثير مع عزته ، وجميل مع بثينته ، وغيلان مع مي : فإننا لم نقرأ خرافات ، ولم نسمع انتحالات ، وإنما هي الحقيقة (٤٤) توارثها العرب ، وبقيت فيهم شفافية إحساس ، ولماحية خاطر ، ورقة قلوب ، وصفاء أذهان ، طبع العرب في جزيرتهم عليها ، وعاشوها قروناً وأحقاباً مع عفة وأنفة ، ومجافاة للمعار ، وبعداً عن الرذيلة .

يعيش أبناء الجلعودي بهذه البيئة الغزلة الواحدة ، وتتفتح أعينهم على جمال بدوي صارخ لا تتحاشى فيه الفتاة أن تبرز زينتها ، وتماري بجمالها ، وتدل بجانبيتها ، وتقود القلوب إليها حباً في فتنة الشباب ، ورغبة في غزلهم ، وإزالة وجداناتهم بعيدة عن الرذيلة ، متمسكة بمبادئ الحرائر .

فتتابع الإخوة الأربعة بما لديهم من استعداد طبيعي ، وتكوين وجداني على هذه الوتيرة ، وكلما عصف الحب بأحدهم ، وأرداه لم يلبث الثاني أن يحزن حزنه ، ويترسم خطاه ، وكانت أهم المحرورة الوالدة تستقبل مصائبهم الواحدة تلو الأخرى ، بعبرات حرى ، وقلب يتقطع حسرة وألماً .

وضنت برابعهم ، وبخلت به على الموت فأرادت أن تنأى به إلى

(٤٤) قال أبو عبد الرحمن : التحقيق العلمي يقول خلاف ما يقوله التعمُّلُ الإنشائي .

بيئة أخرى ، ووسط لا توجد فيه هذه الظاهرة ، ففرت به إلى حيث
شامت ، وعهدت به إلى رجل في غنمه بعيداً عن هذه المؤثرات •
وفي يوم من الأيام جاد الغيث ربهم ، وانداحت الغدران
والخباري حولهم ، واندفعت المواشي بمن معها من غزلان البشر
والفتنة التي كانت أم الغلام تحذرها ، فكانت النظرات وكان السلام
وكان الكلام ، وكان الغزل ، ثم كان الوجد والهيام ، فوقع
المحذور ، وحلت الكارثة ، فشفع حنينه وأئنه بهذه الأبيات وكان
اسمه راشداً :

يقول راشد من غرايب لحوني
مثايل قلبي عطاهن لسانني
أوجس بنوني مثل شوك الفنون
بين المرامش جفن نوني كواني
يا طي قلبي طي بالي الشنون
بال الشنون اللي طواها طواني
ويا لوع قلبي لوع لدن الغصون
لا جاه هيف في ليال الصخان
ويا حن قلبي حن خلج بكون
ويا جر قلبي جر غرب السواني
على الذي في حبهم ولعوني
أبا السلامة والله اللي رماني

(٤٥) في رولية ابن يوسف : بلاني •

تحيلوا بي بالهوى وطرحوني
 منهم حبيب بالمودة لحائي
 لحائي وارث في ضميري طعون
 مكن صوابي والله المستعان
 من مازح الخفريات نجل العيون
 غر الجباه مفلجات الثماني
 ومن لا يعنه ناقضات القرون
 يبيع روحه بالعنا والهوان
 لامت في راس الطويل افنوني
 حطوا براس مصدعة لي مكان
 متبين لاهل النضا يذكروني
 قالوا لقينا بالمرفع مباني
 لازم الى جوكم هلي ينشدون
 قولوا حشا ما واجهه مودمائي
 أخاف اننا بنواهم يزعجونني
 في راس ما باح الخفا والبيان
 يا ابن نقا لا تقبل العذر دوني
 حيثك صبي وارم بي من رمائي
 بمصقل حده يقص المتون
 شنع صوابه شذرتة ما تداني

ربحك هل العليا حماة الظعون

فوق النظا ومعالجات العنان

وابا احلف لك يوم قفت ظعوني

غير العنا من شوفهم ما وزاني « (٤٦)

قال أبو عبد الرحمن : لعل البيتين قبل الأخير صحيحان عن

قصة واقعية تتعلق بأخذ الثأر . . . وأما القصة فخرافة بيقين .

وهنا رواية أخرى ذات تفنن أوردها حميد فحيما

الرشيدي ، وموجزها أن لرجل ثلاثة أولاد هلكوا بسبب الغرام ،

فرزق بمخلد الولد الرابع ، فحاول والده عزله بالبر عن مخالطة

الناس خاصة النساء خوفاً عليه من الغرام ووصى عليه شخصاً

اسمه أبو علي .

وكان مخلد على مستوى من الجمال ، فنزل حولهم عرب

وتسامع البنات بجماله وذهبن إلى محله ، فلم يجدن غير عمته لأنه

كان مع الوصي عليه في الصيد ، فاتفقن معها على أن يرينه ،

فاتفقت معه عمته سرّاً بعد عودته من المقناص بأن يستريح ليرى ! .

فتعلل عن الذهاب مع عمه للصيد لمرضه فتركه عمه ، فلما

(٤٦) هي بكراسات منديل الخطية ، وناولني إياها إبراهيم اليوسف بخطه ، ونشرت

بكتاب من أحاديث السمر ص ١٦٠ - ١٦٢ ، ونشرت بجريدة الرياض في

عدد ١٤٠٩/٤/١٢ هـ ، وانظر من أدابنا الشعبية ١٦٥/٦ - ١٦٧ ، وأوردها في

النر الممتاز ٩٦/٤ - ٩٧ على أنها للوليحي .

راى البنات مريض ، وظل على هذه الحال حتى رحل العرب اهل
البنات وهو يرقب رحيلهن من قمة الجبل فقال :

يقول مخلص وان بدا بالركون

مثايل مني عدلهم لسائي (٤٧)

يا ضلع لا جنك جديد المزون

عسى عليك سنين عشر وثمانى

يا ضلع وين مدعجات العيون

خضب الوسط مردعات الوجان

يا لف قلبي من لفات لفوني

لفاف للارواح معهم لفاني

أونس بعيني مثل شوك الفنون

بين المرامش نون عيني كلاني

إن مت في راس الطويل افنوني

بملوح يا ناس سوا مكاني

أبيك الى جوكم هلي ينشدوني

قولوا غدا ما شافه المودماني

الا ليا عيوا هلي يقتعون

قولوا هفا ما بين حص ولىان

ويا بو علي لا تقبل العذر دوني

أنته وصيي وانبح اللي رماني ا

وتزيد رواية الرشيدي بأنه ألقى بنفسه من قمة الجبل فحاول

أبو علي أن يمسكه فلم يبق بيده منه سوى جداليه ، فلحق أبو علي

بالعرب الظاعنين وجدائل مخلد معلقة على جملة بغزال الشداد ،

وكل بنت من البنات الأربع تسأل عن مصير صاحب الجدائل ، وكل

واحدة تعلم أنه مات فتموت هي منذ سماع الخبر !! .

قال أبو عبد الرحمن : وسيأتي - إن شاء الله - نحو من ذلك في

قصيدة الوليعي .

قال أبو عبد الرحمن : أبطال القصة مجهولون ، والقصة نفسها

خرافية غير مشهورة لا تليق بواقع الجبلية البشرية ، والقصيدة ذاتها

مما ضرب تحت المقفزية ، وهي ركام من رصف القوافي والأسلوب

العصري والمفردة غير المفهومة مثل :

أوجس بنوني مثل شوك الفنون

بين المرامش جفن نوني كواني

على الذي في حبههم ولعوني

أبا السلامة والله اللي رماني

لا مت في راس الطويل افنوني

خطوا براس مصودعة لي مكان

وبعض الأشطر مستعارة من قصائد مشهورة .

وذكر الأستاذ إبراهيم اليوسف من قتلى الهوى عالياً من آل
جلعود من عنزة ، وذكر قوله يخاطب أخاه عليا :

يا علي حط القبر بين البلادين

في شرقي البطحا جنوب عن القاع

ورز النصايب صوب مريوشة العين

هبايب الصلغات تقرر به اقراع

حط النصايب يا علي وقم باعين

بهن المهل يا خوك لو زدت بذراع

والى دفتوني ورحتوا مقفين

ادعوا لي الغفران والناس هجاء

.....

يا علي حطوا لي مع القبر مطلاع

وجدي عليها وجد ساني قليبين

متجرح من كثر حفره من القاع

جاء البرد تومي سوات المحاقين

خذ البرد بالزرع يومين ما ماع

ساقوا سوانيهم وراحوا مقفين

لا حوشوا مد ولا حوشوا صاع

أو وجد راعي هجمة وسرها زين
ترعا طرأت القفر يلوي مرياع
شافه بوسط القفر قوم منيخين
متغترين عن شيوخ وطــــلاع
عزل كمين القوم جوها مغيرين
ولحقوا على صفر من النزل فزاع
علم رويعيها وصفق بكفــــين
استلحقوها ما بقي حاشي ضاع
ردوا عليه وردة القوم شينين
تقاطعوه بكل شاقا ولماع

قال أبو عبد الرحمن : لا نعلم من هذه القصيدة غير التوجد ،
ودعوى أنه على حافة القبر ، وهذا يأتي في شعر المتغزلين وإن
لم يكونوا عشاقاً (٤٩) .

ومن قصص الموت المجاني قصة الوليعي سمعتها بصوت
أبي محمد منديل الفهيد من برنامج من البلدية بشرط ناولني إياه
الأستاذ محمد بن علي الشرهان ، ومنهم من خلط بينها وبين
قصة الجلاعيد التي مرت .

(٤٩) وانظر أيضاً الدر الممتاز ٩٥/٤ ، ومن أدبنا الشعبية ١٦٤/٦ - ١٦٥ .

وموجز القصة أن الوليعي كان راعياً للإبل عند عرب من
عزرة فعلق قلبه براعية معه .

و ادعى مرة أن ثعباناً لسعه فصارت تقرأ عليه وتبكي ، فعلم
من بكائها المتوجع أنها تحبه فعلق بها أكثر .

وبعد أن انتهت مدة عمله راعياً عاد إلى أهله ، ولكن الحب
أدنفه وعجز الطب عن الاحتيال له ، وكان أخوه يبحث عن كل
متطبيب يلتئم شفاء أخيه ، فأشارت عليه امرأة بأن يأخذ أخاه
إلى قمة جبل رضوى لينبع ليهب له الهواء ويخطر على لسانه
ما في باله .

وأوصته بأن يصد عنه حتى لا يراه فيكتم ما بخاطره .
كما أوصته أيضاً أن لا يبعد عنه ليتداركه من إغماء يكون
نتيجته السقوط من شاهق .

وعندما ذهب الأخ تعلل بأنه يبحث عن صيد مع أنه مزجر
الكلب عنه .

ولما أحس الوليعي بأنه وحيد رفع عقيرته بهذه القصيدة :
يقول الوليعي والوليعي مسلّم

من دامت أيام الصبي له دام

لو ان عجلات الصبي يجبرنه

كما يجبر الجابر كسير عظام

ليال الهوى مثل الربيع إلى زها
 وش حيلتي مال الربيع مقام)
 قار قراني يوم قرصة بخنصري
 قار قراني ما عليه لثام
 قار قراني ما قرا الدم كله
 ليتة قراني والعيون نيام
 رقيت في رضوى ورضوى منيفة
 واخيل بعيني في جنوب وشام
 واخيل بعيني طلحة ناعمية
 سلام يا دار الحبيب سلام
 أنا جيتكم من راس رضوى عشية
 كما شن غرب باد منه ودام
 وأخذته رعشة العشق وغيوبته ، وتهيا للسقوط من رأس قنة ،
 فبادر أخوه إلى جر عباة ، فبقيت بيده قبضته من العباءة ،
 وسقطت العباءة ومن فيها إلى السفح ، فكان في ذلك حتفه .
 وتحركت روح الشر في نفس الأخ عندما هم بعمل سبب
 يقتل قاتلة أخيه ، فقطع قرون أخيه وكانت طويلة ، وعلقها على
 مطيته وذهب يسأل عن القوم الذين كان أخوه عندهم راعياً ، ويتلمس

(٥٠) لأجل الوزن يشبعون عين الربيع ، فيلحقون بها ياء .

أشباه الراعية بتفرُّسٍ ، وبعد تَقَلُّبٍ في الأحياء انتهى إلى ضالته ،
ووقف البعير عند الفتاة من الجهة التي علقت عليها القرون .

فقالت الفتاة - وقد ترجح لها أن قص القرون بهذا الشكل
لا يكون عن حي - : أسألك بمنزري نسمك ، ومثبت قدمك : لمن
هذه القرون ؟ ! .

وكانت تعرفها !! .

فقال : هذه قرون أخ لي قتلته فتاة من جراء العشق المدنف
ولم نرث عنه غير قرونيه !! .

فكان أن شهقت وماتت !! .

فأصيب الأخ بكثرة الأفكار ما بين اعتبار بحال المولهيين ، وما
بين عذاب ضمير فقال :

والله فلا الوم الوليعي ولو طاح

من راس رضوى والعوض به عباته

مير اذهنوني عند هبات الريح

لا انب عمري ثم اسوي سواته

وروى لي رديني بن عبدالكريم القصة بأسلوب مقارب ،

ونكر أن الوليعي شاعر ، ولم يحفظ له غير هذا البيت .

من قدم ما بالبيت مثل الحوية

ما غير اهرشهم تقل وصف جني

قال أبو عبدالرحمن : الوليعي غير معروف ، والقصة خيالية ،

والشعر من وضع حكواتي نجدي ماهر ، واختار رضوى لأنه يعلم
أثر المرتفعات في تحريك الهوى حسب معتقد الشعراء .

قال مشعان الهتمي :

مشعان عدى بالطويل المدملج

يلعب بقاف ما بداه الهواوي

يلعب بقاف قايم ما تعـروج

وكل على قول الهتمي شفاوي

لولاي في زين اللحن اتهرج

لا اقنب كما ذيب مجيع خلاوي

وقال جري الجنوبي :

لا تشرف المرقاب يلعب بك الهوى

ويذكرك المرقاب كل خليل

ينذكرك خل حال باتت دونه

بوادي الرشاشا يا مرتجيه هيل

وقال أيضاً :

لا تشرف المرقاب يلعب بك الهوى

ينذكرك خلان لكم وخدون

وقبله قال مجنون بني عامر :

وما أشرف الأيفاع إلا صلبة

ولا أنشد الأشعار إلا تداويا

ومنهم فهد بن شعلان من الرولة . . قال فيه ابن غازي كما
أملى علي الشيخ منديل :

قبلي فهد من هوى قوت قد مات

مودع علي خيل المعادي معاصير

قال أبو عبد الرحمن : قصته عند أهل نجد ذكرها الشيخ منديل
بقوله : « هذه قصة علي الشيخ فهد بن شعلان من شيوخ الرولة ، وهي
قصة عشق تبين لنا نقاء العرب وحرصهم على العفة والسمعة الحسنة .
المذكور له معشوقة اسمها قوت من الكواكبة الرولة ، وكان
لها بني عم أقرب منه (ومن العادة عند العموم يمنعونها بالقوة عن
غيرهم إلا برضاهم ، ولكنهم خافوا منه ، لأنه شيخ أن يأخذها منهم
بالقوة ، ونزحوا إلى شمر) .

ومن ضمن ما مر عليه أنه غنم وظفر في غزوة وهو لوحده ،
فردهم بالمنع على أرقابهم وله ما معهم من جيش وسلاح ، وهي
العادة يشترط بعضهم كالمعروف .

وكانوا عند الشيخ في بيته ، وفيهم واحد عنده خبر عن عشقه لقوت ،
فقال للشيخ : أريد أن أذهب لقوت أطلبها الجاه لرد ذلولي .

فقال له الشيخ : رح وقل لها تحطب من جهة بيتنا ، فلك
ذلوك (وهي ليس لها عادة أن تحطب أو تخرج من بيت أهلها) .

وعندما أخبرها الرجل قالت : كان قدري عنده ذلول واحدة فقد
خاب ظني فيه . . ارجع وقل له يعطيكم كل ما عنده لكم ، وأنا

من أجلكم آتي وأحطب من أمام بيته .

وقبل قولها من أجل محبتها علماً بأنه غني ، وليس بحاجة لما

لهم عنده ، فرد له .

وكان بينه وبينها رمز قبل أن ينزح أهلها إذا أتاك المسلم يسلم

ورد السلام عليك مرة ثانية فهذا مني ، وقولي : يا هلا يا فهيد

تفغني لو أنا بعيد .

وفي يوم أتاهم طرقي من عرب فهيد إلى شمر كان في مجلس

أهلها رجال ، ومن العادة أن الطرقي يسلم على أهل البيت من بعد ،

فقالت : يا هلا .

ثم قال لها : سلام ياقوت (مرة ثانية) فقالت : هلا يا فهيد .

فهذا دليل على محبتها له ولزمتها على ما أوصاها . . فسمعها

أهلها وغضبوا عليها ، ونهروا الضيف ، وأوشكوا على ضربه ،

فعندما رجع أخبر فهيد بهذه الأبيات :

يا فهيد زعلوا شمرهم وابوها

يا فهيد يوم انثي سلامك على قوت

يا حيف عن نيب السرايا نحوها

اللي لا جا الخيل يكثر بها الفوت

ريمية عن مرتعه زيروها

فوق اشقح تقادى هوت ورا هوت (٥١)

(٥١) من أدابنا الشعبية ٢٣٨/٧ - ٢٣٩ .

وكان فهد يتمنى أن يمر على أهلها في غزو أو غيره حتى يراها ، وقد قال أبياتاً منها :

يا فاطري باغ عليك از عج الصوت

أبا اتحريم دار المعـلـدي

يصير منكافي على بيت أهل قوت

كود اني اجعف عند اهلها شدادي

يا قوت قوت القوت لاكمل القوت

يا ريف قلبي مضنة فـؤادي

ورد عليه ابن عمها بعد ما سمعها قاتلاً :

يا فهد قوت القوت ما به تبايد

ما حاصل كود التعب والتمني

حرم عليك مهارجة ليلة العيد

ورماح اهلها نونها عرضني

الآ تجيب الهضب بالكف مع فيد

هـذاك تعرس والجهازات مني « (٥٢)

قال أبو عبد الرحمن : هذه أخبار صحيحة معقولة ، ورواية

موثقة ، ولكن دخل الموضوع أساطير داخل نجد وخارجها .

ومما ورد خارج نجد هذه القصة عند عرب سيناء نكروها نعوم

(٥٢) من أدبنا الشعبية ٢٣٨/٧ - ٢٣٩ .

شقيير فقال : « وعند نزولنا في عرب أولاد سعيد سنة ١٩٠٥م طلبت من أحدهم أن يقص علينا حكاية من حكاياتهم فقص علينا رواية قوت وفهيد . . قال : كان في إحدى قبائل نجد فارس مشهور بالشهامة والإقدام يدعى فهيداً ، وكان في قبيلة أخرى تجاورها غادة مشهورة بالفصاحة والجمال تدعى قوتاً ، فكان كلما التقى فهيد برجل وجرى ذكر النساء يقول له : لا يصلح لك زوجة غير قوت . وكذلك كلما التقت قوت بامرأة وجرى ذكر الرجال تقول لها لا يصلح لك زوج غير فهيد ، ولم تكن قوت تعرف فهيداً ولا فهيد يعرفها . فتولد في قلب كل منهما حب للآخر وشوق لرؤيته :

والآن تعشق قبل العين أحياناً

وكان لقوت جارية تعرف مورد فهيد فأخذت جاريته وأتت بها إليه ، فاتفق أن فهيدا لم يرد الماء في ذلك اليوم ولكن وردها أخوه وهو فتى صغير فتقدمت إليه قوت وقالت له : أنت شقيير فهيد الفارس المشهور ؟ .

قال : نعم . . فدنيت منه وقبلته قبله وقالت : هذه لك ، ثم قبلته قبله ثانية وقالت : هذه لأخيك فهيد .

وعادت إلى قبيلتها ، فذهب الولد وأخبر أخاه بما كان ، فاشتعل إذ ذاك فهيد حباً وأخذ يسعى إلى رؤية قوت والاجتماع بها ، فلبس لبس راع ، ودخل قبيلة قوت ، وقال : فقدت ناقة لي وجئت أفتش عليها بين نياقكم .

فقالوا : هذه إبنا ففتش على ناقتك بينها ، فدخل فهيد بين الإبل وكانت قوت هناك ، فلما رآها لم يشك أنها هي لفرط جمالها ورشاقة قدما ، فتقدم إليها وحياتها بأبيات جميلة فعرفت أنه فهيد فربت عليه التحية شعراً أحسن رد .

وخاف فهيد إذا أطل المكث أن ينكشف سره ، فودعها مرغماً وبعث يخطبها من أبيها بأي مهر شاء .

وكان لقوت ابن عم لها يريد الاقتران بها ، وكان أبوها راضياً به ، فرفض طلب فهيد ، ولكنه خاف بطشه ، فنقض خيلاه وسار راحلاً إلى أرض بعيدة ، فركب فهيد فرسه ولحق بالقوم وأخذ منهم قوت عنوة وهي في هودج على جملها ، وسار بها قاصداً قومه .

وفي الطريق قالت قوت : أخاف يا فهيد إذا تزوجتني على الرغم من أهلي أن يعير العرب أولادنا بأنهم أولاد قلاعة ، فالراي أن تردني إلى أهلي وتسوق الجاهة إلى أبي فيزوجك برضاه ، وأنا أعدك وعد حب صادق أنني لن أرضى بأحد غيرك قريناً لي .

فاقتنع بوجاهة رأيها وردّها إلى أهلها ، فلما دخل الظعن رماه عمها وطبان برمحه غدرأ فقتله ، فحزنت عليه قوت حزناً شديداً ، ثم أخذت تتدبه وترثيه بالأشعار ، وقد انقطعت عن الطعام والشراب إلى أن ماتت . . ومن قولها :

يا طيور حومة يا طوال الصناقير

أوصيكم عن فheid لاتنقدنه (٥٣)

كم عودة طوح لها الرمح تطويح

واعطى اللحم لعشوشكم تنقلنه (٥٤)

ومنه :

يا عمي يا وطبان ما بي خلاف

وابكي صبي تدفق السمن يمناه (٥٥)

يا عمي يا وطبان ما بي خلاف

وابكي صبي يذعر الخيل طرياه

يا ونتي ونه ثلاث الهرافي

اللي جلود صغارهنه مبواة (٥٦)

يا ونتي ونه عجوز كييرة

شافت ولدها سبق الخيل تتحاه (٥٧)

(٥٣) تنقدنه : تأكلنه بالمناقير .

(٥٤) في الأصل : ياكم ، فعلته لأجل الوزن .

(٥٥) في الأصل : وطفان في كل المواضع التي يرد فيها .

(٥٦) مبواة : عمل من كل واحد بو .

وفي الأصل : جلود جيرانهم .. وعدلت لأجل الوزن .

(٥٧) من هاهنا تغير الالتزام بالقافية الأولى ، ويظهر أن الرواية غير محقة .

يا ونتي ونين شايب على الدار

والبدو شاييل عنه وخلاه (٥٨)

يا ونتي ون طير الخلا لو انطاح

والدم من كل الاجوال يبراه (٥٩)

يا ونتي ون الظمليا على البير

وحيطان ييس وصفيهن تلاظاه (٦٠)

بالله تجيبوا مفرشي والحلاف

وهاتوا هويه الزمل مشيه مدافاه « (٦١)

وعن إبراهيم اليوسف : عن مزيد السريحي : أن أبا فهاد

توفيت زوجته فتزوج فتاة صغيرة السن وكان بينهما حب متبادل ،

وكان يشد وينزل تبعاً لإبله الكثيرة ، فكان إذا نزل بنى لها بيتاً

مقابلاً لبيت ابنه وزوجتيهما •

(٥٨) في الأصل : ونة فعلته لأجل الوزن ، والشطرن الثاني منكسر •

(٥٩) الشطر الأول منكسر وغير مفهوم المعنى • • ويستقيم هكذا : ياونتي ولن كان

طير الخلا طاح •

(٦٠) الشطر الأخير منكسر ويستقيم هكذا :

حوضه ييس وصفي حوضه تلاظاه •

(٦١) تاريخ سينا والعرب ٣٩١/٢ - ٣٩٢ •

والشطرن الثاني مكسور وغير مفهوم •

وذات مرة نزلوا في فيضة بها عشب كثير وبطرفها قبر .
وكانت زوجته تخاف القبر وتجتنبه إذا ذهبت تجلب حطباً
أو ماء .

وبعد نفاد الماء نزلوا على عد مندفن وقع فيه الدبى فغير
رائحته ، فأراد أبو فهاد أن ينفرد بالنزول في العد وحفره لاستخراج
الماء ، فأخرجوه من العد وهو في غيبوبة بسبب الرائحة الكريهة ،
فلما رأت المرأة التجمع حوله ورقبته متدلّية ظنت أنه ميت ،
فخرت مغشياً عليها ثم وجدت ميتة .

وأفاق أبو فهاد من غد ، وقد دفنت زوجته بجال ضلع
قريب منهم ، وأخفوا الخبر عنه لمدة يومين ، وقالوا : جاء
والدها فذهبت معه .

فلما سرح أولاده بالإبل أسرج فرسه وذهب إلى أهلها ، فقال
التكريم والترحيب هناك ، ولم يجد زوجته ، وعاد إلى أولاده
وحقق الخبر منهم ، فصار دأبه في يومه التردد بين القبر
ونزوة الضلع ، وابنه فهاد يعتله تارة ويسليه تارة ، وآخر مرة
ترنم بهذه الأبيات :

فهاد انا ونيس في ذا الطويلة

وعزي لمن مثلي شكا حر غاليه

إن مت يا فهاد لو عقب طيلة

وداعتك خلوه بأرض دفن فيه

وانك تسموى بالجنّازة تشيله

تقول وصاني ولا تي مخليه (٦٢)

هدوا عليه القبر واعزتي له

عز الله اني خابره ما يدانيه

حطوا عليه من الرواسي ثقيلة

هدوا تراب القبر من فوق غاليه

وشهق بعدها ومات وحفر له بجوار قبرها (٦٣) .

قال أبو عبد الرحمن : قد يقبل موتها صدمة للمنظر المفاجئ ،

ولمكانة زوجها في نفسها ، وقد يموت الزوج من الصدمة إذا فوجئ

بالخبر ، ولكنه أخبر بالتدريج ونظم شعراً .

أفيموت بعد ذلك بشهقه ؟ ! .

والأبيات من الشعر الضعيف الذي يسهل على كل حكواتي .

ومن قتلى الهوى كما يزعمون عواد خطيب وضحا ، فقد وردت

بغناها على الماء فأغضب ذلك أخاها لأن له غنما يريد أن ترد فقال :

إنما فعلت ذلك من أجل عواد ، وستلحقينه - إن شاء الله - لأنه مات .

وهو لم يمّت وإنما أراد إزعاجها فصدمها الخبر وسقطت ميتة ،

وصادف أن عواداً كان في خيبر في رأس نخلة يجني من بلحها ،

(٦٢) تسموى : توصف بأنك حامل للجنّازة وصفاً يخلب غلبة الاسم .

(٦٣) ناولنيها مكتوبة الأخ إبراهيم اليوسف بخط يده ، ونشرت بجريدة الرياض عنه عدد ٧٥٦٧ في ١٤٠٩/٨/٥ هـ ص ٢٠ .

وأبناء أخيه يقولون : عطني يا عمي بلح .
وكان اثنان تحت النخلة يتحدثان عن وفاة وضحا ، فسمع الخبر فتسمر ،
ثم سقط وهو يقول للغلمان : جاك عمك والبلح ، فصار ذلك مثلاً .
وبعد شهر مات وقال خلال ذلك :
واعيني اللي ساهرة عن منامه
ما ادري علامه تالي الليل عيني
واصاحبي حطوا عليه الردامه
للحشر ما ظني حبيبي يجيني
من عرفتني له ما كشف لي لثامه
مع الحلا والزين عقله رزين
واصاحبي ما هو غثيث كلامه
نقد الذهب هرجه عشيري بلين
جعل العوض حمرا طويل سنامه
فج العضود ونسع الجلمدين
يجفل اليا شافت ظلال العدامه
لولا الرسن ترميك عرض البطين
لا روجت تشدي رفيف الحمامه
لا صفت الجنحان عقبه تبيين ا

قال أبو عبد الرحمن : القصة خرافة ، والشعر منتحل أو ملفق ،
والمثل مشهور .

والمثل قد يتولد من حقيقة فيركب عليه أسطورة ، وقد يتولد
من أسطورة فيكون اشتهاره مسوغاً للتصديق بالأسطورة .
ومثل ذلك مثال « زايرواله » يضرب مثلاً لمن أنهكه الجماع
لشبق عرسه ، ففر عنها .

فهذا مثل متولد من أسطورة ولكنه اشتهر بإطلاقه .
وممن اشتهر أنه من قتالي الغرام مطوع أشيقر ، وفيه خلاف
في اسمه ، وخلاف في سرد قصته .

قال أبو عبد الرحمن : فكل ذلك أحققه - إن شاء الله - هاهنا ،
وأضيف إلى ذلك نشر خمس قصائد له ، ولأعلم أنه روي له غيرهن .
فأما اسمه فورد أنه محمد بن عبد الرحيم التميمي (٦٥) في صور
قصائده الخطية التي ناولني إياها الأستاذ عبد الرحمن المانع ، ونكر
أنه ابن مسند ، وفي نسخة : أبو مسند .
وآل مسند أهل أشيقر من آل محمد من الوهبة ، ومنهم أناس
في أثينية والمجعة وعنيزة .

(٦٥) لم يذكر ابن سيحان اسمه وإنما قال : المطوع راعي وشيقر ، وسماء الضويحي :
عبد الرحمن التميمي المطوع .
وفي فكرة شخصية لابن بسام ذكر أن اسمه عبد الرحيم ، ومثله الهطائي في
ديوان الدر الممتاز ، ومنديل في كتابه .

قال أبو عبد الرحمن : وعلى هذا يكون المطوع لقباً له مباشراً ،
وكنيت قبل ذلك أظنه من أسرة المطوعة من آل إسماعيل بن عقيل
من بني ثور من الرباب ، وهم في سبيع بالحلف .

وقال الأستاذ سعود بن عبد الرحمن بن يوسف - كما نقلته عن
مسودة كتابه عن أشيقر - : رغم شهرة هذا الشاعر سواء من ناحية
قوة شعره ، أو من خلال قصة زواجه التي كانت ثورة على تقاليد
المجتمع آنذاك . . إلا أن تاريخ حياته ووفاته وأسرته التي ينتسب
إليها ما يزال سراً مجهولاً ، ولم يكن له حظ في التدوين الصحيح
كما كان لشعره .

مع ذلك ؛ فإن هناك قرائن استطعت باستخلاصها من شعره
وبعض أحداث حياته أن أكتب له تاريخاً تقريبياً .

عاش شاعرنا في بداية القرن العاشر بدليل أن أشعاره كانت
تقريباً من اللون الهلالي ، ولم يحد عن ذلك إلا نادراً ، وعرف
عند عامة الناس باسم ابن عبد الرحيم التميمي - وإن كان هناك من
يسميه عبد الرحيم - ولكن ظل اسم والده مجهولاً وإن ذهب كثير
من العامة إلى تسميته محمد بن عبد الرحمن .

ونسبه آخرون إلى بعض الأسر المشهورة في بلدة أشيقر .
لقبه الناس باسم المطوع واشتهر بذلك ، وقد يكون ذلك بسبب
معرفة للقراءة والكتابة في عهد كان الجهل سمته الغالبة . . بدليل
أنه قام بكتابة قصيدته الهائية المشهورة التي مطلعها :

قال التميمي والذي عاش مترف

مدى العمر ماشاً في زمانه جاه

على عباءته بدم الطبي الذي ذبحه إخوته أمام عينيه في نفود
الدهناء (٦٦) قرب بلدة الأرطاوية حالياً ، وهو ما يعرف الآن بنقا
المطوع .

إلا أنني أرفض أن يكون لقب المطوع غلب عليه لأنه كان
رجلاً متديناً وإماماً لأحد المساجد ، وذلك لأن سيرته من خلال
أشعاره تخرجه عن هذا النطاق ، وتبقيه رجلاً عادياً كان للعشق في
حياته دور كبير .

والأغلب - والله أعلم - أنه لم يعمر طويلاً ، وربما يكون قد
ناهز أربعين عاماً عند وفاته بدليل أنه لم يفصل بين زواجه الثاني
وفاته إلا زمن قليل على أساس أنه لو لم يكن يحتفظ بشيء من
قوة الجسم لما أقدم على هذا الزواج الثاني .

كما أنه مما يساعدنا على تحديد هذا العمر الافتراضي الذي
عاشه هو قوله على لسان إحدى النساء :

سلامي على المردان وأهل اللحى

ومن لاح شيبه ما عليه سلام (٦٧)

(٦٦) قال أبو عبد الرحمن : هذه أسطورة يأتي تزيفها .

(٦٧) قال أبو عبد الرحمن : هذا البيت لشايع الأمعح .

وهو المقصود في الشطر الثاني مما يدل على أنه قد خطه
الشيب وإن لم يكن قد غلب عليه .

ومما يؤكد أنه عاش في بداية القرن العاشر أن الشاعر
الشهير بركات الشريف قد قال بيتاً من الشعر استأنس فيه بإحدى
الآبيات التي قالها . . . وبيت الشريف هو :
وقلته على بيت قديم سمعته

وهو مثل ما قال التميمي لصاحبه
أما بيت ابن عبدالرحيم فهو :
من باعنا بالهجر بعناه بالتياس

ومن جذّ حبلي ما وصلت رشاه
والغالب أن بركات الشريف قد توفي سنة ١٠١٩هـ أو ١٠٢٤هـ .
والمعروف أن الشعر كان بحاجة إلى مدة زمنية طويلة نسبياً
انطلاقاً من ظروف ذلك الزمان ليصل إلى من تأثر به ، وعموماً فإن
كلمة (قديم) في بيت بركات تؤكد وجود مسافة زمنية طويلة نسبياً
بين الشاعرين .

وقال الأستاذ سعود في تحشيتة : « يذهب أناس إلى أنه من
أسرة آل أبا حسين ، وليس ذلك صحيحاً لأن لقب أبا حسين لم تشتهر
به تلك الأسرة إلا مع نهاية القرن العاشر أو بداية الحادي عشر .
كما أننا لو ذهبنا إلى الأخذ برأي من يقول : إن اسمه محمد
ابن عبدالرحمن ، أو أن اسمه عبدالرحمن : لما وجدنا ذلك الاسم في

سلم نسب تلك الأسرة في ذلك الوقت .

كما أن هناك من يلقبه أبا مسند نسبة إلى أسرة آل مسند ، ولا يوجد أساس من ذلك ، وكان أقدم شخص عثرنا على اسمه وهو يحمل في اسمه لقب أبا مسند أحمد بن محمد بن أبي مسند ، وقد عاش في سنة (١٠١٨هـ) تقريباً ، وهو تاريخ متأخر كثيراً عن عصر هذا الشاعر مما يؤكد عدم انتسابه لهذه الأسرة ؛ انظر في ذلك مسودة أوقاف الصوام ص ١٥٧ .

وعلى هذا يكون مسند وهو أخ لمحمد والد أحمد الذي ورد في الوثيقة قد عاش في ٩٨٨هـ اعتماداً على نظرية ابن خلدون بخصوص الأجيال حيث يعطى كل جيل مدة زمنية مقدارها ٣٠ عاماً .

وعلى هذا نرى أن هناك فاصلاً زمنياً كبيراً بين وفاة ابن عبد الرحيم واسم مسند .

ومما ينفي كون اسمه محمد قوله في إحدى قصائده :

ألا واسفا بالجادل أم محمد

فارقتها واثر الفراق يسروع

فلو كان اسمه محمداً لما كنى زوجته بأم محمد سواء كانت الأولى أم الثانية اللهم إلا إذا كانت متزوجة من شخص قبله ، وكان لها من الزواج الأول ولد يحمل هذا الاسم وهو مالم يثبت . ومما يؤكد أن الأخبار التي يتناقلها الناس عن اسمه ونسبه

وعصره كانت ظنية وغير معتمدة في تحديدها الافتراضي على أسس تدور في إطار التقريب النسبي المستدل ببعض البراهين هو أن المؤرخين الذين أرخوا لبلدة أشيقر أمثال ابن يوسف وابن عيسى وابن بشر وابن غنام (وهم من سجلوا تاريخ البلدة الذي عاصروه أو سبقهم) لم يتطرقوا إليه في شيء رغم أن قصة زواجه الثاني كانت تاريخياً أهم من معركة يسقط فيها مئة قتيل على الأقل . . خاصة إذا علمنا أن هؤلاء المؤرخين قد سجلوا أحداثاً تبدو أقل شأناً من أحداث حياة ذلك الشاعر .

وهذا يدل على أن هناك إخفاء متعمداً لتاريخ وحياة ذلك الشاعر ممن عاصروه ونقلوا أخبار ذلك العصر للأجيال التي جاءت بعدهم قبل أن يدونها هؤلاء المؤرخون « ١ هـ .

قال أبو عبد الرحمن : ودعوى أنه من قتلى الغرام تستند إلى قصيدته الهائية ، وليس في القصيدة دلالة على ذلك .

بدأ للمطوع قصيدته بذكر أيام شبابه المترفة التي ربطها بطلبه لركب بني عقيل .

والمطوع ذكر أنه توفي سنة ١٠١٠ هـ (٦٨) فهو معاصر لبني عقيل حكام الأحساء ونجد الذين انتهى ملكهم في تمام سنة ١٠٠٠ من الهجرة ، حيث رحل آخر زعمائهم منيع إلى العراق ، وذكر الخلاوي رحلته النهائية بقوله :

(٦٨) مفكرة ابن بسام ورقة ١/٧ .

تطاول حنه الايام لين اودعنه

يشد على ثلب قصيف البدايد

قال أبو عبد الرحمن : وقد حققت نهايته في كتابي « أنساب
الأسر الحاكمة في الأحساء » ، و « مسائل من تاريخ الجزيرة » .

وفي قصيدة المطوع ذكر مرور بني عقيل بأشيقر متجهين إلى
المنطقة الشرقية مرابع بني عقيل ومقر ملكهم ، وفي طريقهم مروا
بالدهناء . . قال :

اطلبت ركب من عقيل تقللوا

من نجد الى السيف المريف مداه

شدوا بنا من جو عكل وقوضوا

على كل هباع يمد خطاه

فعكل هو أشيقر ، لأن سكانه قديماً من بني عكل من الرباب .

والرواة العوام لما كانوا يجهلون تاريخ بني عقيل ترددوا في

الرواية فمنهم من قال : من ضحى تقللوا !! .

ومنهم من قال : من عصير تقللوا .

وما ورد في الأبيات من ذكر السيف ، وأنهم حذروا ، وأن

الركب من عقيل كل هذا دال على أنهم في طريقهم إلى الشرقية .

ونذكر المطوع قصة للعقيليين في الدهناء ، وهي أنهم صادوا
ظبياً فشفع فيه ، وهذا نص القصة :

لقوا شادن في زربها مستكنة

حماها عن اوهاج السموم ذراه

وبعض الرواة الذين لم يتبصروا في السياق ظنوا أن المراد
ظبية بشرية فقال في روايته : لقوا جادل .

والشعر المطبوع قديماً ينقصه التحقيق الذي يفيد قارئه من
ناحية الرسم الصحيح ، والضبط الضروري ، والتحشية بترجيح رواية
على رواية ، أو تصحيح رواية ، أو إصلاح رواية صحيحة النقل ،
أو مجرد الإشارة إلى خلل فيها .

والتحشية أيضاً بما ينبغي أن يراعى من ناحية ترتيب سياق
الأبيات ، حيث يرد معظم القصائد مختل السياق .

ولهذا أرى أن إعادة نشر الشعر القديم محققاً مطلب ضروري
في ذاته إلى جانب نشر ما لم ينشر بعد .

ولن نحقق الإفادة من الشعر العامي في دراساتنا التاريخية
والبيئية واللغوية والأدبية إلا بتحقيق نصوصه أولاً وتفسيرها .

قال أبو عبد الرحمن : المراد في شعر المطوع غزال حقيقة ..
ثم قال عن أخذهم لها وهي نائمة بدون رمي أو حباله :

خذوها بلا رمح ولا بالعصي

ولا حط لها حبل الشرك تاطاه

غشاها لذيق النوم والنوم قد غشا

من القوم حذر وابتلاه عداه

فقلت لا خواني ومثلي ومثلهم

يشكي الى من الزمان وطاه

دعوها سبيل كود من ذي فعالة

يجزى على فعله يشوف مناه

بغيت بفكتها وعيوا عليها

وأشكل بقلبي من عناء بلاله (٦٩)

ثم انتقل المطوع إلى محبوبته فقال :

يا شمل يا ما مونة الهجن هونلي

الى دار من صعب لي لقاه

فقد تذكر محبوبته من خلال الغزال ، ولعله تذكرها من خلال

(٦٩) مثل هذا الشعر في أوائل عصور العامية ينطق بتفاسح لأجل الوزن
فيضمون هاء عناء ويشبعونها وأوا .. وهكذا بغيت .

تشابه أوصافهما كما في شعر المجنون وغيره .

قال البقاعي : « وقال السراج : أخبرنا الحسن بن علي بن محمد :
أخبرنا أبو بكر عمر بن محمد بن العباس بن حيويه الخزاز : أنبأنا محمد
بن خلف : أخبرني أبو بكر العامري : عن عبدالله بن أبي كريم : عن
أبي عمرو الشيباني : عن أبي بكر الوالبي قال : نكروا أن المجنون
مر برجلين قد صادا عنزا من اللطباء فقمطاهما ، فلما نظر إليها دمعت
عيناه ، وقال : يا هذان خلياها ، فليأيا عليه ، فقال : لكما مكانها
شاة من غنمي .

فقبلا ذلك منه ، ودفعاهما إليه فأطلقها ودفع إليهما الشاة وأنشأ
يقول :

شريت بكبش شبه ليلى ولو أبوا
لأعطيت مالي من طريف وتالد
فيا بايعي شبيهاً لليلي قتلتما
وجنبتما ما ناله كل عابد
فلو كنتما حرين ما بعتما فتى
شبيهاً بليلى بيعة المتزايد
وأعتقتماها رغبة في ثوابها
ولم ترغبا في ناقص غير زايد

وبه إلى ابن خلف : أخبرني عبدالله بن محمد الطالقاني :
أخبرني السري بن يحيى الأزدي : عن أبيه : عن المفضل بن

الحسن المخزومي قال: دخل كثير عزة على عبدالملك بن مروان ،
فجعل ينشده شعره في عزة وعيناه تذرفان بالدمع ، فقال له عبدالملك:
قاتلك الله يا كثير هل رأيت أحداً أعشق منك ؟ ! •

قال : نعم يا أمير المؤمنين : خرجت مرة أسير في البادية على
بعير لي يوضع ، فبينما أنا أسير إذ رفع لي شخص فأممته ، فإذا رجل
قد نصب شركاً للظباء وقعد بعيداً منه •

فسلمت عليه فرد السلام ، فقلت له : ما أجلسك هاهنا ؟ •

قال : نصبت شركاً للظباء فأنا أرصده •

فقلت : إن أقمت لديك فاصطدت أتعمني ؟ •

قال : إيه والله •

وفي رواية : إيهما إذن ونعمة عين •

قال : فنزلت فعقلت ناقتي وجلست أحدثه فإذا أحسن خلق الله
حديثاً وأرقه وأغزله •

قال فما لبثنا أن وقعت ظبية في الشرك ، فوثب ووثبت معه ،
فخلصها من الحبال ، ثم نظر في وجهها ، ثم أطلقها وأنشأ
يقول :

أيا شبه ليلى لن تراعى فإتني

لك اليوم من بين الوحوش صديق

و يا شبه ليلى لن تزال بروضة

عليك سحاب دايم وبروق

فما أنا إذا شبهتها ثم لم توب
سليماً عليها في الحياة شفيق
فقم فقد أطلقت عنك بحبها
فأنت لليلي ما حيت طليق
ثم أصلح شركه وعدنا إلى موضعنا ، فقلت : والله لا أبرح
حتى أعرف أمر هذا الرجل .
فأقمنا في يومنا فلم يقع شيء ، فلما أمسينا قام إلى غار قريب
من الموضع الذي كنا فيه ، وقمت معه فبتنا به ، فلما أصبحنا غدا
فنصب شركه فلم يلبث أن وقعت ظبية شبيهة بأختها بالأمس ، فوثب
إليها ووثبت معه ، فاستخرجها من الشرك ، فنظر في وجهها ملياً
ثم أطلقها فمرت ، وأنشأ يقول :
أذهبي في كلاءة الرحمن
أنت مني في نمة وأمان
ترهيني والجيد منك لليلي
والحشا والبغام والعينان
لا تخافي بأن تهاجي لسوء
ما تغنى الحمام في الأغصان
ثم عدنا إلى موضعنا فلم يقع يومنا ذلك شيء ، فلما كان
المساء صرنا إلى الغار ، فبتنا فيه ، فلما أصبحنا عدل إلى
شركه وغدوت معه ، فنصبه وقعدنا نتحدث .

وقد شغلني يا أمير المؤمنين حسن حديثه عما أنا فيه من الجوع
فبينما نتحدث إذ وقعت في الشرك ظبية فوثب إليها ووثبت معه
فاستخرجها من الشرك ثم نظر في وجهها وأراد أن يطلقها ، فقبضت
على يده ، وقلت : ماذا تريد أن تعمل ؟ .. أقمت لديك ثلاثاً كلما
اصطدت شيئاً أطلقتته ! .

قال : فنظر في وجهي وعيناه تذرفان ، وأنشأ يقول :
أتلحي محباً هائم القلب أن رأى
شبيهاً لمن يهواه في الحبل موثقاً
فلما دنا منه تذكر شجوه

ونكره من قد نأى فتشوقاً
قال أبو بكر : وبیت آخر ذهب عني .
فرحمته والله يا أمير المؤمنين ، فبكيت لبكائه ، ونسبته فإذا هو
قيس بن معاذ المجنون ، فذلك والله أعشق مني يا أمير المؤمنين .
ونكره الحافظ مغلطاي من عند النوقاني (٧٠) ، وقال في المرة
الثالثة : إنه خلى عن الظبية وجعل يقول :
تذكرني ليلي من الوحش ظبية

لها مقلتاها والقلادة والحشا

(٧٠) هو القاضي أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن سلمان النوقاني نسبة إلى
نوقان بسجستان .
نقل ابن قيم الجوزية في روضة المحبين ص ١٤٣ - ١٤٤ عن كتاب محنة
الظراف للنوقاني .

فيهمل دمع العين مني صباية

ستبكي عليك العين بالدمع ما جرى

فقلت أشكو إليك الجوع منذ ثلاث كلما أخذت صيداً خليته ،

فنظر في وجهي ملياً ثم قال :

أتلحي محباً هائم القلب أن رأى

شبيهاً لمن يهواه في الحبل موثقاً

فهيج منه حائل دون ذبحه

فأطلقه حفظاً لليلي وأعتقاً

فانصرفت عنه وأنا أقول : ما رأيت كاليوم !! •

وفي رواية : فوالله العظيم إنا لفي ذلك إذ أقبل راكب •

قال كثير : فقال صاحبي : اللهم إني أسألك خير ما عنده فجاء

حتى وقف فقال : تعز يا فلان •

قال : عمن ؟ •

قال : عن ليلي •

فقام إلى بعيده وقمت معه ، فأقبلنا إلى الحي ، فقال :

أرشدني إلى قبرها •

فأشار إليه ، فإذا قبر حديث عهد بطين ، فأكب عليه يقبله

ويلتزمه ويستشق ترابه وهو يقول :

أيّا قبر ليلي لو شهدناك أعولت

عليك نساء من فصيح ومن عجم

ويا قبر ليلي أكرم من محلها

تكن لك ما عشنا بها عندنا نعم

ويا قبر ليلي إن في الصدر غصة

مكان الشجا سدت مع الريق بالنسم

ثم شهق فمات فدفنته أنا والراكب ، وأنشأت أقول :

سأبكيكما ما عشت حياً فإن أمت

فإني قد لاقيت ما تجدان

قال مغلطاي : انتهى . . ثم قال : هذا الرجل ليس المجنون

إجماعاً والله أعلم . . انتهى كلام مغلطاي .

وقال القالي في تنمة ذيل الأمالي : قال : (يعني أبا الحسن

علي بن سليمان النحوي) وقال العمري : أخبرني أبو مسلمة الكلابي :

قال : كان مجنون بني عامر في بعض مجالسه ، وكان يكثر

الوحدة والتوحش ، فمر به أخوه وابن عمه قد قنصا ظبية ، فهي

معهما فقال :

يا أخوي اللذين اليوم قد أخذنا

شبهاً لليلي نحلاً ثم غلاما

إني أرى اليوم في أعطاف شاتكما

مشابهاً أشبهت ليلي فحلاما

فامتعا بها منه ، فهم بهما وكان نجداً قبل ما أصيب ،

فخافاه ، فدفعاهما إليه ، فأرسلها ، فولت تفر ، ثم أقبلت تنظر إليه فقال :

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني

لك اليوم من وحشية لصديق

تفر وقد أطلقتها من وثاقها

فأنت لليلي إن شكرت عتيق

فعيناك عيناها وجيدك جيدها

ولكن عظم الساق منك دقيق

وقال صاحب الأغاني : أخبرني أحمد بن جعفر لحظة :

حدثني ميمون بن هارون قال : ذكر الهيثم بن عدي .

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان : عن العمري : عن

الهيثم بن عدي قال : مر المجنون برجلين قد صادا ظيية فربطاهما

بحبل وذهبا بها ، فلما نظر إليها وهي تركض في حبالها دمعت

عيناه ، وقال لهما : حلاها وخذا مكانها شاة من غنمي .

وقال ميمون في خبره : وخذا مكانها قلوفاً من إيلي .

وأعطاهما وخلاهما ، فولت تعدو هاربة .

وقال المجنون للرجلين حين رآها في حبالها :

يا صاحبي اللذين اليوم قد أخذا

في الحبل شبةاً لليلي ثم غلاها

إنني أرى اليوم في أعطاف شاكما

مشابهةً أشبهت ليلى فحلاها

قال : وقال فيها وقد نظر إليها وهي تعدو أشد عدو هاربة مذعورة :

أيا شبه ليلي لا تراعي فإنني

لك اليوم من وحشية لصديق

ويا شبه ليلي لو تلبثت ساعة

لعل فؤادي من جواه يفيق

تفر وقد أطلقتها من وثاقها

فأنت لليلي لو علمت طليق « (٧١)

وفي أسطورة المجنون قال الراوي : « بعدما ذهب زياد رأى

قيس صياداً ينصب شراكاً بين ثقل الأشجار في الأجمة ليصيد الغزلان

ثم ترك الفخ وابتعد يرقبه ، فجاءت غزالة من غزلان المسك

واستطعمت جص الشرك ، فوقعت في حبائله ، فصدحت همساً عن

صوت رشيق .

فسمع قيس صوتها ، فأسرع إليها ، وقطع الشرك بخنجره

واحتضنها ، ثم أمعن في عينيها المكحولتين فوجدهما على أتم الشبه

من عيني ليلي : حركتها كرشاقة ليلي ، واتزان عنقها كجيد ليلي ، فقبل

الغزالة بين جبينها وعصر عليها بشدة حتى كاد يغمى عليه ، ثم

أطلقها فانطلقت كالسهم وغاصت في الأشجار .

وكان الصياد يصيح على قيس ، ولكن صيحاته لم تصل إلى

أذن قيس لأنه كان في غشيته ، فقفزه بقطعة من الحجر ، ولما

(٧١) أسواق العشاق ص ١٥٠ - ١٥١ ، ونم الهوى ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

وصل إليه ضربه بهراوته ، وقال له : قطعك الله كما قطعت
رزقي ورزق أولادي ، فقال له قيس وهو يتململ من ألم الضرب :
كفاني يا هذا ما ضربتني ، فإن عيناها كعيني ليلي ! .

ثم اتجه في السير وهو يقول : ليلي ليلي ليلي . . عيناها
كعيني ليلي وقوامها كاعتدال ليلي ثم أنشد قائلاً :
أيا شبه ليلي لا تراعي فإني

لك اليوم من دون الوحوش صديق
ويا شبه ليلي لو توقفت ساعة

عليها سحاب هاطل وبروق
ويا شبه ليلي لو توقفت ساعة

لعل فؤادي من جواه يفيق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها

فأنت لليلي إن شكرت طليق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها

سوى أن عظم الساق منك دقيق
تكاد بلاد الله يا أم مالك

بما رحبت يوماً علي تضيق
تنوق إليها النفس ثم أردھا

حياء ومثلي بالحياء خليق

ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني

حبيب وأني للحبيب مشقوق

أروم سلو النفس عنك ومالها

إلى أحد إلا إليك طريق « (٧٢) »

ثم ذكر الراوي أنه « سار يجول في تلك القفار وإذا به يرى
ظبية أخرى ، فأسرع نحوها وقبض عليها ، ومسح التراب عن
وجهها وقرنيها ، وصار يقبلها ، ثم أطلقها ، وأشار يقول :

أذهبني في حراسة الرحمن

أنت مني في ذمة وأمانني

لا تخافي ولا تخافي بسوء

ما تغنى الحمام في الأغصان « (٧٣) »

وقال ابن الجاور: « عرب النهائم من موزع إلى أعمال أبين مع

جميع العقارب وهم عرب هذه البلاد يسمون بنو الحارث يدعون
المحبة لله وفي الله .

وإذا وجد أحدهم غزالاً ميتةً أخذوها وغسلوها وكفنوها ودفنوها
وبقى للغزال عزاء في جميع القبائل مدة سبعة أيام مشققين الجيوب
مقطعين الشعور يذرون الترائب على المفارق .

(٧٢) الحب الخالد قيس وليلي ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٧٣) المصدر السابق ص ١٠٦ .

فقبل لهم فيما هم فيه فقالوا : نحن نمشي على الأصل ونقول
بترك الفرع . كما قال قيس بن الملوح :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها

ولكن عظم الساق منك دقيق « (٧٤) »

قال أبو عبد الرحمن : ومثل ذلك عند العوام ما روي عن
سرور الأطرش .

قال الأستاذ فهد الرشيد عن سرور : « خرج ذات يوم يطلب
القنص يحمل فتيله إلى غابة يقال لها الخميطة ، فعند وصوله إلى
هذا الموضع شاهد قطيعاً من الغزلان وتهاياً لرمائته ، فعندئذ انتهت
إحداهن فرفعت رأسها ، فتذكر محبوبته حيث شبهها بهذا الغزال
فاعتقن جميعاً ، وقال :

لا ضاق صدري رحت يم الخميطة

قعدت بالمرقاب لأجل الضواحي

والاه في عيني تلوح الجميلة

والى السما مع كل الأفالق صاحي « (٧٥) »

يوم اقبلت ترعى الحيا مع مسيله

بدلت عقب الدلابة بانبطاح

(٧٤) صفة بلاد اليمن ص ١٤٩ .

(٧٥) والاه : وإذا هو .

وبالكف حسناً عوق تيس الجميلة

وقلّطت للمشقاص جمر نحاح

قلت انهجي لعيون موضي سبيله

حلفت انا ما ارسل عليك الذحاح

لعيون من ينسع طويل الجديلة

ابو خديد كنه البرق لاح . (٧٦)

قال أبو عبد الرحمن : هذا أو بعضه من أكاذيب الأعراب .

ومن الأدب العامي أيضاً ما رويته بالجبل عن فريح بن عفنان

التميمي أن فرج بن خربوش الأسلمي منع صياداً من إطلاق البندق

على ظبي ، لأنها تشبه حبيبته ريوف ، ولهذا قال :

يا عنز بك من وصوف ريوف

فوتي بوجهي وأمان الله

لا يذيرك ناقل المزغوف

من خلّقه ناقله ظله

لقيت لي وادي مصيوف

حد المحاميض من الخلّه

معنى « ناقله ظله » : أنه ينقل البندق للزينة .

والمحاميض النفود ، والخلة السهل .

(٧٠) شعراء الرس النبطيون ٢٤/١ .

وكان ابنه عايد صائداً رمى عنز ظبا بجبل فتق شرق حائل

فنقلت صوابها وهربت إلى جبل نوف يتبعها ولدها فقال :

يا عنز نوف ما ذكر به لنا عين

ولذلك بحامي القيظ لا تذبحينه

ولما مات عايد قريص الحنش قالت أسلمية تخاطب جبال سلمى :

يا صيد لا تجفل ترى عايد مات

عيون سلمى كلهن لك سبيل

ومثل ذلك ما ورد في قول راشد الخلوي :

لقيتُ حبالِي يا منيعٌ قد اعلقت

برياعيةٍ من سايلات المدامع

حبلتُ له زناحة في مقلها

لدانات عودان الثمام المنايـع (٧٧)

وهفت لها في حفرة سويت لها

والاقدار ترمي بالامور الفنايـع (٧٨)

ووسنتها حدا يديها وشارعت

على جال محفور الدمي النقايع

(٧٧) لأول مرة أجد الزناحة بمعنى الحباله . . . والزناحة في استعمال العامة اليوم

ورقتان مربعتان في حجم الكف يوضعان متظاهرتين في طرفي جريدة

مخروقة الوسط ، وقد أنخلت في الخرق عصا يحملها الصبي في طرفها ،

ويجري بسرعه ، فيلاقيها الهواء فتكون حركتها دائرية كالمروحة .

(٧٨) في الأصل : وهفت رجلها .

إلا أن البيت ينكسر .

وردت لها من محزمي هوشرية
 على حدها يأتي دما الجوف ضايـع
 صنعها ابن مفتاح بيمنى سليمه
 وياوي بيطار وياوي صانع (٧٩)
 وبقي ضبة مقضوبة من خلافا
 تعض بنابيها على الكير شارع
 بصادرة ورادة مشفطه
 لها بالملاقى كل يوم وقايـع
 ذكرت وصاة من منيع بن سالم
 وغيري إلى ما جاع ينسى الودائع (٨٠)
 يقول حليه ميثا يا صليبي خلها
 ولو كان بايام الصفاري وجايـع (٨١)
 وخليتها لعيون ميثا عتيقة
 عتيقة صليبي طويل المذارع
 وأقفت تخب الجري من فرحة بها
 لها ولد بين السليلين ضايـع

(٧٩) همزة ابن لضرورة الوزن .. وكذلك تسكين حاء مفتاح .

(٨٠) إلى ما جاع : إذا ما جاع .

(٨١) في الأصل : يقول حليته ميثا يا صليبي .
 وهو منكسر .. وتنطق ثاء ميثا بدون مد ، وتسكن صاد صليبي هكذا :
 مَيّ ثَيْصَلْيَبِي .

ولا لقت إلا مريض منه قد خلا

ونقطة نماً حامت عليه الوقايح (٨٢)

قال أبو عبد الرحمن : إن المطوع متوجه مع بني عقيل إلى الأحساء ، وفي الدهناء ندب مطيته بالجد إلى دار محبوبته في البيت المذكور آنفاً :

يا شمل يا ما مونة الهجن هونلي

إلى دار من صعب علي لقاءه

وقد وصف محبوبته ببيت ، وسوغ لنفسه الحديث عن الغرام ببيت آخر ، ودعا على قصرها الذي حجبها عنه بيت ثالث ، ولكنه دعا بخروج حبيبته سالماً من ذلك القصر إذا أجيت دعوته فلنهد أعلاه .

ولقد دعا أخيراً السكيني على البيوت الواقعة في طريقه إلى بيت محبوبته ، لأن طارماتها تفضحه :

شهب اللوايح عسى نجم يحدرها

ولن ما كفى واحد يا لله بالثاني

(٨٢) لباب الأفكار ٥٩/١ وورد أطول من ذلك وبرولية أخرى ص ٦٤ - ٦٥ .

وتاء لقت تكسر لأجل الوزن .

قال أبو عبد الرحمن : وما أدرى للخلاوي أن الظبية لم تجد ولدها ؟ !

ومن دعائه لخليله بالسلامة بدأ في تشبيه خليله بأبيات عديدة
بداها بقوله :

خليلي يشادي خاتم العاج وسطه

تقول انفرج لولا البريم حواه

إلا أنه سلك مسلك المبالغة خبراً وإنشاء ، وبلغ حد الغلو

والإيغال .

فمن مبالغته في الخبر قوله :

ولو هو يسرح لي جراد رعيته

أبي هضله من حشمته ورضاه (٨٣)

وقوله :

خليلي ولو ياطا على قبر ميت

تكلم دفين القبر حين وطاه

ومن مبالغته في الإنشاء قوله :

يارب عطنا رجة تجمع الملا

حتى بها خلي يطير غطاه

تمنى يوم الحشر ليرى حبيبته ساقرة .

ومثل هذه المبالغة مستخف وإن كانت المبالغة تستحسن

أحياناً .

(٨٣) أبي : ابغي .. أي أريد .. وللهضيل إيراد الماشية للبيوت أول الليل .

ومما هو في حكم مبالغات المطوع قول الأعشى :
لو أسندت ميتاً إلى صدرها

عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا
يا عجباً للميت الناشـر

ومن المبالغات قول الرقاشي الصوفي :
ولما تلاقينا على سفح رامة

وجدت بنان العامرية أحمر
فقلت خضبت الكف بعد فراقنا

فقلت معاذ الله ذلك ما جرى
ولكنني لما رأيته راحلاً

بكيت دماً حتى بللت به الثرى
مسحت بأطراف البنان مدامعي

فصار خضاباً بالأكف كما ترى

وقال ابن حجة الحموي :

يا ناقل المصباح لا تمرؤا على

وجه الحبيب وقد تكحل بالكرى

أخشى خيال الهدب يجرح خده

فيقوم من سنة الكرى متذعرا

ومن المبالغة قول توبة بن الحمير :
ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت

عليّ ودوني تربة وصفائح
لسلّمت تسليم البشاشة أوزقاً

إليها صدى من جانب القبر صائح (٨٤)

وسياق قصيدة المطوع يدل على أن الحبيبة تزوجت غيره
بدليل قوله :

معسل ثنايا صاحبي فات عني
كما فات لقاى الدلي رشاه

وبدليل أنه يتمنى لقاءها في الحشر كاشفة !! .
وبدليل قوله :

الا واشقا روعي الى صار صاحبي
جضيع لغيري واحترمت لقاه

ومن هنا بدأ السلو بالأنفة ليقابل هجر الحبيب بتجمل وترفع
منذ قوله :

(٨٤) كتبت عن المبالغة وشواهدا من الشعر العربي الفصيح والشعر العامي بكتابي
ديوان الشعر العامي ٨٤/٥ - ١٠٧ .

من باعنا بالهجر بعناه بالنيا

ومن جذ حبلي ما وصلت رشاه

ويضيف في تجمله ألمه من حبيب صغير غر من صفاته :

تعاذيه ما يدري وتصافيه ما دري

وما عطي من غالي الحديث حكا

وفي هذا إشارة إلى أن محبوبه صغير السن غير صائن لسره ،

جاهل بمن يحبه حقيقة ويجله ، وجاهل بما ينفعه أو يضره ، ولكنه

مع هذا يعترف بعظم مصيبتيه وإن كان المحبوب معتباً عليه

لصغره وجهله ، لأن المحب أعمى .

وقد بدأ توجهه من قوله :

وعضيت باطراف النواجذ اناملي

وقلت آه من حر المصيبة آه

وبعد التوجع والتشكي من أحوال الزمان أضرب إلى موضع

آخر ، وهو طلب الغيث لبلاده أشيقر ابتداء من قوله :

دع ذا وسل والي السما في محنتم

سرى يشعق الظلما شعاع سنياه

وله أربع قصائد غير مشهورة شهرة الهائية .

الأولى العينية وهي قليلة الخطر ذكر فيها أن له زوجة اسمها

أم محمد فارقها فقال عنها :

الا وسفا بالجادل أم محمد

فارقتهما وائر الفراق يروع

بكيت عليها لين حرقنت ناظري

ولا ناب من امر الاله جزوع

قال أبو عبد الرحمن : محل التساؤل : كيف تكون أم محمد ،

وهو محمد وهي زوجته ؟ .

والجواب : أن تكون راجعاً عندما تزوجها ولها ولد من غيره ،

وعلى هذا تكون غير العقيلية صغيرة السن التي هام بها في

القصيدة الهائية .

والثانية البائية تغزل فيها بعقيلية جاءت من البادية جالبة

بضاعة فنكر معرفته لها في سوق الجلب ، وأنه لحقها خارج

البلد ، ولقيها في الوادي فقال يسجل هذا اللقاء :

نطحني بغب السيل بالوادي الذي

إذا قلت أنا انحيت بمسيله هاب

نشدته بمن تعزى عليه وقال له

انا من عقيل ما عليه طلاب

وقفى يخوض الما بخمص النواعم

وساقين فيهن الحبول لبلاب

فتغزل ونكر تبسم محبوبته ثم تشوق إلى المكان ، فقال :

فيا سدرة الوادي سقيت من الحيا

عليك غمام ثم عقبه سحاب

ثم دعا على رواحل الظاعنين فقال :

فيا ليت زمول البدو يوم شدوا

تكون على هاك النهار ذهاب

قال أبو عبد الرحمن : فإن كانت المحبوبة في الهائية هي العقلية

ها هنا فمعنى ذلك أن بداية غرامه بدأ بالقصيدة البائية ، ثم صاف

أن رافق ركباً عقلياً فتذكر محبوبته العقلية بالقصيدة الهائية .

قال أبو عبد الرحمن : ولست أرى في قصائده غير غزل عادي ،

وإنما جعلت إحدى قصائده شاهداً لأسطورة حب كان هو صريعه ،

وأدنى تبصر في القصيدة يمنع من دعوى الأسطورة تلك .

ولقد طول الضويحي ذيول الأسطورة إذ تكلم عن قبيلي يتزوج

خضيرية ، فيفضل الموت على طلاقها فيموت . . قال : « إن ذلك

الرجل ابن عبد الرحيم التميمي من أهل أشيقر ، فقد كان ساكناً في

بيت في النخل تجاوره عائلة ضمنها بنت لم تبلغ الرابعة عشرة من

عمرها على مستوى رفيع من الحسن والجمال ، فرآها ابن عبد الرحيم

التميمي الذي يلقبونه بالمطوع ، فلم يستطع السلوان لما رآها

مصادفة ، فتزوجها رغم الحرج لفارق النسب .

وكان زواجه سراً ، وعاش جذلان قد سيطر عليه حبها ، ولكي

يضمن سعادته بها قال لها : إياك أن تخبري أهلي ، وأكد عليها ذلك ،

غير أن المرأة لا تحفظ السر ، وهذه امرأة صغيرة السن فمن باب أولى أن تبوح به ، وقد ذكر ذلك في قصيدته متمنياً أن تكون قد بلغت سبعة عشر عاماً قال :

الى عاد ما تمت ثلاث مع أربع

وعشر فلا يشفي الفواد لقاه

تعاذيه ما يدري تصافيه ما دري

وما عطي من غالي الجواب حكاه

وقال لها: اخرجي إلى بستاننا وخذي منه ماشئت ، فصارت تخرج ،

فتراها أخت المطوع ، فتسبها وتشتمها وتعيرها بقولها : يا صائغة .

وتضايقت البنت ، وفي مرة قالت لأختها وهي تشتمها وتهدها ،

اخسئي أنا آخذ من مال زوجي .

فقالت : من هو ؟ .

قالت : أخوك محمد .

فذهبت لأخيها ، فقالت : هل أنت متزوج فلانة ؟ .

فقال لها : لا .

قالت : طلق ثلاثاً .

فأبى ، ثم أقر في النهاية ، فطار الخبر واجتمعت الأسرة

فحاولوا أن يطلقها ، فقال : إن الموت أقرب من طلاقها ، فاتفقوا

سراً على أن يذهبوا به إلى وادٍ من الأودية ، فيشعروه بأنهم

يريدون قتله أو يطلقها .

وعندما وصلوا الدهناء نزلوا بها ، وكان معهم لحم وأكل ،
فشبت النار ، وجلسوا ، وقالوا له : أتدري لماذا جئنا هنا ؟
قال : لا .

قالوا : لنرجع بك ، وقد طلقنا زوجتك ، أو نفكك هنا
ونرجع بدونك .

وسكت ابن عبدالرحيم السكوت الرهيب ، ثم قام كأنه يريد
قضاء حاجة ، وصعد مرتفعاً قريباً منهم أصبح يسمى نقي المطوع
باسمه حتى الآن ، ثم أخرج القلم والقرطاس من جيبه بعدما تبادر
إلى ذهنه أنهم سيقتلونه ، وكتب قصيدة كانت نهايته نهاية آخر بيت
فيها ، وعندما بحثوا عنه وصعدوا وجدوه قد عض على إبهامه
الأيمن والأيسر ولا حراك به ، فتأسفوا على كل ما جرى ، وبكوا
حيث لا ينفع البكاء ولا الندم ، ثم كروا راجعين إلى الحي « (٨٥) » .

وقال الشيخ منديل : « قيل إنه عشق فتاة بنت صائغ وكانت صغيرة
السن ، وجمالها باهر ، وبأعلى مستوى من العفة ، فطلب من أهلها تزويجها
له بخفية ومنحهم ما طلبوا ، ومضى على زواجه مدة لم يعلم به أحد .
وكان والده وإخوانه يشيرون عليه بالزواج وهو يرفض ،
وكان لزوجته صديقة ، وبعد أن أنجبت منه ولداً أشارت صديقتها
عليها بأن تشيع الخبر .

(٨٥) الفنون الشعبية ص ١٧٠ - ١٧٢ بتصرف كثير وتعديل واختصار هروباً من
للحن والأخطاء والفضول .

فلما وصل الخبر إلى أهله غضبوا وقرروا الخروج وهو معهم للبرية ، وهناك يطلبون منه الطلاق أو يقتلونه .

وعندما وصلوا النقا المعروف ونزلوا ، وكان بقربهم غزال صغير نائم ، فأمسكوا به ، ولما شاهده ابن عبدالرحيم تذكر أوصاف زوجته المقاربة لوصف الغزال ، وبعد نزولهم أخبروه بخبرهم ، فقال أمهلوني للاستخارة .

ثم ارتفع إلى أعلى النقا وكتب هذه القصيدة ، ثم عرض إيهاميه ومليت جزعاً وقهراً « (٨٦) » .

ولما ذكر ابن خميس نقي المطوع بحومة النقيان بالدهناء قال : « واشتهر نقي المطوع بقصة وقعت فيه . . . ذلك أن رجلاً من أهل بلد أشيقر أحد بلدان الوشم من أهل العلم والفضل أحب وشغفه الحب ، وطواه الغرام ، ولم يزل يطوي جناحاً على حبه ، ويستر شغفه وهيامه حتى برح به وغلبه ، فتزوج من محبوبته التي هي بونه في النسب ، وستر زواجه حتى كشفه نكده وسوء جده ، فثارت عليه أسرته ، وضغطت عليه بغية تطليق زوجته فلبى ، فعزموا على إخفائه من الوجود سراً ، فحملوه مع قفلة ذهب تمتاز من أحد موانئ المنطقة الشرقية ، وأسرت أسرته إليهم : أن إذا جنتم الدهناء فغيبوه في رمالها .

ولما وصلوا الدهناء وقالوا إلى جانب هذا النقي اصطادوا حوله ظيباً وغفلوا عن أسيرهم الذي أخذ من دم الظبي ، وانتبذ عن رفقته تحت ظل أرطاة ، وخلع ثوبه وجعل يكتب فيه من الدم مداداً ، ومن نوب مهجته شعراً ، حتى دونها قصيدة تبلغ خمسين بيتاً تضمنت لوعته ، ولهيب أنفاسه ، وصادق شكواه ، وظلم أسرته (٨٧) .

قال أبو عبد الرحمن : لا عتب على العوام في أساطيرهم ، وإنما العتب على الشيخ عبد الله حيث لم يقرأ القصيدة قراءة تتبع ونقد ليرى مدى دلالتها على ما ذكر .

والقصيدة ليس فيها شيء مما ذكره الشيخ عبد الله عن شكواه وعن ظلم أسرته له .

وهذه الظبي من نبحها حتى يكتب من دمها قصيدة ؟ ! .

لقد صادوها بلا شرك ولا رمي ولا عصا ، وإنما أخذوها نائمة ، وقد حاول المطوع فكها فأبوا ، فهو لن يحاول فكها إلا وهي سليمة لم تنبح .
إن كان نبحها هو فذلك بعيد وهو أسير ، وهواه أن تطلق .
وإن كانوا نبحوها هم فذلك حال قرارهم وجلوسهم للطبخ لا حال غفلتهم .

وعلى أي حال فنبح الظبي محتمل ، والكتابة من دم الظبي في الثوب محتمل بعد ، إلا أن القصيدة لا تدل على شيء من ذلك .

قال أبو عبد الرحمن : والقصيدة الهائية عن فتاة دارها في المنطقة الشرقية تذكرها وهو في الدهناء آتياً من أشيقر ، وهذا خلاف ما جاء في الأسطورة التي ذكرها الضويحي من كونها خضيرية ، وكونها جارة لهم بأشيقر ؟ ! .

وفي الأسطورة أنه تزوجها سرّاً ، ولما شاع الخبر أرغم على طلاقها فعرض إيهامه فمات !! .

قال أبو عبد الرحمن : الذي في القصيدة خلاف ذلك ، وهو أن المطوع لا يتشكى من أقاربه هو حيث حالوا بينه وبينها ، وإنما تشكى من قصر زوجها أو قصر أهلها حيث حال بينهما ، وندب حظه حيث فاقته إلى زوج آخر إما لأنه بلغه العصر الحديث كان خطيبها ، وإما لأنه طلقها :

معسل ثانياً صاحبي فأت عني

كما فات لقاي الدلي رشاه

الا واشقا روعي الى صار صاحبي

جضيع لغيري واحترمت لقاه

وهو يعتب عليها لجفاتها عنه فيقول :

من باعنا بالهجر بعناه بالنيا

ومن جذ حبلي ما وصلت رشاه

وتعلق الحكواتي بأهداب من القصيدة ، فمن ذلك ما ذكره عن

صغر سنّها وأنها لا تحفظ السرّ ، فجاء في الأسطورة أنها أشاعت خبر

الزواج ، فكان ذلك ضرراً عليهما لأنهما غير متكافئين في النسب .
وفي القصيدة أنه مر بالدهناء ، فجعلوا الدهناء مصرعه .
وفي القصيدة أنه عض إبهامه ندماً فجاءت الأسطورة تقول :
إنه قطع إبهامه ليموت !! .

قال أبو عبد الرحمن : القصيدة لم تعين السر ما هو ؟ ، وأنه
إفشاء أمر الزواج ، لتكون القصيدة شاهدة للأسطورة ، وإنما دل
السياق على أن المحبوب صغير السن لم يبلغ سبعة عشر عاماً
لا يفرق بين عدوه وصديقه ، وأنه يفشي السر :
كن عن صغير السن حذر ولا تكن

تنوع الى شفته بسن سفاه
ان كان ما جاوز ثلاث مع أربع
وعشر فلا يشفي الفواد لقاه
تعاويه ما يدري وتصافيه ما دري

وما عطي من غالي الحديث حكاه
فهو طلقها إن كانت زوجة ، أو هجرها إن كان يحلم بها زوجة
لأنها جفته .

ولو كانت غير عربية أصيلة ، وكان يحبها ، وكان تزوجها
سراً ثم أرغمه قومه على طلاقها لكان السياق بخلاف ذلك .
وأضاف سياق الشيخ منذيل أنه أنجب منها ولداً ، واستفاض
عند الناس أن أسرة في الزلفي من نرية المطوع من قبل هذه الفتاة .

قال أبو عبد الرحمن : بل إن بعض أبناء عمي بسدير يدعي أنه من نرية المطوع من قبلها في أسطورة وهيب وضبيب ؟ .

قال أبو عبد الرحمن : إذا صح أن المطوع تزوج خضيرية ، وأنها أنجبت منه ، وأنه أرغم على طلاقها : فتلك قصة أخرى لا علاقة لها بقصائد المطوع إلا أن تكون الخضيرية أم محمد التي فارقها ونكرها في العينية فحسب .

وإذا صح أن المطوع من قتالي الغرام ، وأنه مات بالدهناء ، فتلك قصة تصح بصحة دليلها إذا وجد ، ولا علاقة لذلك بقصائده ومروره بالدهناء المذكور في القصيدة .

ويضيف سياق منديل أنه لم يمت بعض الإبهام ، وإنما مات جزعاً وقهراً ، وقهر الرجال يقتل ، وقد استعاذ منه رسول الله ﷺ .
وحيثئذ يكون عض إبهامه عضاً عالياً لشدة الأسف .

وفي سياق الشيخ ابن خميس ذكر أن المطوع من أهل العلم ، فعمل سنده في ذلك كونه مطوعاً إذ لا أعرف للمطوع ترجمة ، وليس مشهوراً بين علماء نجد .

وأئمة العوام منهم ، فإذا حفظ العامي شيئاً من كتاب الله وتلا بقيته نظراً فهو مطوع عامي !
وقصائده تدل على أنه عامي .

ولقد حاول ابن خميس جر واقع القصيدة إلى هدف الأسطورة ، فعَدَّ ذهاب المطوع مع العقيليين لأجل تغيب شمسِه حسب إيعاز

من الوهبة جماعة المطوع .

قال أبو عبد الرحمن : سياق القصيدة يدل على أنه ذهب من
أشقر في طلب العقيليين فأدركهم في الجو ، وأنه تذكر الحبيبة
بسبب الغزال ، وأنه أشار إلى أن محبوبته في طريق العقيليين إلى
دارهم ، فهو يخاطب العقيليين وهم في طريقهم إلى قصر محبوبته :
قلت أيها الركب الذين كلما

عنوا بان لكم من جانبيه بناء
وهذه الفتاة لم ينل وصلها ، فكيف تكون القصيدة شاهدة على
جزعه عندما طلقت منه .
يقول :

سيره مروع لغيري الى اهوى

وساقيه ما ينحي عليّه ماء
وأما عض الإبهام ، وقرع السن ، والصفق على اليد
فعلامات على الأسف والجزع . ما ذكر ولا عقل أن أحداً يموت من
تلك الأفعال !! .

وهو عض أنامله من أجل مصيبتّه :

وعضيت باطراف النواجذ اناملي

وقلت آه من حر المصيبة آه

وقد عين مصيبتّه وفسرها بأن سير محبوبه مروع لغيره ،
وأنه هجره ، وأقفى عنه :

من عاقنا عفناه ولو كان غالي

نبيعه بزهد في حدود غلاه

فليس هناك قبيلي وخضيري ، وليس هناك إرغام على طلاق .

ولعله يشبه لأحد القراء بقول المطوع بعد عض الأنامل :

إذا جا حمام الموت ما ينفع الدوا

يموت الطبيب ولا يفيد دواه

قال أبو عبد الرحمن : هذه حكمة ينثرها الشعر العربي بتداعي

الخواطر ، فالشاعر مصاب بهجر حبيبه ، والهجران يحدث علة ،

ولهذا قال بعد التأوه بعض الأنامل مباشرة :

ولو ان بقولة آه تبرات عتلي

لكان أكثر في ضميري آه

وحمام الموت يعقب العلة عادة فذكره .

قال أبو عبد الرحمن : والقصيدة في عمومها ليست لوعة ووجداً

محرقاً ، وإنما هي أوصاف غزلية وخيالات لا تكون إلا مع فراغ

بال كقوله :

خليلي ولو ييزق على الشري ريقه

غدا كالعسل كل يريد شراه

خليلي ولو يمشي بقاع تزخرف

وزهره ينور عند وقت مشاه

قال أبو عبد الرحمن : ولو كانت القصيدة في سياق وجد محرق لكانت

بعض المبالغات عن خيال ملتصق بواقع الشاعر غير مجرد كقوله :
خليلي ولو يزرع زريع سقيته

بدموع عيني لو يشح السحاب بماء
حينئذ نقول : رأى غزارة دمعته فتخيل .

وتوحي القصيدة بتناقض فهو في أول القصيدة متيم منقاد :
خليلي ولو حال البحر عنه دوني

نبيت روعي فوق لجة ماء
خليلي ولو ياطا على حر جمرة

أطا بما ياطا واصير حـذا
ثم قال في آخر القصيدة :

من باعنا بالهجر بعناه بالنيا

ومن جذ حبلي ما وصلت رشاه
الاقفا جزا الاقفا ولا خير في فتى

يريد هوى من لا يريد هـواه
ومن عافنا عفناه ولو كان غالي

نبيعه بزهد في حدود غـلاه
فإن كان هذا تناقضاً فهو دال على أن القصيدة مجرد تغزل
وأوصاف دون تجربة غرامية تنظم أفكاره وعواطفه .

وإن كان غير تناقض فمخرجه أنه يقص حالة شعوره وتتيمة
قبل أن يجفوه حبيبته ، ثم قص حالة شعوره بعد أن جفاه حبيبته .

إلا أن تعزز المطوع ، وسلوه ، ومقارضته الهجر بهجر ، وإضرابه بطلب السقيا لبلاده أشيقر يدل على أنه لم يمت غراماً بحبيته فور قوله لهذه القصيدة ، وأن معه بقيا صبر لو كان فعلاً في غابة الوجد . وفي القصيدة صنعة لفظية متكلفة لم أفهم معناها ولا أظن أن وراءها كبير معنى .

ولعلها من وضع بعض الرواة ليجعل من القصيدة شيئاً ، إذ كانت القصيدة عادية ، وقد أريد منها أن تكون شواهد لأسطورة . . وهذا هو المتكلف من القصيدة :

وطا ما وطا واللي وطا بعد ما وطا

غطا ما وطا واللي وطاء غطاء

محا ما محا واللي محا بعد ما محا

محا ما محا واللي محا محا

نصى ما عصى واللي عصى بعد ما نصى

نصى ما عطا واللي عطاء نصاه

قال أبو عبد الرحمن : وبإيجاز فموت المطوع صريع غرام ، وقصة دفنه في نقى المطوع ، وقصة الخضيرية والقبيلي كل ذلك أسطورة إن كان الشاهد القصيدة الهائية .

قال أبو عبد الرحمن : نقى المطوع معروف مشهور ، وقد يقول

قائل : هذه الشهرة لا تأتي من فراغ ؟ ! .

والجواب : أن الشهرة قد تكون عن أسطورة ، فلما شهرت

الأسطورة وكان شاهداً القصيدة الهائية التي ذكرت فيها الدهناء عيّن مكان مصرع المطوع في الدهناء ، أو مكان إنشاده لدعاء .
وقد يكون مكان صيد الظبي الذي حاول المطوع إطلاقه معروفاً يقيناً أو تخميناً .

وقد يكون المطوع هلك في الدهناء لعارض طبيعي بعيد نظمه للقصيدة ، فكان موته من المقومات الواقعية للأسطورة .
وقد يكون هلك وجداً على حبيبته المذكورة في القصيدة الهائية - وهذا احتمال مستبعد لما مر من تعليل - ، وعلى هذا يكون القبلي والخضيرية والموت بسبب الطلاق مجرد أسطورة إذا أريد ربطه بالقصيدة الهائية .

فإن كان المطوع أهلك في الدهناء بأية وسيلة بسبب زواجه من خضيرية فلا علاقة لذلك بالقصيدة الهائية ، فيحتاج إلى نقل موثق أو شاهد غير القصيدة الهائية .

وقال الأستاذ سعود بن يوسف عن أخبار المطوع : « له قصة مشهورة يتردد صداها في نجد والخليج العربي ، وهي أن شاعرنا كان يعمل في بستانه المسمى بالنجيمي الشارب من بئر العلا شمال أشيقر حيث رأى فتاة جميلة من آل عزّام في أحد البساتين المجاورة لبستانه ، فأعجب بها ، وخطبها من والدها لتكون زوجة له ، ولكن والدها امتنع عن ذلك ، ورفض طلبه لأسباب اجتماعية ، حيث إن بعض العادات والتقاليد في نجد تمنع ذلك .

فألح عليه مراراً، وأقنعه بأن الزواج لا يتنافى مع الدين .. أما بخصوص أهله فإنه سيقوم بإقناعهم فيما بعد، فوافق والدها فتزوج ابن عبد الرحيم الفتاة سرّاً، وكانت صغيرة لا يتجاوز عمرها الرابعة عشرة .

وفي يوم الجمعة (وكان شاعرنا ذاهباً إلى الصلاة) دخلت الفتاة بستان زوجها أثناء ذهابه للمسجد لتأخذ بعض الخضروات ، وفي أثناء قطعها الثمار رأتها أخت الشاعر ، فاتهمتها بالسرقة ، فقالت الفتاة : أنا لم أسرق ، إنما أخذته حلالاً من بستان زوجي .. علماً بأن زوجها أكد عليها بكتمان السر ، ولكن لصغر سنّها أباحت جميع أسرارها ، فلما سمعت أخت الشاعر كلامها انصدمت وقالت : هذه اكبر من تلك (تعني أن الزواج أعظم من السرقة) .

فذهبت أخته مسرعة إلى إخوتها وأخبرتهم عن زواج أخيها من بنت العزام ، فغضبوا ، وثاروا، وحاولوا إقناعه بتطليقها وإلا قتلوه . ولكنه أصر على إيقانها زوجة له ، فكرروا ذلك مراراً ولكن دون جدوى ، فعقدوا العزم على أن يذهبوا به إلى الدهناء بهدف ترويعه وإيهامه بأنهم سوف يقتلونه لكي يعدل عن رأيه ، وفعلاً ذهبوا به إلى الدهناء ، فلما وصلوا إلى المكان الذي يسمى الآن باسمه نقا المطوّع اصطادوا ظبياً فقال : كان هذا الظبي فلانه ..

ثم ذهب بعيداً عن إخوته بحجة قضاء الحاجة ، فلما وصل أعلى الرمل أخذ يكتب قصيدة على عباقته بالدم الذي استخرجه من رأس الإبهام نظراً لعدم توفر مادة للكتابة ، وفور الانتهاء من كتابة

القصيدة أسلم الروح إلى بارنها ، حيث قال في قصيدته :
قال التميمي والذي عاش متصرف

مدى العمر ماشا في زمانه جاه
أطرب لركب من عقيل تغللا

من نجد الى السيف المريف مداه
هذا هو الشائع عند عامة الناس إلا أن هناك من يرى أنه كتب
القصيدة بدم الظبي الذي نبهه إخوته . وهذا الرأي أسلم وأولى ،
لأن الرأي السائد بأنه كتب القصيدة بدم إيهامه يعني عزمه على
الانتحار ، وهذا يتنافى مع عقيدته الدينية .

وكان ابن عبدالرحيم ذات يوم جالسا في سوق أشيقر التجاري إذ
جاءت فتاة بدوية اسمها سلمى إلى السوق ، فشاهدها وتعلق بها وكانت
جميلة ، فأعجب بها وأخذ يسارقها النظر ، فلما أخذت حوائجها
رجعت مع الطريق الشرقي باب العقلة قاصدة مضارب أهلها القاطنين
على جو أشيقر ، فخرج يتبعها على الأثر حتى وصل إلى المضارب ،
فراه والدها فاستنكر منه ذلك التصرف ، وضربه ضرباً مبرحاً .

بعد ذلك رجع إلى البلد ، وبعد فترة أخذ يتردد على مضاربهم
على موارد المياه ، ويتظاهر بأنه يبيع ويشترى ، وأخذ يقابل النساء
ومن بينهن هذه الفتاة المسماة سلمى ، وينظم الأشعار ، وأعجبت الفتاة
به شعراً وأدباً وكرهت أن تبادلته المشاعر ، وحينما وجدته قد تعلق
بها طلبت منه أن يمهلها ثلاثة أيام ، وكانت هذه الأيام الثلاثة هي فترة
الاستعداد للرحيل ، وحينما خرج للقاءها في اليوم الثالث وجد أن أهلها

يستعدون للرحيل ، فخرجت إليه وقالت : اجلس في البيت هذا اليوم
ولا يراك أحد وصنق كلامها لشدة تعلقه بها ، وفي آخر النهار
رأى أن القوم أخذوا في الرحيل بالفعل حيث رآها وهي على جملها
تشير له بكفها دليلاً على الوداع .

وسارت وسار خلف القافلة ، ولكنهم أخذوا في السير الحثيث ،
وغابوا عنه وخيم الليل ، وأخذ ينادي : يا سلمى .. ولكن لا جدوى
من ذلك فرجع إلى البلد متأثراً وقلقاً ، وأنشد قصيدة مطلعها :

حورية العين حورا الجبين
من البدو من شافها يهربي

إن غنت يم بدو فيدنى لها
ظلة حس جرسانها تعولي

كما كانت هذه القصيدة دافعا لقول قصيدة أخرى منها :
أبحث العزا يا شكر في راس مرقب

وجريت الحان عليه عذاب

قال أبو عبد الرحمن : الذي أعرفه من شعر المطوع خمس
قصائد ، فالأولى قوله (٨٨) :

(٨٨) القصيدة على البحر الطويل ، وزنها :

فعولن - مفاعيلن - فعولن - فعولن

فعولن - مفاعيلن - فعولن - فاع

ويكثر الخرم في هذه القصيدة في الصدر والعجز بحيث تكون فعولن فاعل ..
والعروض مفاعيلن تارة ، وفعولن تارة .

وهي مدونة في لباب الأفكار ٧٣٤/٢ - ٧٣٦ ، وأول من نشرها مطبوعة ابن
سيحان في التحفة الرشيدية ٧٩/٢ - ٨٠ ثم نشرها الضويحي في كتابه
الفنون الشعبية ص ١٧٠-١٧٤ ، والشيخ منديل في كتابه من آدابنا الشعبية ==

يقول التميمي الذي شب مترف

مدى العمر ما شأ في زمانه جاه (٨٩)
أطلبت ركب من عقيل تقللوا

من نجد الى الريف المريف مداه (٩٠)
شدوا بنا من جو عكل وقوضوا

على كل هباع يمد خطاه (٩١)

== ٢١٧/١ - ٢١٩ ويظهر أنه أخذها من الشيخ ابن يحيى ، وابن خميس في معجم اليمامة ٤٢٣/٢-٤٢٥ ، وأبو بطين في كتابه من عيون الشعر الشعبي ص ٤٢٤-٤٢٥ ، والهطلاني في كتابه ديوان الدر الممتاز ٩٢/٢ - ٩٦ ، ونشرت بجريدة الرياض عدد ٧١٣٢ في ١٣/٥/١٤٠٨ هـ ص ٨ .
قال أبو عبد الرحمن : وهي عندي صورة من أصل خطي حديث ناولني صورته الأستاذ عبد الرحمن المانع في ١٨/٣/١٤٠٩ هـ .

(٨٩) النطق الفصيح : ما شاء جاءه ، لأنه مترف .

وعند ابن سيحان : والذي .. ما جا في زمانه ..

(٩٠) في رواية : أطرب ركب من عقيل .. وعند ابن يوسف : أطرب لركب .

ومعنى أطلبتهم لحقت بهم .

وربما قيل : هذه الرواية يردها البيت الثاني : شدوا بنا من جو عكل .

فكيف يشد معهم ثم يكون لحق بهم ١٩ .

قال أبو عبد الرحمن : يكونون حينئذ فاتوه في البلد ، فلق بهم في الجو منيخين

فشد معهم .

وعلى فرض أنهم لم يفوتوه في البلد وأنه خرج إليهم في الجو ، فالتعبير عند

العوام أن من ذهب للحاق بقوم فقد أطلبهم .. أي سار في طلبهم .

وفي رواية : الى السيف المريف .

وهي رواية محتملة ، والأكثر : رواية الريف المريف .

ورواية « أطرب » لا معنى لها في هذا السياق .

(٩١) الأكثر رواية حدروا بنا من جو .. أو تحدروا .. إلا أن كل ذلك مختل الوزن .

علاكم تجد السير لكن وصفها
 على قطعة البيدا وكثر سراه (٩٢)
 صريمة ربد حدها جال تيما
 على الارض من عالي البنا بوطاه (٩٣)
 فلما جوا الدهنا والانسان ماله
 ملاذ وما يكتب عليه وطاه
 لقوا شادن في زربها مستكنة
 حماها عن اوهاج السموم نراه (٩٤)

(٩٢) عند ابن يوسف : لكن وضعها .

(٩٣) تيما : تيماء وهي مطلق فلاة ، أو قفرة مضلة مهلكة ، أو واسعة .
 وصريمة الربد القطعة من النعام ، أو نعمة صريمة أي سريعة . . وطاة : منخفضة .
 قال أبو عبد الرحمن : هذا معنى للمفردات ، وأما المعنى المجمل فغير واضح .
 وفي النسخة الخطية رواية أخرى لهذا نصها .
 صليخة حزم هدها جال نحا

من الأرض الى عال البنا وطاه

والشطر الأول منكسر ، ويستقيم إذا قيل : جال تيما .
 والمعنى غير واضح .

وعند ابن يوسف : صريمة حزم حدها . . وطاه .
 وعند ابن يوسف بعد هذا البيت :

قلت ايها الراكب الذي كل ما عنوا

يبين لكم من جانيبه نباه

(٩٤) عند ابن يوسف : لقوا جادل . . واهج .

قال أبو عبد الرحمن : الظبي لا تكون جادلاً .

- خذوها بلا رمح ولا بالعصي
ولا حط لها حبل الشرك تاطاه (٩٥)
غشاها لذيق النوم والنوم قد غشا
من القوم حذر وابتلاه عداه (٩٦)
فقلت لآخواني ومثلي ومثلهم
يشكي الى من الزمان وطاه (٩٧)
دعوها سبيل كود من ذي فعاله
يجزى على فعله يشوف مناه (٩٨)
بغيت بفكتها وعيوا عليها
واشغل بقلبي من عناه بلاه (٩٩)

- (٩٥) يريد أنهم لم يصيدوها برمي أو حباله ، وبين في البيت بعده أنهم صادوها
لأنها كانت نائمة .
وعند ابن يوسف : لا برمح زرق .
(٩٦) عند ابن يوسف : وابتلوه عداه . وقبله عنده :
غزال يشابه لخلي ومثله
عنق وعين والحلايا
ويستقيم وزناً هكذا :
غزال كما خلي ومثله وصايف
بعنق وعين والحلايا حلاه
(٩٧) عند ابن يوسف : أقول لآخواني . . يشكي همومه إلى من الزمان وطاه . .
وهو منكسر .
(٩٨) عند ابن يوسف :
دعونا نخوض الغي والغي رادة
كوده لى راني يشوف مناه
والبيت بهذه الرواية لا يناسب السياق .
(٩٩) عند ابن يوسف : طلبتهم فكتها . . واشغل بقلبي .

- يا شمل يا مامونة الهجن هوذلي
الى دار من صعب علي لقاءه (١٠٠)
دقاق الحجل والطوق يا ناق وان طرى
على القلب زاده من عناء ولاه (١٠١)
دعونا نخوض الغي والغى رادة
كوده الى راني يشوف مناه (١٠٢)
عطا الله قصر حال بيني وبينها
لنجم من المولى يهد بناه (١٠٣)

- (١٠٠) عند ابن يوسف : دار من عسر •
وقبله :
واقفت مثل هرش من الرمل موقف
تحايد عن المالين حل ظمـاه
يشم مزاعيج الحياض ويعافه
لين الجم عن جال القلب حداه
أقفى وهو يتلى سنا نوض بارق
يصعب على الريدا سفايح مساه
واقفيت يم الطعس ميس حياتي
ولا لي بعد خلي من الزاد شهاه
عزي لعيني عذبتني بالشقا
ودمعي جرى من ناظري واحفاه
وعند ابن يوسف : دقاق حجل المواق ••• شقا •
(١٠١) ولاه : ولاؤه •
وقبله :
تلفي لخلاني وخلي واهلها
في حايط العزام بستان ما حلاه
(١٠٢) رادة : إرادة •• راني : رآني •
(١٠٣) عند ابن يوسف : لعل قصر •
يارب عطنا رجفة تجمع الملا
حتى بها خلي يطير غطاه

- خليلي فلو ياطا على حر جمره
 (١١٣) أطا بما ياطا واصير حذاه
 خليلي فلو يزرع زريع سقيته
 بدموع عيني لو يشح السحاب بماء (١١٤)
 خليلي فلو ييزق على الشري ريقه
 غدا كالعسل كل يريد شراره (١١٥)
 خليلي فلو ياطا على قبر ميت
 تكلم دفين القبر حين وطاه (١١٦)
 خليلي فلو يمشي بقاع تزخرف
 وزهره ينور عند وقت مشاه (١١٧)
 معسل ثنيا صاحب فلات عني
 كما فلات لقاى الدلي رشاه (١١٨)
 يارب عطنا رجفة تجمع الملا
 حتى بها خلي يطير غطاه

- (١١٣) عند ابن يوسف : خليلي لو ياطا على جمره الغضا وطيت ما ياطا .
 (١١٤) عند ابن يوسف : خليلي لو .. لو زل السحاب .
 والفاء قبل « لو » أثبتتها دائما لأجل الوزن .
 (١١٥) عند ابن يوسف : غدا عسل واغنى التجار شراره .
 (١١٦) عند ابن يوسف : راعي القبر .
 (١١٧) عند ابن يوسف : لو ياطا على قاع تزخرفت .. وصارت مثل مسك يفوح
 شذاه .
 (١١٨) عند ابن يوسف : خليلي معسول الثنيات فاتني .

- الا واشقا روعي الى صار صاحبي
 جضيع لغيري واحترمت لقاه (١١٩)
 سيره ممروع لغيري الى اهتوى
 وساقيه ما ينحي عليه ماه (١٢٠)
 من باعنا بالهجر بعناه بالنيا
 ومن جذ حبلي ما وصلت رشاه
 الاقفا جزا الاقفا ولا خير في فتى
 يريد هوى من لا يريد هواه
 ومن عافنا عفناه ولو كان غالي
 نبيعه بزهد في حدود غلاه (١٢١)
 كن عن صغير السن حذر ولا تكن
 دنوع الى شفته بمن سفاه (١٢٢)
 ان كان ما جاوز ثلاث مع اربع
 وعشر فلا يشفي الفواد لقاه (١٢٣)

- (١١٩) عند ابن يوسف : الا واشقا قلبي الى صار صاحبي .
 (١٢٠) البيت كناية عن جفاء الحبيب ووصله لغير الشاعر، ومرع السير دهنه
 ليسير، وعند ابن يوسف : ويهتوي . . . عليه بهاء .
 (١٢١) لم يرد هذا البيت عند ابن يوسف .
 (١٢٢) معنى دنوع هنا سريع الميل للحسناء الصغيرة . . سن : عمر . . سفاه :
 سفاهة كناية عن الصغر .
 (١٢٣) عند ابن يوسف : الى صار ما تاخذ ثلاث مع اربع .

تعاذيه ما يدري تصافيه ما درى
وما عطي من غالي الحديث حكاه
وعضيت باطراف النواجذ اناملي
وقلت آه من حر المصيبة آه (١٢٤)
ولو ان بقولة آه تبرلت علتلي
لكان أكثر في ضميري آه (١٢٥)
إذا جا حمام الموت ما ينفع اللدوا
يموت الطبيب ولا يفيد دواه
والايام ما خلن حد ماكونه
ومن لا كونه عاييت عباه (١٢٦)
ولا صار ما يجفاك بالناس عالة
ولا خير نرجي السنوع وراه (١٢٧)
لا من محاملها ولا من ثقالها
فلك عن ارازيل الرجال غناه

(١٢٤) عند ابن يوسف : ايمت من روعي وعضيت اناملي .

(١٢٥) عند ابن يوسف :

لو ان قوله آه تبيري علتلي

كان أكثر بالضمير قوله آه

(١٢٦) ما كونه : ما كونه . . عاييت : معدت . . عباه : ما يعد له .

وعند ابن يوسف : الايام ما خلن من لا كونه .

(١٢٧) ما يجفاك : الذي يجفوك .

ولم يرد هذا البيت عند ابن يوسف .

ودع ذا وسل والي السما في محتتم

سرى يشعق الظلما شعاع سنه (١٢٨)

لكن براى الله يوم اطلقت

عزاليله واضفى بالسحاب رداه (١٢٩)

حواريك تبين بالزعازيع زجهـا

من الريح زعاج يزج سفاه (١٣٠)

وطا ما وطا واللي وطا بعد ما وطا

غطا ما وطا واللي وطا غطاه (١٣١)

محا ما محا واللي محا بعد ما محا

محا ما محا واللي محا محاه (١٣٢)

نصى ما عصى واللي عصى بعد ما نصى

نصى ما عطا واللي عطاه نصاه (١٣٣)

(١٢٨) عند ابن يوسف : بنور سنه .

(١٢٩) عند ابن يوسف :

لكنه بامر الله يوم تطلق ركونه

أزاليله وصف للسحاب رداه

(١٣٠) حوارك تبني والذراعين ترجهـا

من الريح زعاج وطار سفاه

(١٣١) عند ابن يوسف :

غطا ما وطا واللي وطا غطاه

(١٣٢) عند ابن يوسف :

ومحا ماتحا واللي محا محاه

محا ماتحا واللي ماتحاه

(١٣٣) عند ابن يوسف :

عصى ما نصا واللي عصاه نصاه

وبين اثار اللي درس مجراه

قال أبو عبد الرحمن: هذه الأبيات الثلاثة مقحمة متكلفة مكسرة غير مفهومة.

وان كان لي ظن وفي الظن هاجس

فقد حال بين البازمين غثاه (١٣٤)

جاز وتحدر للرياض العشيبية

والمنحنى يزي الرعية مـاه (١٣٥)

وصلوا على سيد البرايا محمد

عدد ما حنب رعد وناض سنـاه (١٣٦)

(١٣٤) البازمين : في الفصحى تأتي المادة للرعاة الذين يوزمون الإبل (أي يحلبونها

بالمسابة والإبهام) ، واللصوص يوزمون الثوب بمعنى يسلبونه ، . . . وتأتي

يوزم بمعنى يعرض . . . كأنه عرض أصابعه ندماً على تأخره عن دخول البلد

قبل أن يحول دونه السيل .

قال ابن يوسف عن البازمين هنا : طريقان يفصل بينهما هضبة الحليلة جنوب

شرق أشيقر .

(١٣٥) عند ابن يوسف :

سقا الله من عوصا إلى السهل رايح

والمنحنى يسقي الرعين بمـاه

والمنحنى يسقي رياض عشايـب

رمحين والروضة مدبـاً غـاه

إن كان لي ظن وفي الظن هاجس

قد حال بين البازمين غثاه

وبعد قول ابن عبدالرحيم : « الايام ما خلن حد ما كونه » ورد عند ابن

يوسف :

لا تقطعون الحب مني وخلي

خلوا مجاري الحب يتبع هواه

يعمل يومي بالملأ قبل يومه

ويعمل عمري للحبيب فـداه

قطع الله من فرق حبيب وحبيبة

واسقاه من طين الخبال بمـاه

خلي قضى مثبات موسى وضفدعت

خباريه واخضررت عليه شباه

(١٣٦) عند ابن يوسف : ما حن رعاد وناض سنـاه .

وهذا نص قصيدته البائية الثانية (١٣٧) :

أبحت العزى^١ يا شكر من فوق مرقب

وجريت الحان عليه عجاب (١٣٨)

على مثل غصن الموز غض شبابه

يقود الهوى بين شفتيه عذاب

وباعتهما والسوق بيني وبينهما

وبيع على بعض المزار كذاب (١٣٩)

وساومتها في السوق والناس تنظر

والى من بغى يا طا الحبايل هاب (١٤٠)

لحقته الى باب العطيفة ظاهر

حتى غدا بين البيوت ذهاب (١٤١)

وانا من حضر قاعد وهي بنت بادي

وطرد البوادي للحضور عذاب (١٤٢)

(١٣٧) هذه القصيدة عن نسخة خطية حديثة ناولني صورتها الأستاذ عبدالرحمن

المانع في ١٨/٣/١٤٠٩ هـ ، وأصلها من مكتبة الشيخ عثمان بن عبدالرحمن

أبا حسين الحميدي إمام مسجد الشمال بأشقر ، وذكر في النسخة أن المطوع

قالها في شبابه ، وهي بلباب الأفكار للشيخ ابن يحيى ٧١٧/٢ - ٧١٨ .

(١٣٨) في الأصل : راس مرقب . . وعند ابن يوسف : براس مرقب .

(١٣٩) في الأصل : والبيع في بعض . . المزار : للمرات جمع مرة .

(١٤٠) في الأصل : وإذا بغى ياطا في الحبايل هاب .

(١٤١) عند ابن يوسف : ولحقته . . لينه غدا وقال : باب العطيفة هو باب حائط

جميلة شمال بئر الربيعية يلتقي سوق السديس المؤدي إلى خارج البلد .

(١٤٢) في الأصل : وهي بادي وأنا مع الحضر قاعد .

- فياليت زمول البدو يوم شدوا
 تكون على هاك النهار ذهاب (١٤٣)
 نطحني بغب الميل بالوادي الذي
 إذا قلت أنا انحيت بمسيله يهاب (١٤٤)
 تشدته بمن تعزى عليه وقال لي
 أنا من عقيل ما عليه طلاب (١٤٥)
 وقفى يخوض الما بخمص النواعم
 وساقين فيهن الحبول لباب (١٤٦)
 كشف لي على رفين لكنها
 أطاعيس رمل هل عليه سحاب (١٤٧)
 تبسم على غرة لكنه بلولو
 يردن من عاف السفاه وتاب (١٤٨)
 ويا حلو تقطيف الثمر من غصونه
 يزيد الفتى ما دام فيه شباب (١٤٩)
 الى صار ما جان جنى من ثماره
 يخيب ومن لاذاق جنييه يخاب (١٥٠)

- (١٤٣) في الأصل : تكون هاك النهار .
 (١٤٤) في الأصل : غب . . إذا قلت أنا انحيت في مسيله هاب .
 (١٤٥) في الأصل : وقال - بدون لي - . . ما علي .
 (١٤٦) عند ابن يوسف : واقفى . . بخمص نواعم .
 (١٤٧) في الأصل : وكشف . . عن رفين .
 (١٤٨) في الأصل : وتبسم . . عن غرة تقل لو لو .
 (١٤٩) عند سعود اليوسف : لقول ما حلا .
 (١٥٠) وعند ابن يوسف : كما في الأصل ولكن بلفظ أثمار الهوى . . جنييه .

ألا يا حمامات النجيمي وما حلا

(١٥١) غناكن لولا أن الضمير مصاب

مصاب بعين ثم خد ومبسم

(١٥٢) وجيد ومجدول زهاه خضاب

فيا سدره الوادي سقيت من الحيا

(١٥٣) عليك غمام ثم عقبه سحاب

وصلوا على سيد البرايا محمد

(١٥٤) عدد ما ينوض البرق مثنى سحاب

وأما القصيدة الثالثة فهذا نصها، وقد قلها في شبابه أيضاً: (١٥٥)

ألا يا حمامات بعالي وشيقـر

(١٥٦) وراكن فراق والحمام جموع

ألا يا حمامات بليتـن بنـادر

بحرٌ وحطاب سطا به جموع

(١٥١) النجيمي : قال ابن يوسف : نجيمي السبيل ، وهو بستان نخيل يسقى من بئر العلا في شمال أشيقـر .

(١٥٢) في الأصل : مصاب من عين وخذ ومبسم .

(١٥٣) في الأصل : عليك غمام وعقب الغمام ، وعند ابن يوسف : غمام ومن عقب - بدون عليك قبل غمام - .

(١٥٤) في الأصل : وصلى الله .. ما ناض برق وهل .

والشطر الثاني عند ابن يوسف كما هو في الأصل .

(١٥٥) هي ضمن القصائد التي ناولني الأستاذ ابن مائع صورها كما مر ، وهي مثبتة بلباب الأفكار ٧٣٤/٢ .

(١٥٦) في الأصل : أشوف أن أفراد والحمام ربوع . والتصحيح من صحيح الأخبار ٢٠٩/٢ ، وعند ابن يوسف : وراكن أفراد .

أراكن تغنن فوق الاغصان سجع
ولا صابكن فرقا وليف طـوع (١٥٧)
وراكـن ما تبـكن لـخل غـدا لي
تهلن من عين عليه دمـوع (١٥٨)
الا واسفا بالجادل أم محمـد
فارقـتها واثـر الفـراق يـروع
وشبهـتها بالوصـف يا جاهـل بها
شـحم الكـلاوي في يـده يـمـوع (١٥٩)
بكيت عليها لين حـرقت ناظري
ولا ناب من أمر الاله جزوع (١٦٠)
الا يا مشـقين بدنـياكم أرفضوا
وراكم حصايدها تحصد زروع
وأضـاف الأستـاذ سعـود بن يـوسف هـذه الأبيات من روايته :

(١٥٧) عند ابن يوسف : وراكن .. ما صابكن وعند ابن يوسف : حر خطوف صاطي .

(١٥٨) أورد ابن بليهد بيتين من القصيدة هما المطلع ، وقوله :
أنا ابكي وعيني حرق الدمع خدها

وتبكن ولا يجري لكن دمـوع

وعند ابن يوسف : خل .. وتهلن من أعينكن .

(١٥٩) في الأصل : شحم الكلى من اليدين يجوع .. وعند ابن يوسف : حليتها بالوصف .. شحم الكلا بين اليدين .

(١٦٠) عند ابن يوسف : نواظري ولاتي من .

منها عيوني كل ما حل ذكرها
 تهل وتملا الوجنتين دموع
 ولاكن كبدي كل ما زامها الطنى
 عزّالها بعض المرار تـفـوع
 ولاكن قلبي كل ما حل ذكرها
 يحق له بين الضلوع طلوع
 تمنيت لا حافاني الله بالمنى
 إلى لي من بواليد الحديد ضلوع
 يرتن قلب طار من مستكنه
 قلب على فرقا الخليل جزوع
 عليها سلام عد ما ناض بارق
 واعداد ما هل السحاب هموع
 إلى أن يقول :

ألا يا مشيحين بدنياكم أوقفوا
 وراكم حصاصيد تحصد زروع
 ولا يد إلا ويد الله فوقها
 ولا طائرات إلا وهن وقوع
 ولا ضحك إلا والبكا مردف له
 ولا شعبة إلا ومقتفيها جوع
 ولا بد عقب الجوع ياتيه شبعه
 ولا بد راعي فرحة من روع

وإد جرى لا بد يجري من الحيا

من بارق يوضي سنياه لموع

قال أبو عبد الرحمن : هذا تداخل مع عينية بني هلال ، وعينية الخلاوي ، وعينية الشويمر .

وأما القصيدة الرابعة ، فهي رواية الأستاذ سعود بن يوسف وهذا نصها :

يا جانيات العصفرة الغض بالضحى

عليكن يا نجل العيون سلام (١٦١)

قالن سلام للمردان ولأهل اللحي

ومن لاح شبيهه ما عليه سلام (١٦٢)

يا عقدة الباب التي قد تهدمت

بناياك من طول السنين ثلام (١٦٣)

يا نبتة البرني سقيت من الحيا

سحاب ومن عقب السحاب غمام (١٦٤)

(١٦١) قال ابن يوسف : العصفرة نوع من الأشجار له ثمار كالزعفران ، وبذرتة كبذرة دوار الشمس .

(١٦٢) قال أبو عبد الرحمن : ورد هذا البيت في شعر لشايع الأمسح .

(١٦٣) قال ابن يوسف : عقدة الباب سور البلد الشمالي ويدل على تقادم العهد .

(١٦٤) قال ابن يوسف : نبتة البرني النبتة نوع من النخيل ، والبرني اسم للبستان الذي توجد به هذه النخلة ، وهو يقع أمام عقدة الحرمل من الناحية

الشمالية . . والبرني في الأصل نوع من الثمر يعد من أجود الأنواع التي تشتهر بها المدينة المنورة .

يا سدرۃ الفرغ الشمالي من العلا
مقيالها إلى خار النهار منام (١٦٥)
وأما القصيدة الخامسة فهي برواية ابن يوسف أيضاً، وهذا نصها:
حورية العين حورا الجبين
من البدو من شافها يهبل
إن عنت يم بدو فيدني لها
ظلة حس جرساتها يعول
وان عنت يم حضر فيبني لها
روشن فوق جمع الملا معقلي
وسلمى كما الريم لولا بها
خط نون على واضح النبل
وطق المطوع ولا انه صويب
صوابه خطير على مقتل
وطق المطوع ولا انه طريح
طريح ولا خبروا بي هلي
وقلب الهوى عادة ما يثوب
لو تعذله عن الحب ما يعذل
دخلت الفريق ومعى مصمدي
أدور به البيع والبذل

(١٦٥) قال ابن يوسف : سدرۃ الفرغ سدرۃ تقع شمال بنر العلا بأشقر خار ..
اشتد حره أثناء تعامد الشمس في كبد السماء .

وقالت يمينك نشوف الحبول

جداد ضعها ستاد بلي

وقالت علامك تطيل النظر

تحدد لي الشوف ما تخجل

فقلت لها من هواك صويب

فر وفي بحالي ولا تبخلي

فقلت لي أمهل علينا ثلاث

وعقب الثلاث فلا تمهل

مهلت الكثير برجوى القليل

ولا أمهل الله من يمهل

وكنيت في البيت ذاك النهار

مداري عن الشوق لا يزعل

ولا راعني غير شد الضعين

وصوت لآبوها يقول ارحل

فجأبوا لها أملح كالغراب

عريض الفطيجا من البزل (١٦٦)

وعبده تسوق وأخرى تقود

برفقي ولا بالعصا يرغل

(١٦٦) البزل : الفطر التي شق نابها .

وزمنها فوق عالي قـرـاه
 وقام البليهي بها يهـذل
 وقفت وهي تدعي بالسـلام
 وتومي ولاكن الاوماي لي
 وشبهت أصابع حسين الدلال
 حناييز رمل سقاما الولي (١٦٧)
 ورحت اتبع باثر ساقته
 على الشوف كود الغضي ينزل
 وحل الظلام وبن النجوم
 بليل سنا بدره منجلي
 وسار الدجى بطريق وانا
 بعيد عن النزل والمنزل
 وناديت سلمى ويا سلمتى
 ورد الصدى الصوت ما رنكي
 ويبست شفائي طريح الغرام
 غرام وظما واحتراق وصلي
 شربت الحمام قضيت النحيب
 براس ابرق نايف معتلي

* * *

(١٦٧) قال ابن يوسف : حناييز مفردها حنبازة ، وهي نبتة برية جنرها المنعمر في الرمل يكون ذا لونين احمر خفيف مختلط باللون الأبيض .

عشاق يطاولهم الضنى فيموتون جلدأ على عظم

قال أبو عبد الرحمن : من القصص في هذا المجال - على مذهب الواقعية الأدبية - قصة أبي عفاس ، وهي من صنع المؤلف .

قال أبو عبد الرحمن : كان أبو عفاس من لداتي وأترابي في القرية . .
إلا أنه بقي على أميته لم يلتحم معنا منذ التعليم الابتدائي المرحلي .
أما دراسته معنا قبل ذلك في الكتاتيب فقد كانت مجرد نزهة واسترواح ! .

وكان من الزكرت البارزين . . وميزة الزكرتي أنه يقضي أكثر الليل في الأنقاء يلعب أم غربيين في ضوء القمر تارة ، ويأخذ مكانه من الصف قائماً أو قاعداً تارة يردد مع السمار الحان أهل قريته الشعبية .

وربما تحيفوا تيساً أو دجاجاً من بيت أهلهم أو صديقهم أو من لا يعرفهم ، فتقرموا بهن ليلتهم سواء أو على طيخ .
وليس ذلك يُعدُّ سرقة ، ولكنه صعلكة وفتوة ! .
إلا أنه كان سيد الزكرت !! .

وميزة السيادة في الزكرت أنه فنان يأسر القلوب إذا ترنم ترنماً سانججاً .

إذا ترنم خلته مزماراً يلعب بأوتار القلوب .. وإذا لاعب الربابة
انطقها بأفصح عبارة ، ورقصها بالمعاطف ضاحكة أو بلكية !! .
وكان شاعراً حاضراً البديهة مليح المعشر ، وكان ذا بسطة في
جسمه مع أناقة .

وكان قوياً مهيباً مع جسارة قلب ونبل خلق .. جمع الله في
إهابه كل أريحية الصعلانيك !! .

والتقينا في المدينة بعد أن افترقنا في القرية .. كان في
حرفته .. وكنت في مواصلة دراستي ثم وظيفتي .

جاء إلى المدينة وقد أوشك على خلع رداء الخمسين ، وخطه
الشيب وخطاً سوياً ، وعوضه الله بأولاد تفوقوا في تعليمهم .

وأصبح هو من سوارى المسجد (أسطوانتها) سريع الدمعة
والتهيدة .. مكسور الخاطر كلما ذكرت الجنة أو النار .

وقد نسخ كل آثار الزكرته نصاعة القرية وشموخها ، ونقاوة
المأكّل والمشرب والملبس والكنز .

ولم يفقد شيئاً من حيوية الشباب سوى قدير كائنه مبدد على
عارضيه ولحيته السوية بريشة فنان ! .

وكننت أتعهد زيارته في اليومين والثلاثة إذا تأخر عن زيارتي .
وبعد تمام خمسة أعوام من مجيئي للمدينة لاحظت أن صحته
في انحدار ، وأن الغضون تفتحت في جبينه ووجنته إلا أنه يزينها
نور الحرفة والبراءة .

وكان يطرب إذا نكرته منسي الهوى وإن كان عنه تائباً !! .
وربما جلجل صوته العذب الخلاب بالهجيني أو السامر أو المسحوب
إذا استشهدت بشعر ابن سبيل ، أو ابن لعبون ، أو قول الوضيحي :
التايه اللي جاب بصري يقنه .

وأخذ منه النحول والتغير كل مأخذ ، فأصبح في لون الدبى
الكتفان أو الجرادة الزعيرية .

وأصبح ينوء بحمل العباءة الخفيفة ! .

بل عجز بأخرة عن أداء رياضته اليومية المحببة قبيل شروق
الشمس حينما يستدير على حديقة شمال المدينة ويقف وقفات مشدوهة
عند منحنى شارع الحديقة الغربي حيث الفران ، وحيث ينقذ من
ركنه الشمالي شويرع يتجه غرباً ويدك في بيوت شعبية .

وأخذ مني الهم والتفكير كل مأخذ في ظروف صديقي أبي
عفاس ، فتذكرت أننا منذ سنة فقط خرجنا من الفران متباريين وهو
يحمل كومة من الرغيف المستعر دون وقاية .. وفجأة توقف وهو
يلخص امتداد المنحنى العام إلى حيث الشويع الشعبي ، فرمى
بالخبز علي وهو يقول : اللهم صل على محمد !! .

وكان الخبز يتوقد ناراً ، فلففته في عمامتي ، وظننت أن الخبز
أحرقه .. وإذا الذي أحرقه شيء آخر !! .

لقد أسرع إلى قعر الشويع من جهته الأخرى ليلتقي بعابرة كانت
في أسبوع استعدادها للزواج ، وكان أهلها من معارفنا وجيراننا في القرية .

ولو لم يبد شيئ من زينتها المحجبة لكان في قسَمات جسمها من
خلال مشيتها ما يأخذ بتلابيب القلوب ؟ .

كيف وقد بدا لها كف ومعصم لا أشك أن امرأ القيس نظر إلى
مثله عندما قال :

كلمع اليدين في حبيّ مكلل

فهو يشبه البرق باليدين !! .

فتذكرت أن إبليس همز أبا عفاس في ذلك المكان حتى أصبح
التطواف به عادة ورياضة !! .

وتذكرت ما ترجمه لي من شكواه أنه فوق خمسين وهي بنت
ثمانية عشر عاماً .. وأنها بعد يومين ستكون ذات بعل .

ولو لم تكن كذلك لما كان يطمع في شيء إلا أن يكون فداءها
وخادم أهلها ! .

فذلك هو المحبوب الممنوع حقاً !! .

وما دار بخليدي أن تلك الهمزة ستصل به إلى هذه الحال ..
وكنت أظن أن تلك الشكوى من لغو القول ومبالغاته !! .

فنهضت على عجل إلى بعلها ، وكان صديقي في الدراسة ، وقد
حصل على شهادة الدكتوراه من مصر عن أريحية وهموم الشعراء
العذريين .. وكان يرغب في الحصول على الدكتوراه أيضاً من فرنسا
من جامعة طه حسين عن عذري الخواجات من أمثال لامرتين ..
كان الدكتوراه من البلاد العربية لم تملأ عينه .. وكأنه يريد إجادة
لغة خواجية .. !!

فشكوت عليه ما يلاقيه أبو عفاس - وكنا جميعاً زملاء في القرية أيام الأمية - وذلك عندما همزه إبليس في هذا المكان أسبوع الزواج ! .
فصاح بي : ويحك يا ابن عقيل !! . وأي شيء أعمله وأنا بعمل ! ؟ .

فقلت : تدعو أبا عفاس لنسمر عندكم للعشاء ، ولنجدد زكريات القرية . . ثم نتبادل الزيارات ، ويكون لزيارتنا لكم عادة لا تنقطع في الأسبوع أو الأسبوعين .
قال : هذا سهل .

قلت : ويرد عليه حرمك السلام من وراء الباب ، ويحفون السؤال عنه وعن أهله ، ويسألونه سماع أشعاره وألحانه ! .
قال : هذا وربي سهل .

قلت : ويلقون عليّ خمارهم بحاله غير مغسول فأصليه دفلية أو موقداً وأكمدته وأوهمه أن علاجه بالتكميد .
قال : هذه والله لا أطيقها .

قلت : الخمار كأي قطعة قماش لا يعلم مصدرها . . وإنما سأطلب أي قطعة قماش .

فإذا طلبت ذلك فلا تعطوني غير الخمار طرياً .
وهل يسركم أن تتحملوا إثم عزيز شفاؤه بأبسط الأسباب ؟ .
وما عليكم في هذا غضاضة والمجلس محفوف مني ، ومنكم ،
من أبي عفاس لا غير ! .

كيف لا وأنت بدراستك للدكتوراه خبير بأدواء العذريين ؟ ! .

قال : والله إنها قاصمة الظهر ، ولكنني أحتسب !! .

وخيل لأبي عفاس أن في الخمار سرّاً للعلاج ابتدعه الدكتور من

خلال تعلمه الجامعي . . وعاد أبو عفاس إلى أجود من حاله الأولى .

إلا أن جلسة التكميد إذا تأخرت أسبوعين أو ثلاثة يصاب بقلق

وضيق صدر !! .

وبعد عام واحد كان الدكتور وأهله على وشك السفر إلى باريس

للدراصة في السربون ، ولم يعد الخمار ينفع إذا أغب !! .

وواصل الدكتور دراسته سبعة أعوام لم يقض من إجازته ربع

يوم في بلد أبي عفاس ، فالتكست حاله حتى كان جلدأ على عظم

لا أكاد أسمع أنينه في فراشه ، وإنما كنت أستبين قوله إذا

رأني : الله يجعلها على الشهادة والعبادة يا أخوي - ولكن بدون

همزة - . . وكان يرفع سبابته .

فأرسلت البرقية تلو البرقية للدكتور بدل الخطابات الكثيرة

أستعجله ، فجاء البشير بانتهاء مدة دراسته ، وبموعد استقبالي لهم في

المطار ، فحملتهم بسيارتي ، وعندما حانيت المنحنى بُعيد صلاة

الظهر وجدت القوم زرافات ووحداناً قادمين من المقبرة مشيعين لأبي

عفاس رحمه الله (١) .

(١) في هذه القصة رد السلام من وراء الباب ، والاحتفاء بالسؤال عن أبي عفاس ! .

فربما ثارت ثائرة أحد المتحمسين وقال : كيف يجوز لها أن تحادث أجنبياً ولو

من وراء حجاب ! ؟ .

قال أبو عبد الرحمن : القصة نسيج أدبي ، ولكن لنا أن نتساءل واقعا : هل فيه قتالى من الحب حقيقة ؟ ! .

نعم فيه قتالى . . وقد ذكر ابن حزم منهم ابن قزمان أحمد بن كليب النحوي ، وجارية كان لها شاهد عيان ، وجارية أخيه أبي بكر ، وصديقه ابن الطنبلي التميمي ، وابن دحون . . ذكر ذلك في باب الموت من كتابه طوق الحمامة .

ولكن أبا محمد لم يذكر أنهم ماتوا بشهقة ، بل طاولهم السقام والنحول حتى أفضى إلى هلاكهم .

قال أبو عبد الرحمن : تخلل الفصل الذي قبل هذا عن عشاق يموتون بشهقة حديث عن أناس كانت شهقتهم بعد أن طاولهم الضنى .

-- قال أبو عبد الرحمن : صحت الأحاديث الشرعية الشريفة عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها ، فوصفها الراوي بأنها بيضاء موشومة اليدين . وابنة أبي نر ، وهي سفهاء الخدين .

وحديث عمران بن الحصين عن فاطمة - رضي الله عنهما - وقد ذهب للدم من وجهها ثم غلب الدم على وجهها وذهبت الصفرة .

ورأى ابن مسعود - رضي الله عنه - الأسدية وجبينها يبرق .

والمساق عريض في كتب الحديث والتراجم من عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى فواضل النساء اللاتي تلقين عن فحول العلماء وتلقوا عنهن منذ أحمد إلى ابن قدامة إلى ابن حجر والسخاوي . . إلخ . . وحادثن الرجال وحادثوهن في العلم وأمور الحياة العادية ، وانظروا أعلام النساء لكحالة .

وكانت سمراء بنت نهيك رضي الله عنها ذات درع غليظ ، وضمار غليظ بيدها موط تآمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

وكتب ابن بكار وغيره عن الوافدات من النساء على الخلفاء والملوك . وآخر من أدركهن جيلنا المريحية والبرازية .

وأم شريك - رضي الله عنها - قال عنها رسول الله ﷺ : تلك امرأة يغشاها أصحابي .

وكانت امرأة من الأنصار ثرية كثيرة النفقة في سبيل الله ينزل عندها للضيوفان .

قال أبو عبد الرحمن : أفلا يكون في الأمر سعة للسؤال عن صحة أبي عفاص وأهله من وراء حجاب ؟ ! .

وفي كلام أبي محمد عن علامات الحب نكر أنهم يسهرون ويبكون .

وفي فصلين آخرين ذكر آلام الهجر واليأس .

إلا أن أبا محمد احتاط في باب ما ينكر عن النحول ، وعدّ

بعض دعاوى النحول من أكاذيب الشعراء . قال : أبو محمد ابن

حزم : « ولم أمتنع أن أورد لك في هذه الرسالة أشياء يذكرها

الشعراء ويكثرون القول فيها ، موفيات على وجوها ، ومفردات في

أبوابها ، ومنعمات التفسير ، مثل الإقراط في صفة النحول وتشبيهه

الدموع بالأمطار وأنها تروي السفار ، وعدم النوم ألبتة ، وانقطاع

الغذاء جملة ، إلا أنها أشياء لا حقيقة لها ، وكذب لا وجه له ، ولكل

شيء حد ، وقد جعل الله لكل شيء قدراً .

والنحول قد يعظم ، ولو صار حيث يصفونه لكان في قوام

الذرة أو دونها ، ولخرج عن حد المعقول .

والسهر قد يتصل ليالي ، ولكن لو عدم الغذاء أسبوعين لهلك .

وإنما قلنا : « إن الصبر عن النوم أقل من الصبر عن الطعام »

لأن النوم غذاء الروح ، والطعام غذاء الجسد ، وإن كنا يشتركان

في كليهما ، ولكننا حكينا على الأغلب .

وأما الماء فقد رأيت أن ميسوراً البناء جارنا بقرطبة يصبر

عن الماء أسبوعين في حمارة القيظ ، ويكتفي بما في غذائه من رطوبة .

وحدثني القاضي أبو عبد الرحمن ابن جحاف أنه كان يعرف من

كان لا يشرب الماء شهراً .

وإنما اقتصررت في رسالتي على الحقائق المعلومة التي لا يمكن وجود سواها أصلاً ، وعلى أنني قد أوردت من هذه الوجوه المذكورة أشياء كثيرة يُكتفى بها لئلا أخرج عن طريقة أهل الشعر ومذهبهم « (٢) .

قال أبو عبد الرحمن : وقد حاول الإمام محمد بن داود الظاهري فلسفة النحول طيباً ، فقال : « أما الدلالة على صحة هذا القول من جهة

(٢) رسائل ابن حزم ٣٠٧/١ - ٣٠٨ .

قال أبو عبد الرحمن : إلا أن ابن خلدون قبل هذا المحال وفلسفه ، فقال في تاريخه ٩٧/١ : « وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن أهل الرياضات ، فإننا نسمع عنهم في ذلك أخباراً غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها .

والسبب في ذلك العادة ، فإن النفس إذا ألقت شيئاً صار من جبلتها وطبيعتها لأنها كثيرة التلون ، فإذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة طبيعية لها .

وما يتوهمه الأطباء من أن الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه إلا إذا حملت النفس عليه دفعة ، وقطع عنها الغذاء بالكلية ، فإنه حينئذ ينحسم المعى ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك .

وأما إذا كان ذلك القدر تدريجاً ورياضة بإقلال الغذاء شيئاً فشيئاً كما يفعله المتصوفة فهو بمعزل عن الهلاك .

وهذا التدريج ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة ، فإنه إذا رجع به إلى الغذاء الأول دفعة خيف عليه الهلاك ، وإنما يرجع به كما بدأ في الرياضة بالتدريج .

ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع أربعين يوماً وصلاً وأكثر .

وحضر لشيأنا بمجلس السلطان أبي الحسن وقد رفع إليه امرأتان من أهل الجزيرة الخضراء ورندة حبستا أنفسهما عن الأكل جملة منذ سنين ، وشاع أمرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما ، واتصل على ذلك حالهما إلى أن ماتتا .

ورأينا كثيراً من أصحابنا أيضاً من يقتصر على حليب شاة من المعز يلتقم ثديها في بعض النهار أو عند الإفطار ، ويكون ذلك غذاءه ، واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ، ولا يستنكر ذلك .

الطب فهي أن الحرارة المتولدة من الحزن تتحاز إلى القلب من سائر أعضاء البدن، ثم تتصاعد إلى الدماغ فتتولد بخارات ردية، فإن طاقتها الطبيعية بالقوة الغريزية أذابت تلك البخارات الردية فأجرتها دموعاً . وربما أضر كثرة جرياتها بالمجاري فأماها فجرى الدم مجرى الدمع .

وهكذا تنيب تلك القوى البخارات المتولدة في الدماغ في كمون الحرارة لما يعرض للرأس من حر وبرد ، فتجريه من الأنف زكاً ، فتذهب غائلته .

ولو لم تنبه وتجره من الأنف صار كيموساً غليظاً ومادة منصبة إلى بعض الأعضاء الرئيسية ، فحينئذ تتلف أو تولد علة غليظة ، فكل ذلك الدموع إن لم تطق تنويها القوى الطبيعية ، واشتغلت عنها بمدافعة ما هو أخوف على النفس منها ، صارت تلك البخارات كيموساً غليظاً فولد أمراً عظيماً .

وإما أن يستقر في الدماغ فيفسد ما جمع فيبطل الذكر ويفسد الفكر ، ويهيج التخيلات المستحيلات وذلك هو الجنون بعينه . وربما فسدت منه كرة أو كرتين ، فيفسد بفسادها ما كان مستقيماً بصلاحها .

وربما انحدر ذلك الكيموس عن الدماغ إلى القلب فهتك بعض الحجب أو جميعها ، وكان منه حينئذ التلف لا محالة والله أعلم . وربما انحدر إلى الكبد فمنع شهوة الطعام والشراب ، فحينئذ

يكون نحول الجسم وضعف القوة .

ومما ورد في النحول قول الأصوص :

نفى نومي وأسهرني غليل

وهم هاجبه حزن طويل

وقالوا قد نحتت وكنت جليداً

وأيسر ما منيت به النحول

فإن يكن العويل يرد شيئاً

فقد أعولت إن نفع العويل

وكانت لا يلائمها مييت

عليها إن عتبت ولا مقييل

وكنّا في الصفاء كماء مزن

نشأب به معتقة شمول

وأعجل عن سؤال الركب صربي

وأكره أن يقال لهم أقيلا

فقد أصبحت بعدك لا أبالي

أسار الركب أم طال النزول

فمن يك بالقفول قرير عين

فما أمسيت يعجبني القفول

كانك لم تلاق الدهر يوماً

خائلاً حين يفردك الخيل

فصبراً للحوادث كل حي

سبيل الهالكين له سبيل « (٢)

قال أبو عبد الرحمن : ولا بن المرزبان كتاب بعنوان « الذهول والنحول » ينقل عنه مغلطاي وغيره .

وقال البقاعي : « وقال شيخنا حافظ عصره قاضي الشافعية

بمصر أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر في تاريخه

إنباء الغمر بأبناء العمر في من توفي سنة إحدى وعشرين وثمانين

مئة من الأعيان : محمد بن علي بن نجم الكيلاني غياث الدين بن

خواجا علي التاجر ولد في حدود السبعين وكان أبوه من أعيان

التجار ، فنشأ ولده هذا في عز ونعمة طائلة ، ثم شغله أبوه بالعلم

بحيث كان يشتري له الكتاب الواحد بمئة دينار وأزيد ، ويعطي

معلميه فيفرط ، فمهر في أيام قلائل واشتهر بالفضل ونشأ متعظماً ،

ثم مات أبوه وتقلت به الأحوال والتهى عن العلم بالتجارة ، فصعد

وهبط وغرق وسلم وزاد ونقص إلى أن مات خاملاً .

مع أنه كان سيئ المعاملة ، عارفاً بالتجارة ، محظوظاً منها ،

إلا أنه تزوج جارية من جوارى الناصر (يعني فرج بن برقوق)

يقال لها سمراء ، فهم بها وأتلف عليها ماله وروحه ، وأفرطت هي

في بغضه إلى أن قيل : إنها سقته السم فتعلل مدة ولم تزل به حتى

فارقها ، فتكلمه عقله من حبها إلى أن مات ولها بها .

(٢) الزهرة ١/٤٠٠ و ٤٠٧ - ٤٠٨ .

وبلغني أنها تزوجت بعده رجلاً من العوام فأذاقها الهوان ،
وأحبته فأبغضها عكس ما جرى لها مع غياث الدين .
وبلغني أنها زارت غياث الدين في مرضه واستحلته فحلها
من شدة حبه لها ، وكانت قد ألزمته بطلاق زوجته ابنة عمه
فطلقها لأجلها .

وقد طارحني غياث الدين بمقاطع عديدة وألغاز وترافقنا في
السفر ومن شعره في سمراء قصيدة مطولة أولها :

سلوا سمراء عن حربي وحزني

وعن جفن حكى هطال مزن

سلوها [هل] عراها ما عراني

من الجن الهواتف بعد جني (٤)

سلوا هل هزت الأوتار بعدي

وهل غنت كما كانت تغني

يقول في آخرها :

سأشكوها إلى مولى حليم

ليعفو في الهوى عنها وعني

قال شيخنا : وهذا آخر من عرفنا خبره من المتيمين مات في

سابع عشر شوال أي من سنة إحدى وعشرين المذكورة انتهى « (٥) »

(٤) هكذا في الأصل : ولعل الصواب : هل عراها ما عراني .

(٥) أسواق العشاق ص ١٣١ عن إنشاء الغمر بأبناء العمر ٣٤٠/٧ - ٣٤١ .

ومن الموليين الذين شهد الشعر العالمي بأنهم ماتوا قتلى غرام
دخيل الله بن ناشي الدجيم العضياني ، وقد مر ذكره في قول ابن سيبل :

أخاف من موت بلياً حقيقة

مثل الدجيم ما طرد به ولا سيق

وقول الآخر :

الهوى قد ذبح له شمري

الدجيم على موته شهود

وقول ابن مقبيل :

والدجيم جدنا من هوى الزينات مات .

ولم أجد ترجمة للدجيم ، وذكر الأستاذ ابن حمدان أن اسمه

دخيل الله بن مرضي الدجيم الروقي ، وأن عند مصلح العتيبي

مزياداً من شعره وأخباره (٦) .

وذكر الهطلائي أن اسمه دخيل بن عبدالله العتيبي (٧) .

وقال الأستاذ محمد بن دخيل العصيمي : « هو دخيل الله ، ولقبه

الدجيم . من قبيلة الثعالبة من الروقة من عتية . وقد سماه شيخنا منديل

الفهيد في كتاب آدابنا الشعبية دخيل بن عبدالله . ولقبه الدجيم . وقيل :

دخيل الله بن مرضي الدجيم ، وله ذرية يسمون الدجيمان . عشق سمحة

العطاولية . وقتلت ذوي عطية فيهن من الجمال ما يسلب الألباب .

ولسبب ما لم يوفق الدجيم في الزواج منها ، وبلغ به الغرام حده ، واشتهر

(٦) ديوان السامري والهيجني ص ٤٤ .

(٧) ديوان الدر الممتاز ١١٣/٢ .

أمره بين الناس ، وأخذ ينظم الأشعار . . ولانعرف بالضبط تاريخ مولده أو وفاته عشقاً ، ولكنه ولاشك قد عاصر وعاش بعد الشاعر مخلص القتامي الذي توفي حوالي ١٣٣٧ هـ ؛ لورود شاهد في شعره على ذلك الشاعر . . وكان الدجيماء في بداية أمره لايعرف عنه أحد ، ولهذا فهو كثير التلميح ، واستعمل الرمزية في أشعاره . . شأنه شأن أمثاله في زمنه ، وشأن العرب في عدم ذكر الحبيب خوفاً من الحساد والرقباء . والكثير من أشعار الدجيماء ذهبت أدراج الرياح ؛ لعدم وجود من دوتها ، ولولا ما حفظه الرواة لضاع شعره . . وقد ساهمت فنون الآداب الشعبية (وبالذات فن السامري) في حفظ قصيدته «يا جرقلي» ؛ لأنها تغنى في أكثر المناسبات ، ويحفظها هواة هذا الفن . . كتب عنه بعض الرواة والمهتمون بالآداب الشعبية ، ومنهم الأستاذ عاتق بن غيث البلادي في الأدب الشعبي في الحجاز ، واستشهد له الأستاذ عبدالله ابن خميس في عدة مواقف ، وكتب عنه الشيخ منديل الفهيد في آدابنا الشعبية وكتب عنه الأستاذ إبراهيم اليوسف في مجلة اليمامة العدد رقم ٨٢٨ الأربعاء ٢١ صفر ١٤٠٥ هـ الأدب الشعبي « (٨) .

أما ابن عمه حسن بن مقبيل فقد ذكر أنه دخل الله بن ناشي العضياني . وسلسلة نسب ابن مقبيل المعاصر تنتهي إلى ناشي والد الدجيماء ، وهو الجد السابع .

(٨) شعراء عتيبة ٢٦٢/١ . . وقوله : «عاصرو عاش» جاء في سياق لم يجعل لعاصر مفعولاً .

وبناء على قاعدة أهل النسب في إعطاء كل أب من سلسلة النسب ثلاثين عاماً يكون الدجيماء من أعيان آخر القرن الثاني عشر وأول الثالث عشر الهجري .

ويشهد لذلك شعره ذو القافيتين من لحن المسحوب ، فكل ذلك حديث العهد ، ويشهد له تحديد زبن بن عمير بقوله :
يسمى نور محسن والدجيماء وابن لعبون

مكنت اتلاه والافاوله قد فات عني
وذكر ابن مقبيل أن من معاصري الدجيماء المورقي الدعيس ساكن صفينة ، وكانا يتهاديان الشعر . . قال المورقي :
يا راكب حر يبذ المغيرة

سفائفه مثل الغرايين طفاح
تلفي الدجيماء شوق ناسع جميره

اللي يسوي من حسينات الاقراح
وقد أجابه الدجيماء بقصيدة تأتي آخر هذه النبذة عن الدجيماء إن شاء الله .

وذكر ابن مقبيل أن الدجيماء تولع بفتاة ، ولم يكن يجد غير ذلوله وبندقية فطلبوا منه مهراً ثلاثين ناقة تعجيزاً له .
فاسترفد بقبيلته العضيان فجمعوا له المهر المطلوب غير أن أهل الفتاة ردوه كعادتهم في رد الخاطب إذا علم منه التغني بليلاه .
فظل في غرامه وهيامه بقية عمره ، ووافاه أجله لم يسئل .

وزعم الهطلاني أن الدجيماء كان ينظر إلى أظعان أهل
محبوبته من فوق تلّ وهم راحلون فقال قصيدته :

مديت أنا بالجال - مع سرحة المال

وشفت الغبيط يشال - والمال ينقاد

فدخل بيته ومات ليومه (٩) .

قال أبو عبد الرحمن : الأسف يقتل ، ولا يستبعد موته على
هذه الحال إذا كان ذلك عن عناء من الحب والهيام والذهول
والنحول ، وإنما أنكرت موته شهقة عن غير صدمة أو معاناة
طويلة عسيرة كما مر عن دعوى الجلاعيد والوليعة .

على أن الشاعر في القصيدة المذكورة يذكر الموت والنعش
والقبر باعتبار ماسيكون ، وهذا كقول المؤمل بن جميل المعروف
بقتيل الهوى :

أنا ميت من جوى الحب

(م) فيا طيب مماتي

اندبوني يا ثقاتي

واحضروا اليوم وفاتي

ثم قولوا عند قبوري

يا قتيلا الغائيات

ويذكر الدجيماء أيضاً عن نفسه أنه عليل بالحب ، وهذا لا يداويه
الطبيب الذي أحضره إليه .

(٩) ديوان الدر الممتاز ١١٤/٢ .

ويظهر من شعره ومن حديث ابن مقبيل عنه أنه صاحب صيد ،
 وأنه تعاطى الزراعة بأخرة ، وأن دياره ضواحي المحاني وحيد البرك .
 وعن المحاني قال البلادي : وإذ فعل من أودية الحجاز
 الشرقية للروقة من عتية يأخذ من حرة للروقة ، ثم يدفع شرقاً في
 قاع النجيل ثم إلى السبخاء ، ويفترق في أعلاه إلى شعبتين .
 وكان المحاني لقبيلة علوة من مطير حتى القرن الحادي عشر ، فاحتلته
 الروقة وجلت علوة إلى الساحل الشرقي بجزيرة العرب وشمال نجد .
 وأشهر شعره الذي قاله في غرامه قصيدته الرائية النونية (١٠) :

يا جر قلبي جر لدن الغصون

وغصون سدر جره للميل جرا

(١٠) هذه القصيدة مما كنا نخفيه في الأنقاء بشقراء في الصغر ، وقد نشرت منها
 أبياتاً في صحيفة لي شعبية بجريدة الجزيرة ، ولعل ذلك في حدود
 عام ١٣٨٦هـ ولا أحققه ، ونشر منها للشيخ منديل أبياتاً في كتابه من أدابنا
 الشعبية ١١٧/٣ ، ونشرها الأستاذ محمد بن عبدالله الحمدان في كتابه ديوان
 السامري والهجيني ص ٤٤-٤٥ ، ومحمد بن إبراهيم الهطلاني في كتابه ديوان
 الدر للممتاز ١١٣/٢ ، والعصيمي في شعراء عتية ٢٦٥/١ - ٢٦٦ .
 ومسمعتها في شريط بصوت حسن بن مقبيل بن دخيل الله بن مرضي بن
 عبدالله بن مقر بن ناشي .

وذكر أن دخيل الله الدجيم ابن لجده ناشي ، فهو أخو مقر .

وسجلتها من رواية إبراهيم بن يوسف عن ابن مقبيل .

وسلم ابن يوسف اسمه هكذا : دخيل الله بن ناشي بن رشيد بن ثعلي الدجيم .

وذكر ابن مقبيل أن الدجيم لقب .

على الذي مشيه تخط بهون

والعصر من بين الفريقين مرا (١١)

واكثر عذاب القلب يوم سنحوني

بيح بصبري لو بغيت اتدري (١٢)

ياليتهم في الدرب ما واجهوني

وياليتهم ما زادوا الحر حرا (١٣)

ياليتهم بالحرب ما ولعوني

كان ابعدوا عني بخير وشررا (١٤)

ياليتهم عن حاجتي سايلونني

يوم اني اقعد عندهم واتحري (١٥)

(١١) عند الهطلاني : تمد بهون .

وعند ابن مقبيل : عليك يا لى وان تمشى بهون .

(١٢) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .

سنحوني : تجاوزوني في مرورهم ، وأطلق على الكذب كناية كما في قول مبلش :

غرني في لزومي واحد مسنحاني

مثل ماغر غيري كعبة العارضية

(١٣) عند الهطلاني : بالدرب .

(١٤) عند الهطلاني : .. ولعوني تتزحوا عني .

واكثر الرواة يقول : « ويا ليتهم » إلا أن الواو هاهنا تدخل بالوزن ، والسياق

لغة يقتضيها ، وهم في النطق وفي الغناء يلتهمونها حتى لا تكاد تبين .

وقد حذفها في أماكن كثيرة مراعاة للوزن .

(١٥) عند الهطلاني : يوم اني اقف .. وعند ابن مقبيل : اظني أقف .

- يأليتهم من زادهم اطعموني
 انسا على زاد الحبيب اتجري (١٦)
 لا مبعد عنهم ولا قربوني
 ولا عايف منهم ولا تي موري (١٧)
 يأليتهم عن رايهم علموني
 اما يطيب القلب والا استمرا (١٨)
 والا انهم يوم انهم ولعوني
 خلوني اقضي عازتي واتدري (١٩)
 لا والله اللي بالهوى هوجروني
 هجر به الحيلات عيت تسرا (٢٠)

- (١٦) عند الهطلاني : ذوقوني .. حيثي على زاد اليتامي مضري .. وعند ابن حمدان : زاد الحبيب .. وعند ابن مقبيل : طعموني .
 وعند ابن يوسف : طاعموني .
 (١٧) عند الهطلاني : لا بعدوا عني .. ولا ني موري : ولم يخل إلي أنني بعيد أو قريب أو كاره لهم .
 وورد مكرراً عند الحمدان هكذا : لا قربوا مني ولا بعدوني .. ولا ميس منهم ولا ني موري .
 (١٨) تفرد ابن يوسف برواية هذا البيت عن ابن مقبيل .
 (١٩) عند الهطلاني : يأليتهم يوم انهم ولعوني .. اقضي حاجتي .
 ولم يرد هذا البيت عند ابن مقبيل ولا عند ابن يوسف .
 (٢٠) عند ابن مقبيل : هوجر به .

يا عزتالي من تفرق شطوني
يعزى لي ارمي بالسلب واتعري (٢١)
لاضاق صدري قمت اباري الظعون
كني غريـر بالدلوـهة مضري (٢٢)
وانا من اول منعـم للفنـون
على غدير تحتـه الما يقـرا (٢٣)

- (٢١) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .
شطوني : همومي ومآربي .. يعزى لي ... إلخ : أكاد أفعل ذلك فأكون
في حكم من يعزى ، أو يتعزز له بمعنى التألم من أجله .
ولم يرد هذا البيت عند ابن مقبيل ولا عند ابن يوسف .
(٢٢) عند الهطلاني : وقفت عنده شايحات عيوني .. غريـر باللهوي .
وورد مكرراً عند الحمدان كرواية الهطلاني إلا أنه قال : شايحات عيوني ..
باللهوي .
وعند ابن مقبيل : تقافت الاظعان ما خبروني .. باللهوي .
غريـر : صغير .. الدلوـهة .. ما يلعب به الطفل ليلهو ويسلو .
ولم يرد هذا البيت عند ابن يوسف .
(٢٣) لم يرد عند الهطلاني .. وعند الحمدان : واهله من أول بالورق يورقوني .
وما أثبتته رواية ابن مقبيل .
ومعنى الشطر الأول أنه في رقة الفن ، أو في رغد منه .
وسمعت البيت بتلاوة أخرى عند ابن مقبيل هكذا : عن عمى للفنون .
وعند ابن يوسف : وهنه من أول بنعمن الفنون .

وقبلي عليه اشفق وتبكي عيوني

والحال من ود الحبيب تبرى (٢٤)

ادعج غنج يذبح بسود العيون

يذبح الى منه هنف واستمرا (٢٥)

الخد برق في علو المزون

تقول براق من الصيف سرى (٢٦)

ان مت في دافي حشاه افنوني

في مستكن الروح ما هوب برا (٢٧)

بين النهود وقد روس القرون

عن الهباب مستكن منرى (٢٨)

(٢٤) ولم يرد هذا البيت عند الهطلاني .. وعند ابن مقبيل : وقبلني عليه .

قبلي عليه اشفق : اشفق عليه دائماً .. وقبلني - بكسر اللام وسكون الباء - عندهم

بمعنى دائماً وباستمرار .. الحال ، هيئة الجسم .. تبرى : تناقص وتقل .

(٢٥) تفرد بهذا البيت الهطلاني .

(٢٦) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .

سرى بالتشديد بمعنى سرى - بالتخفيف - مستمراً دون انقطاع ، لو كثر في

تلك الليلة التي سرى فيها .

(٢٧) عند الهطلاني : لا مت في لاجي .. لا اموت برا .

وعند ابن مقبيل : ان مت في غالي .. في دلخلي الجوف ما نيب برا .

(٢٨) عند الهطلاني : يضفي علي بخينقه والقرون .

وعند ابن مقبيل : كاهب وعن صفق الهباب منرى .

ان مت في خـد بعيد انقلوني

- (٢٩) على هوى زمل بمشيه تدرى
ومن شعر الدجيماء في غرامه المضني :
ولا واسنيات مضت لي وانا بزر
وانا جاهل في الود ياللي تعرفونه (٣٠)
الا يا وجودي وجد من لا بلي صبر
صبور على الفرقا الى غاب مضمونه (٣١)

(٢٩) عند ابن حمدان والهطلاني : على هذى الزمل مشيه تدرى .

وعند الهطلاني : وان كنت في خـد .

والخد الأرض .

ولم يرد عند ابن مقبيل .

قال أبو عبد الرحمن : وأورد منها عبد الله بن عبد العزيز الدويش في كتابه الفن

والسامري أبياتاً برواية مختلفة هي من تصرف للمغنين ، وانظر جريدة

الجزيرة عدد ٧٦٨٠ ص ٢٥ في ٢٢/٤/١٤١٤ هـ .

(٣٠) عند الحمدان :

سقى الله زماني يوم انا توني بزر

وانا داله ما ادري عن الغي وش لونه

قال في كتابه ديوان السامري والهجيني ص ١٠١ : « تنسب هذه القصيدة

لشاعر من أهل القويعة .

ونكرمها بن إبراهيم ، وعبد الله بن خميس في برنامجهم من القائل أنها للدجيماء .

ويرى محمد اليحيا أنها لعويض النفيعي من سكان حوطة سدير » .

وفي الطبعة الثانية ص ١٠١ ذكر أن أحمد بن زيد العتيبي نشرها في جريدة

اليوم في ٢٩/١٢/١٤٠٩ هـ منسوبة إلى عويض بن علي بن مقبول النفيعي .

قال أبو عبد الرحمن : وأورد منها الشيخ ابن بليهد رحمه الله بيتين في صحيح

الأخبار ١٩٩/٢ ونسبهما لخليف بن بليهد .

ووجدت منها في أورلي ثلاثة أبيات منسوبة لعبد الرحمن البواردي ، وهي

ليست له بقين .

قال أبو عبد الرحمن : عادة أهل القرى إذا غنى الشاعر لحناً مليحاً بشعر

لغيره ظنوا الشعر له فنسبوه إليه .

(٣١) لم يرد عند ابن مقبيل .

ابو لبدة عفرا وطوق على النحر

الا ما اهبلك يا عاذل القلب من دونه (٣٢)

.....

وعشر من الدكان ما تكسي قرونة (٣٣)

ولا يمحي حب عليه اللحم جبر

عليه اللحم والدم دونه صفا لونه (٣٤)

عسى الله يعينك يا عيوني على السهر

وعسى الله يبجح كل حي بمظنونه

وانا دمع عيني كل مازل لي شهر

هماليل واغضي عن هلي لا يشوفونه (٣٥)

ونوج يجي دمع ونوج دم حمر

ويجهش كما عد هل البوش يردونه (٣٦)

ولا وا هل المجمال ما عاد بي صبر

وذي بندقي فيما تقولون مرهونه (٣٧)

(٣٢) تفرد به حمدان .

(٣٣) تفرد به ابن حمدان ولم يذكر الشطر الأول .

(٣٤) عند ابن مقبيل : صطا بالعظام وصافي الجلد من دونه .

(٣٥) عند ابن بليهد : كلما هل من شهر .

والبيت الذي قيل هذا تفرد به ابن بليهد .

وعند ابن مقبيل : كل ما هل من شهر .

(٣٦) لورد ابن حمدان هذه الرواية ، وأورد رواية أخرى ، وهي :

مر تهل دموع ومر دم حمر وتجهش كما عد .

(٣٧) عند ابن حمدان : انا ياهل المجمال ما في يدي حمر . فيما تريدون مرهونة .

وفي مجلة الإمامة عدد ١٢٠٩ في ١٢/١٢/١٤١٢ هـ عزت ص ٧٦ الجوهرة

عبدالله القصيدة إلى سالم بن يحيوي بن حمد الحميد ، وأوردت هذا البيت :

احب الخضر حيث لي صاحب خضر

يا حيث الخضر عند الدكاكين يظنونـــــــــــــــــه

قال أبو عبد الرحمن : البيت مكسور وملفق .

ونسبت إلى البولندي لأنه غنى بالقصيدة ، وأدخل فيها أبياتاً عن الخضر الذي

اشتهر بالقول فيه .

وأما القصيدة التي زعم الهطلاني أنه مات في اليوم الذي قالها فيه فهي من المسحوب ، وإنما جعل في البيت الواحد زيادة قافيتين ليعطي لحناً نقازياً إضافة إلى ألحان المسحوب .
قال الدجيماء (٣٨) :

هيض علي الحيد - في ربة الصيد

واطرى عليه زيد - بالود لا زاد (٣٩)

عديت انا بالجال - مع سرحة المال

شفت الغبيط يشال - والمال ينقاد (٤٠)

جظ الضمير وجاظ - والدمع مني فاض

وحولت انا معتاض - وبديت الانشاد (٤١)

عيني لجاجة - والبكاله سماجة

ولها مية حاجة - وعدوه الاحساد (٤٢)

يا من يداويها - من الهزم فيها

قدام يعميها - ويخر لها ارماد (٤٣)

جرحي كيير - بالضمائر خطير

لو هو بخيري - ما شرب ما وكل زاد (٤٤)

(٣٨) نشرها الهطلاني في كتاب ديوان الدر الممتاز ١١٤/٢، وسمعتها بصوت ابن مقبيل .

(٣٩) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .

ربة الصيد : مكان ارتياده وترده .

(٤٠) لم يرد هذا البيت عند ابن مقبيل .

(٤١) لم يرد هذا البيت عند ابن مقبيل .

(٤٢) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .

(٤٣) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .

الهزم : المرض الذي يحدث فجوة . . يخر لها ارماد : يخلف لها داء الرمد .

(٤٤) لم يرد هذا البيت عند ابن مقبيل .

- صابن صخيف الروح - والقلب مجروح
واللي كتب باللوح - جاني بالاوكد (٤٥)
ابو من فاج - عن غر الاقللاج
مثل الحيا البهاج - في مزن الاتضاد (٤٦)
ونهود مثل البيض - في مرجع الفيض
في وقت حتن القيظ - من قد الامهاد (٤٧)
مير لتصبر - عندهم واتجبر
مقدار اعبر - والوجع في يزداد (٤٨)
جوا بالطيب - من تردي نصيبي
هو يحصب اللي بي - نداويه الاجواد (٤٩)
المغربي جوا به - علي وقفوا به
عطوه مطلوبه - وداوى ولا فاد (٥٠)

(٤٥) لم يرد هذا البيت عند ابن مقبل .

(٤٦) لم يرد عند الهطلاتي .

ابو : كلمة تعجب بمعنى : لله لبوه . . . فاج : كشف . . . الفلاج : الأسنان المفجة .

(٤٧) لم يرد هذا البيت عند الهطلاتي .

وتنطق للباض ، والفاض والفاظ حسب لهجة عتيبة .

وهم لا يفرقون بين الضاد والظاء فيردان قافية واحدة . . . حتن : وقت ،

ومظنة ، والأخير هو المراد هنا .

(٤٨) لم يرد هذا البيت عند ابن مقبل .

(٤٩) لم يرد هذا البيت عند الهطلاتي .

(٥٠) عند الهطلاتي : وداووا . . . وصادف أن تعاطى الطب في نجد واحد أو اثنان

من أهل المغرب فصارت للمغربي مرادف طبيب .

وكذا صادف أن تعاطى مغربي أو مغربيان الرقية ، فصارت للمغربي بمرادف

من يرقى ، وصارت قراءته رمز الغموض .

قال عبيد بن شريعب :

اقرأ قرأية مغربي

ولا لحد فهم لقرأيتي

- يحسب بلايه - علة في شوايه
 وانا بلايه - ود مركزز الاتهاد (٥١)
 جوا بالمخرج - لعنبوا ذا المخرج
 يبى يفرج - والله اخبر بما راد (٥٢)
 قالوا له معنى - طريق يونا
 من هن بن هنا - تولاه واجاد (٥٣)
 جوني حناتى - وانا في شكاتى
 هو حي هو مات - يسالون الارواد (٥٤)
 ابنوا عليه - رونش فيه فيئه
 خذوا شويئه - واجلسوا فيه يا اولاد (٥٥)
 خلوا الصبا تذري - بليل وعصري
 واليا بغيت اسري - ولي فيه بمراد (٥٥)

- (٥١) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .
 (٥٢) عند الهطلاني : لعنبوا ها المبرج ما عاد فرج عن ضميري ولا هاد .
 واقادني الأستاذ الغزي أن المخرج المتكهن .
 (٥٣) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .
 وعند ابن مقبيل : معنى - يون - هن .
 (٥٤) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .
 الارواد : من يرودون المكان .
 (٥٥) عند الهطلاني : خطوا عليه روشن . . واهرجوا فيه يا اولاد .
 قال أبو عبد الرحمن : لغة البادية الرونش بزيادة نون قبل الشين ، وهو الغرفة للنوم وإيداع الملابس .
 (٥٦) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .

- خطوه قد البيير - يم المصاير
 خطوه في صير - الحبيب الى قاد (٥٧)
 القبر سووه - وباعين اموده
 والبرجلي خطوه - ما بين الاحاد (٥٨)
 فوق الحفاير - زينوا له جداير
 والحول داير - خطوا البيير ميراد (٥٩)
 جاني من الرحمان - وفد لهم شان
 يوم الأجل لي حان - والجسم باد (٦٠)
 ثم خدوا روي - وظليت بروحي
 والما يفوح - قربوا لي الاعواد (٦١)

(٥٧) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .

(٥٨) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .

وعند ابن مقبل : القبر ياللي سووه باعين .

(٥٩) عند الهطلاني : على الحفاير حددوا لي جداير . خطوا العد .

(٦٠) لم يرد هذا البيت عند ابن مقبل .

وهو عند الهطلاني إلا أنه قال : والجسم مني باد .

وهذا البيت والأبيات بعده تصور " من للشاعر لحال الموت وما بعده .

(٦١) لم يرد هذا البيت عند ابن مقبل ، وهو عند الهطلاني وقال : وظليت في

روحي . من الأعواد .

بروحي : وحدي .

لَفُوا عَلَيْهِ لَف - خَام بِلَا كَف

صَفُوا عَلَيْهِ صَف - يَدْعُونَ يَا أَجْوَاد (٦٢)

ثُمَّ حَمَلُونِي - بِالنَّعَشِ وَدَفَنُونِي

وَأَقْفُوا وَخَلُونِي - وَحِيدٌ بِالْأَلْحَاد (٦٣)

جُونِي - مَنَادِيْبُ الْوَلِيِّ وَأَقْعِدُونِي

بِهِ لَقْنُونِي - كُلُّ الْأَرْكَانِ بَعْدَاد (٦٤)

يُعْطِينِي الْجَنَّةَ - كَمَا أَنَّهُ مَظْنَاهُ

مَنْ بِلَا مَنَّةٍ - وَهُوَ سَيِّدُ الْأَسْيَاد (٦٥)

أَطْلُبُ عَظِيمَ الشَّانِ - عَفْوُهُ وَالْإِحْسَانُ

الْوَاحِدُ الْمُنَانُ - فَعَالٌ مَارَاد (٦٦)

وَرَوَى لِي الْأَسْتَاذُ إِبْرَاهِيمُ الْيُوسُفُ عَنْ ابْنِ مَقْبِيلٍ أَنَّ حَاجًّا مِنْ

أَهْلِ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ بَاخُوتٍ مَاتَتْ زَوْجَتُهُ فِي عَوْنَتِهِمْ مِنَ الْحُجِّ

- وَلَعَلَّ ذَلِكَ قَرَبَ الْمُحَانِي - فَمَاتَ الزَّوْجُ جَنْبَهَا •

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ : يَحْصُلُ ذَلِكَ صَدْمَةً وَلُسْفَاءً لَا عَشْقًا •

(٦٢) لَمْ يَرِدْ هَذَا الْبَيْتُ عِنْدَ ابْنِ مَقْبِيلٍ •• كَف : خِيَاطُ يَكْفُ الطَّرْفَ إِلَى الطَّرْفِ لَوْ

الْمُثَنَاءُ ، وَيَكْفُ عَنِ الْإِسْبَالِ •• يَا أَجْوَاد : لِيَهَا الْأَجْوَاد •

(٦٣) لَمْ يَرِدْ هَذَا الْبَيْتُ عِنْدَ ابْنِ مَقْبِيلٍ •

(٦٤) لَمْ يَرِدْ هَذَا الْبَيْتُ عِنْدَ ابْنِ مَقْبِيلٍ •

وَإِنْ صَحَّتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ فَتَجَزُّؤُةُ الْبَيْتِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ لَمْ يَحْدِثْ لَهَا جَدِيدًا

أَرَادَهُ الشَّاعِرُ ، لِأَنَّ اللَّقَافِيَةَ الْأُولَى (جُونِي) أَخَذْتَ جُزْءَ تَفْعِيلَةٍ بِخِلَافِ اللَّقَافِيَةِ

الْأُولَى فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ •

(٦٥) لَمْ يَرِدْ هَذَا الْبَيْتُ عِنْدَ ابْنِ مَقْبِيلٍ •

وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ بِلَا مَنَّةٍ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ ، لِأَنَّ الْمَنَّةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ •

(٦٦) لَمْ يَرِدْ هَذَا الْبَيْتُ عِنْدَ ابْنِ مَقْبِيلٍ •

وقال الدجيماء عن حبيبته من اللحن الشيباني :

انا لي موة اغدى بها غدية ولد باخوت

على جال المنقى كل طريقه يمرونة (٦٧)

عقب انه تذكر في عشيره ثم جاء الموت

الا واقرء عين في بلاد الشام يرجونه

وقال الدجيماء من الرجز برواية ابن مقيبيل :

طبحت من راس الجذبة منهزم

كله حشائم زيد ابا انظر في حلاه (٦٨)

والى ان نواني زيد في حيد الغنم

وقلت يا راع الغنم عينت شاه (٦٩)

وقال هاه وقلت يا فال الندم

لا والله الا ساع ما جت الوفاه (٧٠)

الزند خبه والفتيل من السلم

والله يا من جاني لمثنيها شـواه (٧١)

قال أبو عبد الرحمن : لم أجد من يحقق لي قصة هذه الأبيات

ومضمونها ، وزيد رمز محبوبته ، وعادة العوام الرمز بزید للفتاة

(٦٧) رواية ابن يوسف : انا حالف لا اموت واغدى مثل ابن باخوت .

وقد عدلت لأجل الوزن .

(٦٨) طبحت : نزلت دفعة واحدة من مرتفع .

(٦٩) نواني زيد : هيئته بغناء غير واضح ولا شائق .

(٧٠) ساع : ساعة . جت : جاءت .

(٧١) لمثنيها : لأمثنيها : أي أجعلها في مثنائه يعني وسطه . خبه : سمه

في خباء لإخفائه .

كما في قول مغتر الرشيدى :

يا ابو رباح الحـب يـيح بحالى

ما قط جاني من عرب زـيد رواد

وقول ابن شـيحان :

ان كان فيك الشفع والنفـع يا زـيد (٧٢)

وكذلك يرمزون بثـلاب (٧٣) .

وقال في بندقيته مثبـية برواية ابن مـقيبـل :

يا زـربة عـديت في قـنتـها

بين الحـفاير والنـهي والفاضة (٧٤)

معي مثبـية زينة حـليتـها

ما هـيب لا قـشـرا ولا عـضاضة (٧٥)

مضرب رصاـصـتها على نـثـلتـها

تـشـدي لـنـاب الـولـبة العـضاضة (٧٦)

مـشـقاـصـها كـنه على فـطـحـتـها

عـود يـبي يوفـي جـمـيـع افـراضـه

(٧٢) ديوان ابن شـيحان ص ١٠٩ .

(٧٣) انظر من آدابنا الشعبية ٢٢٥/٧ .

(٧٤) الزرب : المدخل ، وموضع الغنم ، وبئر يحتفرها الصائد يكمن فيها للصيد ،

ومسيل الماء .

والمراد هنا الوادي . والقنة إما جبل يشرف على الوادي ، وإما مرتفع على ضفته .

(٧٥) عـضاـضة : تغص برصاـصـتها .

(٧٦) الـولـبة : الذئبة ذات الجراء . . نـثـلتـها : فـريـسـتها .

صنع النصاري كبروا جردتها
 تشدي لبرطم قينة مغتاضة
 اطيب من المعزى ومن هوشتها
 عقص القرون وكبودها حماضة (٧٧)
 واطيب من البل ما نبى قنيتها
 لو زولت لابدها من غاضة (٧٨)
 مع كل ربع جايها قذتها
 عن الجواري مالها حفاظة (٧٩)
 واطيب من القلعة ومن زرعتهها
 ومن واحد فيها يدير حياضه
 ان جا الدهر ما سرته قلعتها
 وان جا الحيا طمه وفصخ باضه (٨٠)
 وروي له هذه القصيدة :

حنتي حنة من الهجن منتلة
 في سموم الصيف حفية ومردوفة

(٧٧) عقص القرون : الظباء .. حماضة : جزوعة .. والحماض الممرور بكبده حموضة .

(٧٨) غاضة : غيظه : أي يجري عليها ما يغيظ لسرقة اللصوص لها .

(٧٩) لم أحقق المدلول العام للبيت .

(٨٠) الدهر : الجذب والقحط .. الحياء : المطر .. طمه : فاضت بثره بالماء ،

وأفسد المطر الزرع والنخل .. باضه : بيضة : أي ثمرته .

فوقها قرم رديفة ابن أخي له
 هم شريدة سربة تَو مصدوفة
 وارد عذ بعيد ولا دأله
 ويتقلب والظما محرق جوفه
 آه من عين قضى بمعها كلّه
 كنها عن لذة النوم مشغوفة !
 يا محجرة البني ما لكم مألّة
 ما بكم رجيل فهميم وعاروفة ؟
 ما تظنون المولّع على حلّه
 لين يروى من هوى الزين بكفوفه !
 بو جديل فوق دمث النحر قلّه
 اشقر يضفي على حدّ سرجوفه (٨١)
 وقال الدجيماء جواباً على قصيدة المورقي التي لم أجد منها
 سوى البيتين المذكورين آنفاً (٨٢) :
 يا راكب حر ييذ المغيرة
 يسبق هل العيدي الى طول الشاح (٨٣)

(٨١) ديوان السامري والهجيني ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٨٢) روى القصيدة ابن مقبل .

(٨٣) هل العيدي : هل الإبل للعيدية . . الى طول للشاح : إذا طول الخطوة .

تلقى الدعيس وعلمه بالسريرة
 قل له يجي في دارنا كان فلاح
 ان كان راعي بير يبتاع بيره
 وان كان راعي ماشية ينصى الاسياح
 الغرس عندي ناعم في سفيره
 غرس مجاهيم تزيد بالاصلاح
 والى رقى الراقي لقي فيه شيرة
 يرقى مشاهير ثمره من دلاح
 وليلة قمر عشرين باين سفيره
 شوفي بخط النيل على شاعة الضاح (٨٤)
 لا واهني الغرس ما اسعد حظيره
 واهله فراحي به الى حد الاقراح (٨٥)
 وامس العشي طالعت برقة نشيره
 واخنت لي مع رقرق الخد منفاح
 وأورد له العصيمي هذه الأبيات يصف سميحة :
 الخد برق لاح قدام الاصباح
 ونهد كما التفاح والوسط كاللوح

- (٨٤) في لغة عتيبة ينطقون ليلة لالة .. الضاح : للضحك وهو بداية نور الصباح ،
 وقمر ليلة عشرين يرى في هذا الوقت .. سفيره : وضوح التمر في الضوء .
 (٨٥) فيه تكرار في فراحي وأقراح ، فعمل الرواية غير محققة .

ويداوي الاجراح ريحه إلى فاح
 لا شك بالاقراح ما منه مصلوح
 يا من خبر نباح ما بيده سلاح
 لاهو بنطاح وانا منه مذبوح (٨٦)
 ونكر شباب الزلامي هذه القصيدة للدجيم - ونسبها إلى ديوان
 السامري والهجيني - (٨٧) :

اجل يا نائر الدمة تعبر خاطرك مكسور
 وفية ما حصل منك تصرف ما عليك حيل
 احب العشرة اللي ما بها شك ولا محذور
 واحب النعمة اللي تجمع الخير مع الأخيار
 فضحني دمي الجاري على فراقك بالمذكور
 عساه يوسع خاطر بمرسول يجيب اخبار
 الا يا نور من نورك تشعشع يا شبيه الحور
 عساك تغير السيرة بحسن رضاك والتذكر
 انا ما طعت عذال بحبك ما قبلت الشور
 اعزك من مغزتنا ولا نبدي لك الاعذار
 جلسنا مجلس العادة واكون بحضرتك مشكور
 تبادلنا صداقتنا ولا تخفي لك الاسرار (٨٨)

(٨٦) شعراء عتبية ٢٦٣/١ - ٢٦٤ .

(٨٧) انظر ديوان السامري والهجيني ص ٤٢ - ٤٣ .

(٨٨) جريدة الجزيرة عدد ٧٦٨٠ ص ٢٥ في ٢٢/٤/١٤١٤ هـ .

وروي عن الشاعر محمد الدرم احتمال كون هذه القصيدة :

قال الدجيماء عند باب الحرم ون

يصرخ من الفرقا صريخ الدواليب

للدجيماء ، أو مخلص القناني (٨٩) .

وأورد له الأستاذ محمد دجيل العصيمي بضعة أبيات من هذه

القصيدة ، وهي قوله :

يا مل قلب من هوي البيض يشطن

بمرسن حديد معلق له كواليب

يا لا يم قلب الهواوي الياحــــن

لا عاد كل بالهوى له مطاليب

ان مت يا مشعان من هن بن هن

(.)

وأعتقد أن عجز البيت مفقود ، لكن هذا ما أورده الأستاذ إبراهيم

اليوسف ؛ لأن العجز الذي أورده لا يتفق والصدر والتكملة :

يشدن لريش مسرولات العراقيب

لاوا على طول النفس من رشفهن

قدام ما تركز علي النواصيــــب (١٠)

وأورد الشيخ منديل هذه الأبيات للدجيماء :

(٨٩) مجلة الإمامة عدد ١٢٠٩ ص ٧٥ في ١٦/١٢/١٤١٢ هـ .

(٩٠) شعراء عتيبة ١/٢٦٢ .

شلفاه تشلح ضرابيها على اليمنى
 واما على لصوب الأيسر ما له امثالي
 خمسة وتسعين كائنة حسبناها
 ضرب بروس القناقز وحوالي
 وفهيد الله يفكه من بلا الدنيا
 اللي الى شاف شوف العز هياي (٩١)
 قال أبو عبد الرحمن : هي لمخلد بيقين ، ومطلعها : يقول مخلد ،
 وذكر العصيمي قوله :
 البارحة كنيت واليوم ونيت
 ونية حمام البيت حول المقام
 واجر قلبي جر غرب تحدر
 اقفت تجره جر عفا سنام
 اقنب قنيب الذيب عجل المهانيب
 اليا قنّب قنيب جنح الظلام
 على حسين الدل زين المعزل
 عليه دمعي هل مثل الغمام
 وعيونها نجلا بها الموت عجلي
 يالله تفرج لي سواة القتلامي
 ريحه زباد عقيل في قهوة وهيل
 يا ويل ويلى ويل جيعان ظلامي

وريقه حليب خلوف وشعوفها وقوف

بالوادي المصيوف والعشب زامي

قالوا معذب فيه يا ناس قلت ايه

لا صار مالي فيه بالحظ لامي (٩١)

وقال العصيمي : وقد أصبح الدجيماء مضرب الأمثال في عشقه

وهيامه وتضحيته ، وضرب به الشعراء المثل وبالذات الشعراء

الفحول منهم المرحوم زين بن عمير البراق في قوله :

شريت وبعثت يوم ان الشراء والبيع مضمون

هاك الحين البضايح كلهن يربحن

واخذت اللي قسم لي يوم درب الغي مسنون

زمان فات ياللي ت الليالي مهلني

يسمي نور محسن والدجيماء وابن لعبون

مكنت اتلاه وإلا ان اوله قد فات عني

والشاعر ناصر العبدالله الفايز (أبو علي) يقول من قصيدة

ينادم فيها زين بن عمير :

تقول ان جرح الود بالقلب قد مضى

ولو عالجه بطبهم ما يفيدونني

خفا عنك ما صاب الدجيماء ومغتر

وراع الحريق وما جرى لابن لعبون

جروح الهوى ما ينتداوى عليها

واليا ما شفاك الله فلا الناس يشفوني

وموت الدجيماء استشهد به الشاعر الشعبي عبدالمعين بن عقل بن
ثعلي في قوله :

رمح الدجيماء اللي قتل به قتلني

لا احد دفع سوقه ولا احد طرد فيه

والشاعر الوجداني عبدالله بن سبيل يقول :

أخاف من موت بلياً حقيقة

مثل الدجيماء لا طرد به ولا سيق

وقول أحدهم :

الهوى قد نبسح له شمري

والدجيماء على موته شهود (٩٣)

ومن قتل الغرام الشاعر القطري محمد بن قاسم بن محمد بن

عبدالوهاب الفيحاني السبيعي . قال محمد الهاجري : « مات من سبب

حبه لمحبوته ملكا التي يقال إنها ماتت في الحال عندما علمت بموته .

وكانت معشوقته ملكا لها عيال عم منعه عن الزواج بها فماتت عندما

دب اليأس في نفسه ، وقد نقلت هذه المعلومات وشعره هذا من كتاب

وجدته ممزقا مطبوعاً في قطر ، وقد قمت بتسجيلها خوفاً عليها من الضياع

رحمة الله على محمد ومعشوقته ملكا حيث إن حبهم حب شريف » (٩٤) .

(٩٣) شعراء عتيبة ٢٦٧/١ - ٢٦٨ .

(٩٤) ديوان شعراء من الجزيرة ٦٥/١ .

قال أبو عبد الرحمن : هو معاصر لسلطان بن فرزان ، وبينهما
مقارضات ، وقد مرشيتي من شعره في المقدمة في الكلام عن قافلة العشاق .
وممن دل شعرهم على أن الضنى طاولهم مغتر الرشدي ، وقد ذكر
الأستاذ إبراهيم اليوسف أنه قال هذه القصيدة وهو على فراش الموت :
يا خوي يا غتران قم عز حالي
والا تراي لحفرة الموت ورا
وادي نفي من دمع الاعيان سال
واصبحت كني من عنا اليوم طراد
وابوك لا سقّاك وبل الخيال
ولا جال من نو المخاييل رعاد
يا بو رباح الحب بيع بحالي
ما قط جاني من عرب زيد رواد
اتلا العهد به يوم شد الجمال
يم الجنوب وقال يا مال الابعاد
مرباه واد الحنو واسقم بحالي
يا عنك ما حبل الرجا فيه منقاد
ويذكر العوام من ضحايا الغرام ابن حماد راعي حرمة ، ولم
أحقق شعره ولا أخباره ، وإنما وجدت هذه الإشارة عند الشيخ منديل .
قال : من تبادل القصائد بين الشاعرين أحمد بن حماد راعي حرمة الذي ذكر
أنه مات من الغرام وبين الشاعر زيد بن غيام المطيري هذه الأبيات لأحمد :

يا ونتي يا زيد واوجد روحاه

القلب لاب وضاع واعزتي له

نقلت حمل وضامن الحمل ما أقواه

حمل ثقيل الـروز مال تعديله

فأجابه زيد :

جالي جواب من رفيقي وابا اجزاه

فيما يقول اتباع له واشتري له

حلفت لو ياطا على الداب لا طاه

واني لا اقوم بلازمه واحتمي له

الحرب يا احمد به ذنوب ضربناه

كل عسى الله يرحمه ويعفي له

بالك تخفى وانت لك مع قلولة

اللي براس الرجم ما ينجبي له (٩٥)

من لا طلى مبدا الجرب طال ما ابراه

لو قيل ما به شي ما ينكمي له

والرس لو هو سايل لا تتصاه

احذرك عن ورد الدحل والثملة (٩٦)

* * *

(٩٥) قلولة : مرتفع .

(٩٦) من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية ١٥٠/٣ .

الفصل الثالث :

عشاق يقتلهم الأهل للأفة :

قال البقاعي : « حدثنا أبو عمر بن حيويه (ونقلته من خطه) : أخبرنا محمد بن خلف : أخبرنا أبو بكر العامري قال : قال علي بن صالح : عن ابن داب قال : كان من حديث جارية كرز الربابي (والرباب بنو عبد مناة) : أن أباه كان رجلاً من طبخة يقال له جناب ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وأنه قتل رجلاً من بني حيان بن هبل بن كلب بن وبرة ، فرهنهم بالدية امرأته وابنه حية وهو صغير .

وخرج جناب في جمع الدية ، فهلك ، وبقيت امرأته وابنه في يدي كلب ، وشب ابنها حية ، فشب أحسن فتى من العرب وأضوأهم ، فعلق جارية من جوارى الحي وعلقته ، وفست به وفسد بها فساداً شديداً حتى جلس نسوة من كلب ذات ليلة يلعبن ويتذاكرن للشراب .

فقطنت به وسمعت كلب بذلك ، وكان قد علق فتاة منهم ، فطلبته كلب ، فخرج هارباً ، فلدركه أخوها فرماه حية فقتله ، وانطلق فلحق بقوم من بلقين ، فاستجار بهم فأجلوره ، فعاث في نساءهم ، وعلقته امرأة منهم ، فطلبته بلقين ، فأعجزهم ، وهرب حتى أتى أمه ليلاً ، فقالت له : ويلك إن القوم قاتلوك . قال : والله ما أجد مذهباً .

قال : فأخفته وذكرت ذلك لظنرها (وهو أخو ابن لها أرضعته)

فقالت : أرسله .

فأرسلته إليها ، فأخذته فخالطت عليه عباءة جعلته كهيئة الكرز ،
ثم طرحته بفناء بيتها حتى مر بها عدي بن أوس الكلبي ، فقالت :
يا عدي إني قد أردت أن أظعن ، وإني أريد أن تجير لي كرزي
هذا وما فيه .

قال : أجرته ، وأمر به فحمل إلى بيته ، فلما نظر إلى
الكرز فتشّه وقد أنكره ، فإذا فيه حية ، فقال : لا أنعم الله بك
عيناً ، فأجاره فبرز ، فقالت أمه : ويلك مهلاً عن نساء الحي ، فلم
يلتفت إليها ، ورأته ابنة عدي فعلقته وعلقها ، فمكث بذلك مدة
وعدي لا يعلم فقال :

ما زلت أطوي الحي اسمع حسهم

حتى وقعت على ربيبة هودج

فوضعت كفي عند مقطع خصرها

فتنفست نهداً ولما تنهـج

وتناولت رأسي لتعلم مسـه

بمخضب الأطراف غير مشنـج

قالت : وعيش أبي ورحمة والدي

لأنبهن الحي إن لم تخرـج

فخرجت خيفة أهلها فتبسمت

فعلمت أن يمينها لم تخرـج

قالت : فلما بلغ عدي بن أوس الخبر وأنشد الشعر أمر به فربط ،

ثم أخرج إلى خارج البيوت فقتل « (١) » .

وقال البقاعي أيضا : « قال الزبير : وحدثني موهوب بن رشيد الكلابي : عن أبي صالح الفقعي قال : كان عبد بني الحساس شاعراً ، وكان يهوى ابنة مولاة أبي معبد ، فخرج مسافراً وخرج به معه ، وكان أبو معبد يتشوق إلى ابنته ويقول :

عميرة ودع إن تجهزت غاديا

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

ثم بنى عليها فأتىها قصيدة واشتهر بها فيها ، وتحسر عليها فقال :

وبتنا وسادانا إلى علجانة

وحقف تهاداه الرياح تهاديا (٢)

توسدني كفأ وتثني بمعصم

علي وتحوي رجلها من ورائيا

وهبت شمال آخر الليل قرة

ولا ثوب إلا درعها وردائيا

فما زال ثوبي طيباً من نسيمها

إلى الحول حتى أنهج الثوب باليا

(١) أسواق العشاق ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، وانظر ديوان سحيم ٥ - ٦ و ١٦ - ٢٤ و ٥٩ - ٦٠ و ٦٢ - ٦٣ .

(٢) العلجانة : قال في تاج العروس ٧٦/٢ : « قال أبو حنيفة : العلج عند أهل نجد شجر لا ورق له إنما هو خيطان جرد في خضرتها غبرة تأكلها الحمير فتصفر أسنانها .. وأحدثه علجانة » .

فذهب به جندل أبو معبد إلى المدينة ليبيعه بها ، فقال بعد
إخراجه يوماً :

وما كنت أخشى جندلاً أن يبيعهني

بشيئ ولو أمست أنامله صفراً

أخوكم ومولى ما لكم وريبكم

ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرًا

أشوقاً ولما يمض بي غير ليلة

فكيف إذا سار المطي بنا عشراً

فرق عليه جندل فردّه ، فجاءه قومه فلاموه ، وأرادوا قتل

العبد ، وكان جندل يضمن بالعبد ، فخرج به إلى السلطان بالمدينة
فسجنه ، وضربه ثمانين سوطاً ، ثم خرج به راجعاً إلى بلاده ،
فتغنى به سحيم فقال :

أبا معبد بئس العراضة للفتى

ثمانون لم تترك لحافكم عبداً

كسوني غداة البين سمرأ كأنها

شياطين لم تترك قراراً ولا عهداً

فما السجن إلا ظل بيت دخلتـه

وما السوط إلا جلدة خالطت جلداً

أبا معبد والله ما حل حبها

ثمانون سوطاً بل يزيد بها وجداً

فإن تقتلونني تقتلوا ابن وليدة
وإن تتركوني تتركوا أسدا وغدا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم
وتزداد داري من يباركم بغدا
قال: فأخبرني عبدالملك بن عبدالعزيز: أن ذا البيت الأخير
للمرجي .

قال الشيخ رحمه الله : وكان آخر أمر سحيم أنه أحب امرأة
من بيت مولاه فأخذه فأحرقوه « (٣) » .

قال أبو عبدالرحمن : ومن الأدب العامي قصة زيد والعامرية .
قال الأستاذ عبدالله بن خميس : « هذان عاشقان هلايان لا تعرف
عنهما سوى أن العاشق اسمه زيد والعاشقة اسمها العامرية .. اتصل
الحب بينهما حتى برح بهما ، فأقبل أهل العامرية ليقتلوا زيدا فأخذت
الفتاة من دمه وكتبت :

أوصيك يا نقر الصفا لا تغرني
لاجوا عريب واردين هدايته (٤)
ولوا عريب بدد الله شملكم
وش كاركم منا هويت وهواتيه ؟ (٥)
يا مدور زيد ترى زيد عندي
قتيل لعامر في هوى كل غانية

(٣) أسواق العشاق ص ٢٢٦ .

(٤) عند الضويحي : هزلية .

(٥) وش كاركم : ما دخلكم .. وهواتيه : وهواني : أي كنت هواه وعشقه .

لا تأخذون قضاها من الببل والغنم

(٦) خذوا قضاها من آل بيتي ثمانية
أبوي واخواني مع أولاد عمي

(٧) نبحث دنايه في عشيري هنائيه
الى قطعوا رجلي فبا امشي على العصا

(٨) والى قطعوا أخرى فقلوا عنائيه
والى قطعوا راسي تدريبت جثتي

(٩) في قبر زيد قلت هذا مكائيه
حطوه فوقى دافنيه هو الاعلى

الى من سقاء الوبل ريحه سقائيه « (١٠)

وقال الضويحي عن القصة : « لا نعرف من هو زيد ، ولاندرى من هي العامرية ، غير أن الروايات تسوق لنا قصة طريفة محزنة ، وهي أن زيدا أحب العامرية وصار يلتقي معها في مكان ما .. والعرب من البادية لديهم الشيم ، فكثيراً ما يجلس الحبيب مع محبوبته ، ويبث كل إلى صاحبه الشوق دون أن يكون بينهما وصال .. وربما تتعذرتى القبله ، فإن حصلت فهي آخر شيء ! »

(٦) عند ابن خميس : ما الببل .. اهل بيتي .

(٧) دنايه : دنايي : أي قرابتي الأذنون مني .. هنائيه : كانت هناء لي .

(٨) فبا : فأبني .. وعند ابن خميس والضويحي : قلوا عنائيه .

وعند الضويحي : ايلا قطعوا .. لخرى .. قللوا : اجعلوه ملوباً .

(٩) عند الضويحي وابن خميس : تدريبت .

(١٠) عند الضويحي وابن خميس : الى سقاء .

انظر من القائل / ٦٢١ - ٦٢٢ ، والفنون الشعبية ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

وحينما علم أهلها صمموا على قتل الاثنين ، فأتوا إليهما وهما مجتمعان وقتلوا زيدا ، وفي أثناء قتله وبغته كانت تكتب على الحجر الوصية ، ونفذها من جاء بعدها .

وبعد أن أورد الأبيات قال : ويأتي أهل زيد يبحثون عنه ويقلبون الأرض حصة حصة يسألون كل غاد ورائح ، فقلبتهم الأخبار بأنه يجلس مع فلانة ، ويأتون إلى مكثهما ، فيقلبون الحصى واحدة واحدة حتى إذا قلبوا حصة كبيرة وجدوا الوصية ، فهجموا على أسرتها وأبادوا الثمانية (١١) .

(١١) الفنون الشعبية ص ١٩٩-٢٠٠ . وأوردت مجلة اليمامة عدد ٩٩٢ في ٢٩/٥/١٤٠٨ هـ ص ٨٦ القصة عن الأستاذ أحمد العريفي بهذا النص : « يقال إنهما من بني هلال ، ويقال : من غيرهم . . عاشقان تعاهدا على الحب الطاهر العفيف ، وملك كل منهما قلب الآخر وشعوره .

وذات ليلة وهما في غفلة عن الناس هجم عليهما نفر من أهل غريسة فيهم أبوها وعمها وأخوتها . . وانتقاماً لشرفهم قتلوا زيدا قتلة شنيعة .

أما غريسة فكان جزاؤها أن قطعوا رجليها ، وطرحوها على الأرض ، وعادوا من حيث أتوا .

وتحاملت غريسة على جراحها وعمدت إلى صفاة كبيرة وكتبت عليها القصيدة التالية تنكرفيها قصتها ، وتدل أهل زيد على قاتليه وإن كانوا أقرب الناس إليها . وحل أهل زيد بالمكان فوجدوا الحجر ، وعرفوا أن القوم قتلوا ابنهم ، فانتقموا له ولغريسة .

قالت غريسة زينة القول والبنينا

فجاني زمتي والمقدر دهاتيـه

تهلويت مع زيد وطابت ليالنينا

ثمان سنين في طرابة ولماتيـه

ووردت عند الربيعي تسعة عشر بيتاً ، وذكر أن بطلتي القصة
زيد بن ساير العنزي وغريسة من بني عامر (١٢) .

* * *

الفصل الرابع :

عشاق يهيمون أو يختلطون

قال أبو عبد الرحمن : الحب في ذاته جنون إذا وصل حد الشغف
كما قال قيس بن الملوح :

قالت جنتت على رأسي فقلت لها
الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفوق الدهر صاحبه

وإنما يصرع المجنون في الحين
إن فالحائمون والمختلطون من المحبين درجات تتناوش العشق
وتبلغ الغاية بالشغف .

وقد سبق في هذا الباب من مات بشهقة ، ومن مات بالضنى .
والجنون أخوهما .

قال أبو محمد ابن حزم - رحمه الله تعالى - : « وحدثني أبو بكر

هواني وهويته على الاتس والهوى
وقطفنا ثمر ملاق والنفس فانيه

سقاني شراب من ثمانه وأنا بعد

سقيته شراب صافي من ثمانيه

قال أبو عبد الرحمن : ما أحرى أن تكون القصة أسطورة نسجت على الأسلوب
الهلامي ؛ لبعْد الأمد ، فلا يطالب المسامر بأسماء أعيان معروفين من قبيلة راهنة .

(١٢) البحر الزخار ص ٤١٧ - ٤١٨ .

محمد بن بقي الحجري (وكان حكيم الطبع عاقلاً فهيماً) : عن رجل من شيوخنا لا يمكن ذكره : أنه كان ببغداد في خان من خاناتها ، فرأى ابنة لوكيلة الخان ، فأحبها وتزوجها ، فلما خلا بها نظرت إليه وكانت بكرأ ، وهو قد تكشف لبعض حاجته ، فراعها كبر إحليله ، ففرت إلى أمها وتغادت منه .

فرام بها كل من حواليا أن تُردَّ إليه ، فأبت ، وكانت أن تموت ، ففارقها ، ثم ندم ، ورام أن يراجعها فلم يمكنه ، واستعان بالأبهرى وغيره ، فلم يقدر أحد منهم على حيلة في أمره ، فاختلط عقله وأقام في المارستان يعاني مدة طويلة حتى نقه وسلا وما كاد ، ولقد كان إذا ذكرها يتنفس الصعداء « (١) » .

وقال أبو محمد أيضاً : « وإنني لأعرف جارية من نوات المناصب والجمال والشرف من بنات القواد ، وقد بلغ بها حب فتى من إخواني من أبناء الكتاب مبلغ هيجان المزار الأسود ، وكانت تختلط ، واشتهر الأمر وشاع جداً حتى علمه الأبعاد ، إلى أن تُذوِّركت بالعلاج . »

وهذا إنما يتولد عن إيمان الفكر ، فإذا غلبت الفكرة وتمكن الخلط وتُرك التداوي خرج الأمر عن حد الحب إلى حد الوله والجنون ، وإذا أغفل التداوي في أوائل المعاناة قوي جداً ، ولم

(١) طوق العمامة / ضمن رسائل ابن حزم ٢٤١/١ .

يوجد له دواء سوى الوصال « (٢) .

وقال أبو محمد : « وحدثني جعفر مولى أحمد بن محمد بن حدير المعروف بالبليني : أن سبب اختلاط مروان بن يحيى بن أحمد ابن حدير وذهاب عقله اعتلاقه بجارية لأخيه ، فمنعها وباعها لغيره ، وما كان في إخوته مثله ولا أتم أدباً منه .

وأخبرني أبو العافية مولى محمد بن عباس بن أبي عبيدة أن سبب جنون يحيى بن محمد بن عباس بن أبي عبيدة بيع جارية له كان يجد بها وجداً شديداً . . . كانت أمه باعها وذهبت إلى إنكاحه من بعض العامريات .

فهذان رجلان جليلان مشهوران فقدما عقولهما ، واختلطتا ، وصارا في القيود والأغلال . . . فأما مروان فأصابته ضربة مخطئة يوم دخول البربر قرطبة وانتها بهم لها ، فتوفي رحمه الله .

وأما يحيى بن محمد فهو حي على حالته المذكورة في حين كتابتي لرسالتي هذه ، وقد رأيته أنا مراراً ، وجالسته في القصر قبل أن يمتحن بهذه المحنة ، وكان أستاذي ، وأستاذه الفقيه أبو الخیار اللغوي ، وكان يحيى لعمرى حلواً من الفتيان نبيلاً « (٣) .

ونذكر السخاوي من مجانين الهوى أحمد بن عبدالله الدمياطي المعروف بشيخ حطيبة قال عنه : « قال شيخنا في أنبائه نقلاً عن خط

(٢) طوق الحمامة ٢٤٢/١ .

(٣) المصدر السابق ٢٤٢/١ - ٢٤٣ .

المقريري : أحد المجانيب الذين يعتقد فيهم العامة الولاية . . قيل :
إنه كان متزوجاً محباً للمرأة (٤) ، فبلغه أنها اتصلت بغيره ، فحصل
له من ذلك طرف خبال ، ثم تزايد به إلى أن اختل عقله ونزع
ثيابه وصار عرياناً . . وله في حالته هذه أشعار منها مواليا :

سري فضحتي وأنت سركي قد صنت

قصدي رضاك وأنت تطلبي لي العنت

نليت من بعد عزي في الهوى وهنت

ياليت في الخلق لا كنتي ولا أنا كنت

توفي رحمه الله سنة ٨٠٨ هـ « (٥) .

وفي جيل العوام نكروا خليل بن عايد وابن عمار .

أما الأول فقد رويت عن الأستاذ إبراهيم اليوسف أن خليل بن
عايد كان إمام مسجد في عنيزة ، وأنه كان يهزأ بمن يقعون في
حبائل الغرام ، وأنه بعد ذلك وقع في الحب حتى عشق وأصيب
بالشغف ثم الاضطلام فاختلف عقله .

واستدل بقوله :

بالك تهزى^١ والبالوي صدافات

ترى سبب ما بي تهزيت بالغير

(٤) هكذا في الأصل ، وفي إنباء الغمر ٣١٣/٥ : فأحب المرأة .

ولعل الصواب : فأحب امرأة .

(٥) الضوء اللامع ٣٧٣/١ .

قال أبو عبد الرحمن : القصيدة ستون بيتاً (٦) يخاطب بها جبرين
سيار ، وهي لوعة وشكاية من ألم الغرام من ضمنها قوله :
وقفت في غي الخشوف الربيبات
تلع الارقاب ايكار غر غراغير
رتئتني في سن عصر الجهالات
قد هوجرني في هوى الغي تهجير
قال أبو عبد الرحمن : لعلم أخذوا دعوى الاختلاط ودعوى أنه
مطوع من قوله :

بقرايتي للحمد أقرأ التحيات
والواجب ان القلب عندك الى دير
قال أبو عبد الرحمن : إن لم يصح بنقل موثق أن ابن عايد إمام
بمسجد عزيزة ، وأنه اختلط بسبب العشق فالقصيدة وحدها لا تتعين
فيها الدلالة على ذلك ، وإن كانت الدلالة محتملة .
ذلك أن كل مسلم يقرأ الفاتحة والتحيات في صلاته وإن لم
يكن إماماً .

وكل متغزل يدعي الذهول .
وقال الشيخ منديل : « خليل بن عايد كان مطوعاً ، وإذا مرت
به امرأة أو هو مر على نساء لا يلتفت ، وكثر الحديث بين النساء

(٦) القصيدة في خيار ما يلتقط ٢٣٢/١-٢٣٥ وديوان الدر الممتاز ١١٠/٢-١١٢ .

عن عفته ، وقالت إحداهن : سوف أكيد له كيداً ، فوقعه ، فجاءت لأهله ليلاً وكانت متطيبة ومتجملة ، وادعت أنها تشتكي من مرض حتى قرأ عليها ، فأخذ يقرأ عليها ، فمسكت يده تمر بها على مواضع من جسدها حتى مدت يده على مواضع من الشك والريبة . . . أخذت تأتيه ليلتين ، وانقطعت عنه ، ففتن بحبها ، ثم عاد إلى الشعر ، ووجه القصيدة الآتية إلى الشاعر جبرين سيار التميمي يخبره بأنه وقع بمثل ما ابتلى به جبر من قبله . . . حيث كان جبر بن سيار عند الحجر وهو يطوف فصادف امرأة تريد الحجر فأراد أن يقبلها فدعت عليه بالعمى فاستجاب الله دعوتها فأخذ بصره .

وقد ذكر جبرين سيار هذه القصة التي جرت عليه في عدة

قصائد .

أما خليل فقد كان إماماً في مدينة من مدن القصيم وسمعه ليلاً أحد المارة (وقيل إنه ابن بسام ماراً) بالقرب من منزله فسمعه مع النافذة وهو يردد القصيدة .

وفي الصباح ذهب ابن بسام إلى ابن خليل ووصاه ، وقال له قل لأبيك البشت الذي يصلي به غير طاهر فأدرك خليل أن القصة التي حصلت له انكشفت ، فغادر المدينة إلى مدينة أخرى « (٧) » .

قال أبو عبد الرحمن : القصة إذا صحت لا تعدو كونها قصة

(٧) من آدابنا الشعبية ٢٠٤/٧ .

حب وشعر، وليست قصة عشق يفقد إحدى القدرتين، أو يميت .
 وأما ابن عمار فهو صاحب الألفية، وقصة جنونه محقة،
 ولكنني لا أحقق أن سببها العشق، ولا أحقق له شعراً في جنونه .
 والشعر الذي روي عنه غزل، وليس فيه دليل على تميز
 بعشق أفقده القدرة العقلية، أو أماته .

وأورد الهطلاتي قصيدة ناهض بن عبدالعزيز الناهض من
 أهل البرود ووصفه بأنه مات من أجل الغرام . . وهذا نص
 القصيدة :

يا من لقلب فيه مثل السعيره
 كنه على جمر الهشيم مختوم
 عين تهل دموعها من نظيره
 وكبدي عليها مثل حامي السموم
 حالي نقصها الحب ما هوب غيره
 باليوم تنقص تقل حال محموم
 لو ان ما بي جا بغيري عشيره
 ما كان يصبر له ولا ربع يوم
 والله ما ناح الحمام بهديره
 او هب نسناس الهوا بالنسوم
 الا ودمع العين مثل المطيره
 لين اودع الاوجان مثل الوسوم

بغيت اكنه كودها قصر سيره
اظنها بي ما تبين الوهموم
لا شك بي شي محني يسيره
امر من الله ما تثيب العلوم
وش حيلة اللي وجعته في ضميره
وعينه مناها رعي الازوال دوم
صبرت صبر حط بالقلب نيره
واليوم باح السد وافطرت صومي
يا تل قلبي تل تالي الكسيره
مقفي بهم قوم وبديار قوم
على هنوف عند اهلها غريره
لعبه بقلبي ما بقى له رسوم
بغيت من حسن النبا حسن جيره
لا ينتحر بي مع زمان غشوم
والراي مثل اللي يهرج صيره
قلبه حجر ما هوب قلبه رحوم
رضيت عقب وقلت راضي مسيره
هذا نصيبي حد قسم السوم
اخاف من هجر يطول او مصيره
الموت اصير مولع ومحروم

يا عاذليني تركة العذل خير
يا ناس كثر العذل زود همومي
الحب شين ومن شرب من غديره
ما عاد يقوى المنع مثل مهموم
ولو ان قلبي خابر منه غير
طويت حبل الود لو فيه يومي
لا شك ما يخفي علي السريـره
صاقي ومن الفرقا بعض البهـوم
غرو ملكني بالهوى صرت اميره
امرہ علي مطاع حتم محتوم
حديثه احلى من حليب بثيره
وابهج من القرهود عقب السموم
الى هرج يسبي العقول الغريـره
وانا له اطوع من مرد الكموم
له قذلة تعمل بورد نشير
يرتاح قلب نال منها شموم
وعين كما عين الوحش مستديره
صويبها بسهومها ما يقوم
ومبسم عذب كما صب نير
وببيض كما نوار نبت الوسوم

والعنق عنق ادمية مستديره
 فزت بدار ورايعه للحمـزوم
 تتطح نسانيس الهوى تبي ذيره
 والا انها ما راعها كود حـوم
 ومرت تخوع في مدامث نشيره
 في مطرح عله هميل الغيوم
 ونويهدات توها مستديره
 تتطح عن الخصر النحيل الهدوم
 وردفه ايبيح بالهدوم القصيره
 يارد عليه مجدلات الركـوم
 والهرج يكفي صامله عن كثيره
 في بالي انه بالبلاد معدوم
 هو عندي اغلا من جميع النخيره
 ما سمع به الناصح واللي يلوم (٨)
 ان ما حصل لي ما تعوضت غيره
 بعت الهوى واقفيت بيع الجزوم (٩)

* * *

(٨) يستقيم هكذا : ناصح ولا للي .
 (٩) الدر الممتاز ٤٧/٥ - ٤٨ .

الفصل الخامس :

عشاق يموتون فرحاً بعد الوصل :

قال الشيخ منديل : « هذه قصة قديمة تدل على العشق البريء ، وعلى العفة ، وأن بعض النساء تعشق راعي المديح الذي تسمع عنه الشجاعة والكرم (ولو كان عنها بعيد الوطن ، أو من الأعداء لأهلها) .. ودائماً يدركونهن بالشيمة فيما بينهم ولو هم أعداء زوجوه ، وهكذا مع العموم ، والقصة على ماجد الحبيبي بوسري أمير جماعته ، وفيه واحد اسمه الدعي من أهل الخرج ، وقيل غيره ، وكان له بنت عليها جمال فائق ، وقيل إنها تسمع المديح عن ماجد الحبيبي ولكنها ما رآته ، وقيل : إنهم في وقت غزو وتقطع جيشهم من الهزل وتقدموا الغزو ، وبقي معه اثنان فضافوا عند والدها ، وسمعت الخبر والاسم ، وأنه واحد منهم ، ولكنها لا تعرفه ولا تقدر أن تبيح بالسر لأحد ، فأرادت أن تستبطن الخبر منهم لأنهم أقاموا عدة أيام طويلة يعطون ركابهم ، وكل يوم يقنص اثنان منهم للبر ويبقى واحد عند الركائب ، وفي حوش حدر قصرهم وكانت تطل على الركائب وترمي عليها ثلاث حزم قت وثلاث أقراص أو مثلها .. قصدها تختبر هذا الشخص عن شيمته ، وكيف يعمل وهي تراه من النافذة ، وكل واحد منهم يرمي العلف لمطيته فقط ويحرسها حتى تأكل لوحدها ويأكل الأقراص .

أما ماجد فحط العلف لهن سواء والأقراص كل واحد أبقى له
واحد ، فعلمت أن هذا المذكور صاحب هذه الشيمة والأنفة ، وأنها
تثق فيه على نفسها إذا كلمته ، فحصلت المعرفة ، وكلمته محادثة
نزيهة وعفة تبدي له رغبتها بالزواج إذا قبل ، وهو كذلك . .
فكانوا على موعد حتى وصل أهله ليخطبها في ذاك الوقت ، وهو في
تلك الحالة ، ولكنه حصل عليه ظروف حالت دون عودته عدة
سنين ، وكل يخطبها وترفض على أمل فيه .

وبعدها أرسل رسولا يظن أنها قد تزوجت ويأتيه بالخبر ومن
ضمنها أبيات فوق الكتاب في يد والدها ، وبعد اطلاعه أرسله لها
كأنه ما رآه ، وفعل ذلك لأنه على ثقة منها ، ولم يبد له من
الكتاب أنه زواج بعفة ، فتساهل ،
والقصيدة كما يلي :

يا طوق يا مترحل فوق ضامر

يبوج الفياقي ناحلات خديمه

لامرتها يا طوق عشر كوامل

وطالعت من قصر الدعيمي علايمه

سلم على قصر الدعيمي ومن به

أجاويد ما داسوا بنا قط لايمه

سلم عدد ماهر وبيل من السما

وما لعل القمرى بأصوات دايمه

ترى حبهـم ياطوق كالنقر بالصفـا
 ونقر الصفـا مهيب تمحا رسايـمه
 نقري الصفـا لو هبت الريح منجلي
 ولو جا الحيا ما خرب الما علایمه
 وعندما جاءها الكتاب ردت عليه تعتب عليه :
 يا طوق لا جيت الحبيبي ماجـد
 فتى بالمعادي بينات وسايـمه
 قليل اغتنام الزاد عن ربة الخوي
 ولو كان جيعان يلاحق حزايمه
 قل من هاب ورد المانكس منه ما ارتوى
 ولو كان بالما شارعات كضايـمه
 ومن كثر التصديد عن يـوده
 على غير بغض مخطر ما يلايمه
 ومن ظل يرجى بالعسى بات بالعسى
 تلهيه غرات الصبا من سلايمه
 عشقته وانا اللي كل شيخ يقول لي
 الا واهني بالعمر منهو يلايمه
 وده بنفسـي عند طريـاه جنـة
 ولا جنة الدنيا لحي بدايمه

كم ليلة بتنا ولا بات بيننا
غير التمني كلنا الهم ضايمة
ريحه على أنفي وطرياه بفمي
ورياه توقظني ولو كنت نايمة
ونقوم أطهر من حمامات مكة
والا فرط تلوى بالأيدي حزايمه

وفي رواية أنه حين وصلهم وتزوجها وقابلته في باب الروشن
التموا جميعاً من الفرح وأغمى عليهم من الحب وتدرجوا مع الدرج
إلى الأرض وماتوا جميعاً على اشتباكهم « (١٠) » .

* * *

الفصل السادس :

شعراء يحبون فحسب :

قال إبراهيم اليوسف : أحب الدغيري بن غازي من قبيلة شمر
فتاة يقال إنها لم تكن من بنات قبيلته ، وقد أخذ يستعرض أسماء
ضحايا العشاق وأورد اسم الزوبعي والخريصي ، والأول من زوبع
والثاني من الخرصة ، ولم نقف على حقيقة عشقهما وأخبارهما ..
فقال الدغيري بهذه المناسبة :

غديت بالمرقاب واومي لطيري
وأصبح للنار وأشوح العلف شوح

(١٠) من أدبنا الشعبية ١٢١/٢ - ١٢٣ .

غرايب تعادلن في ضميمري
 عويل خلج البدو بمصافق الروح
 أول نهاره بين عزب وصدير
 واتلا نهاره تلحق العزب وسروح
 قلب الخريصي تقل به نار كيري
 عسى يصير لهرجته عندهم نوح
 ذوي نباتة مثل زرع الشعير
 ذوي نباتة والزرانيق بطيـوح
 على الذي صارت لعقلي خشير
 حطت فراض الاصباع ذابـوح
 يا حيف كيف الزوبعي والدغيري
 يلعب بهم غرو تلا جل شرشوح
 وفي هذا السياق حب شكر الشريف للجازية الهلالية ، وقد تقصيت
 ذلك في السفر الأول من المجموعة الكاملة للأعمال العامة والشعبية .
 قال أبو عبد الرحمن : والحمد لله بداءاً وعموداً ، وصلى الله على محمد

الرياض / دارة داود

آخر ليلة الثلاثاء ١٨/٦/١٤١٢هـ

ثم تم الفراغ من معاودته بالإضافة والتهذيب

بعد عصر يوم السبت الموافق ١٦/٢/١٤١٦هـ في المكان المذكور

وفرغت مرة ثالثة من معاودته بالإضافة والتهذيب فجر يوم الأحد

الموافق ٢٧/٧/١٤١٧هـ في المكان المذكور

وتم تصحيحه فجر يوم الأحد الموافق ١٠/٢/١٤١٧هـ

بفندق العامودي بجدة

وأخـر دعـوانـا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين

ه - ثبت بالمصادر والمراجع :

- [غير الرواية الشفوية ، وأوراق
الخاصة من روايتي بخطي ، أو بخط
غيري منأولة أو مكاتبة] .

- ١ - إنباء الغمر بأبناء العمر .
للمحافظ ابن حجر العسقلاني .
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢ هـ / ط م دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد
الدكن بالهند .
- ٢ - الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية .
للدكتور محمد بن عبدالله بن سليمان السلطان .
ط م الوطنية للأوفست / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ .
- ٣ - أساطير شعبية من قلب الجزيرة العربية .
للاستاذ عبدالكريم الجهيمان .
ط دار أشبال العرب عام ١٤٠٠ هـ الطبعة الثانية .
- ٤ - أسواق العشاق (١) .
لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي .
صورة النسخة الخطية بالخزانة الملكية بالرباط رقم ٣٣٢٤ .
- ٥ - الإصابة في تمييز الصحابة .
للمحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني .
تحقيق طه محمد الزيني .
الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨ - ١٣٩٧ هـ ط م الفجالة الجديدة .
- ٦ - الأعلام .
لخير الدين الزركلي .
الطبعة الثالثة .
- ٧ - الأمثال العامية في نجد .
لمحمد بن ناصر العبودي .
نشر دار اليمامة سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٨ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .
لمحمد بن علي الشوكاني .
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ ط م السعادة .

(١) وهناك مصادر أخرى في معنى هذا الكتاب لم تدرج في هذا الثبوت لأنه تم التعريف بها في المدخل الأول من الفصل الأول .

- ٩ - بذل الماعون في فضل الطاعون .
للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
تحقيق أحمد عصام عبدالقادر الكاتب .
دار العاصمة بالرياض الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ .
- ١٠ - بسط سامع المسامر في أخبار مجنون بني عامر .
لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن علي بن طولون .
شرح وتحقيق عبدالمتعال الصعيدي .
ط شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة .
- ١١ - البصائر والذخائر .
لأبي حيان التوحيدي .
ط الإثشاء سنة ١٩٦٤ م / نشر مكتبة أطلس .
- ١٢ - بعض المتشابه من القصائد الشعبية .
لأحمد بن فهد بن علي العريفي .
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ ط م الفرزدق .
- ١٣ - بلاد القصيم .
لمحمد بن ناصر العبودي .
نشر دار اليمامة الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ ط م نهضة مصر .
والطبعة الثانية ط م الأهلية للكؤفست .
- ١٤ - بين الغزل والهزل (من شعر هويشل)
جمع ودراسة وتحقيق الشيخ سعد الجنيدل .
نشر جمعية الثقافة والفنون بالرياض .
- ١٥ - تاج العروس في جواهر القاموس .
لمحب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي .
مصور عن طبعة بولاق .
والطبعة الثانية ط م الكويت .
- ١٦ - تاريخ الإسلام / الجزء الخاص بفترة ٢٣١ - ٢٤٠ هـ .
لشمس الدين الذهبي .
تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري .
دار الكتاب العربي / الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ .

- ١٧ - تاريخ بغداد .
للخطيب البغدادي .
تصوير دار الكتب العلمية ببيروت للطبعة الأولى .
- ١٨ - تاريخ سينا والعرب .
لنعوم شقير .
لم تذكر هوية الطبعة وختام طبعه في ١٩١٦م بالقاهرة .
- ١٩ - تاريخ المستقبل (أو صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) .
نسب لجمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد ابن المجاور
الشيباني الدمشقي ، [وهو لغيره كما حققت ذلك في السفر الأول من
كتابي المجموعة الكاملة للأعمال العامة والشعبية] .
تحقيق أوسكر لوفجرين .
ط م بريل بليدن سنة ١٩٥١م .
- ٢٠ - التحفة السنية في النوار العربية .
لابن القاسم (ابن سديرة) .
طبع بباريس سنة ١٩٤٢م .
- ٢١ - التحفة الرشيدية في الأشعار التبطية .
لمسعود بن سند بن سيحان .
الجزء الأول طبع سنة ١٩٦٥م ولم يذكر اسم المطبعة أو الناشر أو
الموزع .
والجزء الثاني ط م الرسالة بالكويت عام ١٣٨٩هـ .
والجزء الثالث طبع سنة ١٩٨٤م .
- ٢٢ - تراث الأجداد .
لمحمد بن عبدالعزيز القويحي .
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ - ١٤٠٥هـ .
- ٢٣ - تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق .
للشيخ داود الأنطاكي .
طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٢هـ .
- ٢٤ - تغريبة بني هلال .
ط م محمد علي صبيح .

- ٢٥ - تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير .
للحافظ ابن حجر العسقلاني .
تصوير إحدى المطابع الباكستانية لطبعة عام ١٣٨٤هـ صورتها
للمكتبات المدرسية بوزارة المعارف .
- ٢٦ - التيسير بشرح الجامع الصغير .
لزين الدين عبدالرؤوف المناوي .
تصوير مكتبة الإمام الشافعي بالرياض لطبعة عام ١٢٨٦هـ .
- ٢٧ - جريدة الجزيرة [لا تزال تصدر بالرياض] .
جريدة الرياض [لا تزال تصدر بالرياض] .
- ٢٨ - جمهرة أنساب العرب .
للإمام أبي محمد ابن حزم .
ط دار المعارف عام ١٣٨٢ هـ .
- ٢٩ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي .
لابن قيم الجوزية .
تحقيق سعيد محمد اللحام .
دار إحياء العلوم ببيروت .
- ٣٠ - الحب الخالد قيس وليلي .
سيرة شعبية .
ط م المجد التجارية .
- ٣١ - خلاصة البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح
الكبير للرافعي .
للحافظ سراج الدين عمر بن علي بن الملقن .
تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي .
الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ مكتبة الرشد ط م الوفاء بالمنصورة .
- ٣٢ - خيار ما يلتقط من الشعر التبط .
لعبدالله بن خالد الحاتم .
ط م العمومية بدمشق عام ١٣٧٢هـ .
والطبعة الثالثة سنة ١٣٨١هـ نشر ذات السلاسل بالكويت ط م الفرزدق
التجارية .

- ٣٣ - ديوان ابن شبحان .
طبع بعناية الأستاذ راشد الجعيثن .
- ٣٤ - ديوان أبي نواس .
تحقيق علي فاعور .
دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ .
- ٣٥ - ديوان الرشيد .
حمد فحيمان الرشيد .
نشرذات السلاسل بالكويت .
- ٣٦ - ديوان سحيم عبد بني الحساس .
تحقيق الأستاذ عبدالعزيز الميمني .
ط الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة .
عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٩ هـ بطريق التصوير .
- ٣٧ - ديوان الصامري والهجيني .
جمع وشرح محمد بن عبدالله الحمدان .
عن دار قيس بالرياض عام ١٤٠٩ هـ . والطبعة الثالثة عام ١٤١٤ هـ .
- ٣٨ - ديوان سويلم .
لسويلم العلي السهلي .
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٣٩ - ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد (تاريخ نجد في عصور
العامية) ١ - ٥ .
لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري .
دار العلوم بالرياض / الطبعة الأولى ١٤٠٢ - ١٤٠٦ هـ .
- ٤٠ - ديوان شعراء من الجزيرة العربية .
لمحمد الهاجري .
لم تذكر هوية الطبعة ، وطبع الجزء الثاني عام ١٩٧٧ م .
- ٤١ - ديوان عبدالله بن دويرج .
أعده بندر الدوخي ، وقدم له أبو عبدالرحمن ابن عقيل .
نشر النخيل ط م الفرزدق / الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ .

- ٤٢ - ديوان الفرزدق .
دار بيروت للطباعة سنة ١٤٠٤ هـ .
- ٤٣ - ديوان من الشعر النبطي المختار (الجزء الأول) .
لإبراهيم بن سليمان آل طامي .
ط م القدس بالقصيم .
- ٤٤ - ديوان نمر بن عدوان وقصة حياته .
لأحمد شوحان .
مكتبة التراث بدير الزور / الطبعة الأولى .
- ٤٥ - ذم الهوى .
لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي .
تحقيق أحمد عبدالسلام عطا .
دار الكتب العلمية ببيروت / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ .
- ٤٦ - ذيل الأمالي .
لابي علي إسماعيل بن القاسم القالي .
طبع ببيروت / طبع مركز الموسوعات العالمية .
- ٤٧ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين .
لابن قيم الجوزية .
دار الكتب العلمية .
- ٤٨ - زاد المعاد في هدي خير العباد .
لابن قيم الجوزية .
تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وعبدالقادر الأرناؤوط .
مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية / الطبعة الثالثة والعشرون سنة ١٤٠٩ هـ .
- ٤٩ - الزهرة .
لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني الظاهري .
تحقيق الدكتورين إبراهيم السامرائي ونوري حمود القيسي .
الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ مكتبة المنار بالزرقاء بالأردن .
- ٥٠ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة .
لمحمد ناصر الدين الألباني .
المكتب الإسلامي / الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٥ هـ .

- ٥١ - سير أعلام النبلاء .
 لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي .
 تحقيق عدد من الأساتذة .
 ط مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٦ هـ .
- ٥٢ - السير والملاحم الشعبية العربية .
 لشوقي عبدالحكيم .
 دار الحداثة ببيروت / الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م .
- ٥٣ - شاعر من نجد .
 للأسمرين خلف الجويعان .
 لم تذكر هوية الطبعة .
- ٥٤ - شاعرات من البادية .
 لعبدالله بن محمد بن ردام .
 صدر عن دار اليمامة بالرياض .
- ٥٥ - شفرات الذهب في أخبار من ذهب .
 لعبدالحى بن العماد الحنبلي .
 المكتب التجاري للطباعة ببيروت .
- ٥٦ - شرح المقامات الحريريّة .
 طبع بولاق سنة ١٣٠٠ هـ .
- ٥٧ - الشعر عند البدو .
 لشفيع الكمالى .
 ط م الإرشاد ببغداد .
- ٥٨ - شعراء الرس النبطيون .
 لفهد الرشيد .
 ط م الهاشمية بدمشق عام ١٣٨٥ هـ / الطبعة الأولى .
 والطبعة الثالثة ط م النصر الحديثة بالرياض سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٥٩ - شعراء عتيبة .
 لمحمد بن دخيل العصيمي .
 ط م المدوخل بالدمام سنة ١٤١٦ هـ / الطبعة الأولى .

- ٦٠ - صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار .
لمحمد بن عبدالله بن بليهد .
الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢ هـ .
- ٦١ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .
لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي .
دار مكتبة الحياة ببيروت .
- ٦٢ - طرائف ونوادر من عيون التراث العربي .
للدكتور نايف محمود معروف .
دار النفائس / الطبعة الرابعة سنة ١٤١٠ هـ .
- ٦٣ - طوق الحمامة .
للإمام أبي محمد ابن حزم الظاهري .
تحقيق الدكتور إحسان عباس .
ضمن رسائل ابن حزم .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر / الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ .
- ٦٤ - عشاق العرب .
للدكتور عبدالحميد زراقط .
- ٦٥ - الطل المتناهية في الأحاديث الواهية .
لأبي الفرج ابن الجوزي .
تحقيق إرشاد الحق الأثري .
إدارة العلوم الأثرية / فيصل آباد باكستان / ط جاويد رياض .
- ٦٦ - الفصيح في لغة العوام .
لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري .
يطبع الآن وسيصدر - بإذن الله - عن دار النخيل بالرياض .
- ٦٧ - الفنون الشعبية في الجزيرة العربية .
لمحمد بن أحمد الثميري .
رواية محمد بن عيد الضويحي .
ط م العربية بدمشق عام ١٣٩٢ هـ .

- ٦٨ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة .
 • لمحمد بن علي الشوكاني .
 • دار الكتب العلمية بيروت / ط م السنة المحمدية .
- ٦٩ - فوات الوفيات والذيل عليها .
 • لمحمد بن شاكر الكتبي .
 • تحقيق الدكتور إحسان عباس .
 • ط دار صادر بيروت سنة ١٩٧٣ م .
- ٧٠ - فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد .
- ٧١ - فهرس مخطوطات قاسم الرجب .
 • لقاسم الرجب صاحب مكتبة المثني ببغداد .
- ٧٢ - القصص الشعبي في قطر .
 • للدكتور محمد طالب سلمان الدويك .
 • عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية / الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م -
 • الدوحة - قطر .
- ٧٣ - قصة وأبيات .
 • لإبراهيم اليوسف .
- ٧٤ - قطوف الأزهار .
 • لعبدالله بن عمار العنزي .
 • ط م الفرزدق بالرياض عام ١٤٠٥ هـ / الطبعة الأولى .
- ٧٥ - الكامل في ضعفاء الرجال .
 • لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني .
 • دار الفكر / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .
- ٧٦ - الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي .
 • لمحمد بن محمد الحسيني الطرابلسي السندروسي .
 • تحقيق الدكتور محمد محمود أحمد بكار .
 • شركة الكتاب الحديث سنة ١٤٠٨ هـ نشر مكتب الطالب الجامعي بمكة
 • المكرمة ، ودار العليا ببريدة .

- ٧٧ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس .
 لإسماعيل بن محمد العجلوني .
 مؤسسة الرسالة / الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ .
- ٧٨ - كنز الأنساب ومجمع الآداب .
 لأحمد بن إبراهيم الحقيقل .
 الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤٠٨ هـ ط م الفرزدق التجارية بالرياض .
- ٧٩ - الكنوز الشعبية .
 لمحمد بن مشعي آل صالح الدوسري .
 ط دار الجيل للطباعة عام ١٣٨١ هـ .
- ٨٠ - اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة (التذكرة في الأحاديث
 المشتهرة) .
 لبدر الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الزركشي .
 تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا .
 دار الكتب العلمية ببيروت / الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
- ٨١ - لباب الأفكار في غرائب الأشعار .
 للشيخ محمد ابن يحيى .
 صورة من نسخة بخط المؤلف .
- ٨٢ - مجلة التراث الشعبي (تصدر في العراق) .
- ٨٣ - مجلة الدارة (لا تزال تصدر بالرياض) .
- ٨٤ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .
 لشيخ الإسلام ابن تيمية .
 تصوير الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ ط م دار العربية ببيروت .
- ٨٥ - مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة .
 لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني .
 تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ .
 الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ نشر مكتب التربية العربي .
- ٨٦ - مداواة النفوس .
 لابن حزم .
 ضمن رسائل ابن حزم / انظر طوق الحمامة .

- ٨٧ - مشارق أنوار القلوب (مقدمة نشره ريتز)
لابن الدباغ .
دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٧٩ هـ .
- ٨٨ - مصارع العشاق .
لأبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ .
دار بيروت ودار صادر سنة ١٣٧٨ هـ .
- ٨٩ - مظلوم (ديوان شعر)
لعلي عبدالرحمن أبو ماجد .
ط م دمشق سنة ١٣٨١ هـ .
- ٩٠ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة .
لعمر رضا كحالة .
الطبعة الثانية عام ١٣٩٨ هـ نشر مؤسسة الرسالة ببيروت .
- ٩١ - معجم الإمامة .
لعبدالله بن خميس .
ط م الفرزدق عام ١٣٩٨ هـ .
- ٩٢ - المغني في تخریج أحاديث الإحياء .
لزين الدين العراقي .
[بحاشية إحياء علوم الدين للغزالي]
مكتبة عبدالوكيل الدروبي بدمشق .
- ٩٣ - مفكرة شخصية .
لعبدالله محمد عبدالعزيز البسام .
ناولني صورتها الأستاذ ناصر العليوي .
- ٩٤ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة .
لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي .
دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٩٥ - من أحاديث السمر .
لعبدالله بن خميس .
ط م شركة حنيفة للأوفست .
- ٩٦ - من آدابنا الشعبية .
لمندیل بن محمد آل فهيد .

الجزء الأول نشر دار اليمامة عام ١٣٩٨هـ / والطبعة الثانية سنة ١٤٠٤هـ ط م الفرزدق .

والجزء الثاني ط م الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٤٠١هـ .

والجزء الثالث ط م الفرزدق سنة ١٤٠٣هـ .

والجزء الرابع ط م الفرزدق سنة ١٤٠٥هـ .

والجزء الخامس ط م الفرزدق سنة ١٤١١هـ .

٩٧ - من البادية .

لعلي الصفرائي .

الأول بعنوان (من الشعر النبطي / أنوار الأفكار) ط م دارالأصفهاني وشركاه .

والثاني لم أطلع عليه بعد .

والثالث ط م دار الثقافة بمكة .

والرابع ط م دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٨٠هـ .

والخامس ط م دار الكتاب العربي بمصر .

والسادس ط م دار الثقافة بمكة المكرمة .

والسابع تقديم محمد صالح الفريح ، ولم تذكر هوية الطبعة .

٩٨ - من شيم العرب .

لفهد المارك .

توزيع المكتبة الأهلية ببيروت عام ١٩٦٤م .

٩٩ - من عيون الشعر الشعبي (أو طرائف الكلام من شعر العوام) .

لعبدالله السعيد أبا بطين .

ط م الفرزدق بالرياض عام ١٤٠٨هـ الطبعة الأولى .

١٠٠ - من القائل .

لعبدالله بن محمد بن خميس .

ط م الفرزدق منذ عام ١٤٠٥هـ .

١٠١ - من نواذر الأشعار .

لعبدالله بن سعود الصقري .

ط م الرياض عام ١٤٠١هـ .

١٠٢ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف .

لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية .

- تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة .
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٠هـ / نشر المطبوعات الإسلامية بحلب ط م دار القلم .
- ١٠٣- نبذة تاريخية عن نجد .
إملاء ضاري بن فهد الرشيد كتابة وديع البستاني .
دار الإمامة بالرياض ط م نهضة مصر .
- ١٠٤- النجوم الزاهرة .
ليوسف بن تغري بردي .
الطبعة الأولى / ط م دار الكتب المصرية .
- ١٠٥- نزهة النفس الأدبية في القصص والحكايات الغربية (الجزء الأول) .
لإبراهيم السلیمان الطامي .
الطبعة الثانية .
- ١٠٦- نشأة إمارة آل رشيد .
للدكتور عبدالله الصالح العثيمين .
الطبعة الأولى ط م الشرق الأوسط بالرياض عام ١٤٠١هـ نشر عمادة
شؤون المكتبات / جامعة الرياض .
والطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ ط م الشريف .
- ١٠٧- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .
لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني .
تحقيق الدكتور إحسان عباس .
ط م دار صادر سنة ١٣٨٨هـ .
- ١٠٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .
لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان .
تحقيق الدكتور إحسان عباس .
دار صادر بيروت .
- ١٠٩- الوافي بالوفيات .
لصالح الدين خليل بن أبيك الصفدي .
باعتناء س . ديد رينغ .
الطبعة الثانية غير المنقحة / دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن
١٤٠١هـ .

٦ - فهرس تفصيلي

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٥	١ - فهرس إجمالي .
٢٠ - ٧	٢ - الاستغاث والمقدمة :
٧	استعارة مقدمة ابن حزم لطوق الحمامة .
٨ - ٧	تعلقى القديم بالأسطورة والأدب العامي .
٩ - ٨	من بواعث تأليف هذا الكتاب السمر الشعبي
	بقصص قتلى الغرام فى الشعر العامي .
١٦ - ٩	قافلة العشاق خلال الشعر .
٢٠ - ١٦	منهج الكتاب ، ومادته ، ومجمل بمآل العشاق .
	* * *
١٦٩ - ٢١	٣ - الباب الأول : ثلاثة مداخل :
٣٥ - ٢٣	<u>المدخل الأول</u> : أجمع كتاب عن المحبين (أسواق
	العشاق للبقاعى) وما كتب فى معناه :
٢٥ - ٢٣	ترجمة البقاعى ومؤلفاته .
٢٩ - ٢٦	التعريف بكتاب مصارع العشاق ، وذكر أبوابه .
٣٥ - ٢٩	جمهرة كتب ألفت فى معناه .
	* * *
١٢٨ - ٣٧	<u>المدخل الثانى</u> : عوام الجزيرة وتوليد الأسطورة :
٣٨ - ٣٧	معنى أن الشعر ديوان العرب ، وسر اعتماد
	الأسطورة على الشعر ، وشعر أسطوري فى النعامة .

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٣٨ - ٣٩	اقتناع العامي بالأسطورة إذا كان فيها شعر" (وعلى هذا النهج السباحين) ، وتعليل كون الشعر مقتبعا .
٣٩	هذا الكتاب يعالج الأساطير (السباحين) التي ركبت على أعلام تاريخية .
٣٩ - ٤١	كل الشعر الهلالي العامي النجدي منتحل مع بيان مصادر الانتحال .
٤١	قد تكون الأسطورة عن أعلام قريبي العهد .
٤١ - ٤٣	أسطورة قتل نمر بن عدوان لزوجته وضحا خطأ ، ونفي شعر نمر نفسه لهذه الأسطورة .
٤٤	قصص أدركتها بقريتي مركبة على بعض الأهالي ، وهي قديمة مدونة في كتب التراث .
٤٤ - ٥٣	شعر مويضي البرازية الحقيقي وما ركب عليه من أسطورة حبول وخروف ، أو حبول وبهلول ، أو قصة محماس ، وبعض أخبار مويضي ، ووفادة النعاء على الملوك والأمراء .
٥٣	الحكواتي النجدي يضيف إلى الأسطورة أسطورة .
٥٤ - ٦٣	قصة أبوزيد الهلالي وابن أخته عزيزي الأسطورة المدونة ، وفي رواية الحكواتي النجدي .
٦٣ - ٧٠	دالية دليان عبد ابن فاضل أو عبد الغاليات - وصلاتها بالماثور الشعبي القديم المدون في الكتاب

رقم الصفحة	اسم الموضوع
	للمنسوب لابن المجاور الدمشقي ، والتعريف بالغاضري الذي نسبت إليه أساطير في المأثور القصيح . حائية عبد الغاليات .
٧٧ - ٧٠	
٨١ - ٧٧	تحويل قصيدة واقعية لشاعر عجمي إلى أسطورة .
٨٢ - ٨١	دلالة الأسطورة على أن الحكواتي نجدي .
٨٢	دوافع صنع الأسطورة .
٨٢	القصص للواقعية في أساطير أبي سهيل .
٨٤ - ٨٢	أخبار تحتمل الصدق والكذب مع المرجحات .
٨٧ - ٨٤	من وسائل الحكواتي أن يحول الشعر والوقائع إلى لهجته ويبنته ، وتحويل العوام الشعر القصيح إلى لهجاتهم العامية .
٩٢ - ٨٧	الشعر النجدي العامي يتحول إلى أسطورة في الأردن ، وضرب المثال بقصيدة قمر الدعجانية المروضة على قافيتي القاف والياء .
٨٩ - ٨٨	التفدية نوع من التوجد ونماذج لها .
٩٣ - ٩٢	نماذج لتحويل الشعر العامي النجدي في الأقطار المجاورة .
٩٧ - ٩٣	قصيدة على قافيتي الحاء والميم بوصل الهاء في الأولى لشاعرة مجهولة رُكِبَ عليها أسطورة ، والتعريف بالضاروب .

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٩٧ - ٩٨	قد يكون شعر الأسطورة جيداً ولكن تقوم دلائل أخرى على أن القصة أسطورة .
٩٨ - ١٢٨	النحل في الشعر العامي ونماذج ومعنى ضرب تحت المقفزية ، والتصرف في رواية الشعر العامي ، ونماذج من الضرب تحت المقفزية شعراً وقصة .
١٠١ - ١٠٣	كلام عن المارك وأسطورة أبو هادي الرداح .
١٠٣ - ١٠٩	عودة إلى ما ينشر في الصفحات الشعبية من أساطير، وعودة إلى الأساطير الشعبية لابن جهمان ، وقصيدة رشيد جد الرشيدة .
١٠٩ - ١١٠	قصيدة ذات قافية واحدة على الحاء ركب عليها أسطورة .
١١٠ - ١١١	أسطورة السكوت وشاهدها قصيدة ذات قافية واحدة على اللام والهاء .
١١٢ - ١١٤	أسطورة عنزي من السبعة عشق بالوصف .
١١٤ - ١١٧	أسطورة أبوبكر العنقري .
١١٧ - ١٢٠	أسطورة بشر وحسن .
١٢٠ - ١٢١	أسطورة دويد أم الذبان .
١٢١ - ١٢٧	تحويل أسطورة الزير سالم إلى شعر عامي .
١٢٧ - ١٢٨	الدكتور عبدالمجيد زراقط يبين هدف الحكواتي .

* * *

رقم الصفحة	اسم الموضوع
١٦٩ - ١٢٨	المدخل الثالث : كيف يموت العباد ؟ .
	بعض من شفق فمات من خوف الله أو أغمر عليه ، والحال التي حصلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتمحيص تلك الوقائع رواية ودراية ، وبيان أن مطالب الشرع في الخشوع والقشعريرة ، وأحوال الصحابه رضوان الله عليهم بخلاف كل ذلك ، وشيئ عن فناء الصوفية وأحوالهم ، ومداخلة المؤلف لبعض كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في ذلك .
	* * *
٢٩٠ - ١٧١	٤ - الباب الثاني : العشاق بين الوصل والحرمان :
٢٠٨ - ١٧٣	الفصل الأول : كيف يسلو العشاق :
١٧٣	مصير العاشق عموماً ، وخمول أخبار الذين سلوا .
١٧٤ - ١٧٣	التخليه من العشق رياضة شريفة وبطولة مفرحها شيخ الإسلام ابن تيمية .
١٧٤	تعليق شيخ الإسلام على حديث من عشق فف وكنم . العشق عبودية ، ولا تكون إلا عن فراغ إيماني حسب كلام طويل نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية .
١٨١ - ١٧٨	أنواع المحبة من كتابي طوق الحمامة ومداواة النفوس لابن حزم .
١٨١	العشق لا يكون مشتركاً ودلالة ذلك .
١٨٢ - ١٨١	درجات المحبة .

رقم الصفحة	اسم الموضوع
١٨٢ - ١٨٣	أوجه السلو من قبل المحب ، ومن قبل المحبوب كما ذكرها أبو محمد ابن حزم .
١٨٣ - ١٨٩	التطبيب الشرعي للمحبين عن واقعة الإثم في كلام ابن حزم .
١٨٤	مناقشتي للأستاذ الدكتور إحسان عباس في زعمه تناقض كلام ابن حزم عن النفس [حاشية] .
١٨٧	تحشية عن الموجب العقلي .
١٨٩	السلو عن طبع .
١٨٩ - ١٩١	دعوى أبي محمد أن الحب اضطراري ومناقشته .
١٩١ - ١٩٣	بيان ابن حزم أن الحب لا يكون إلا مع مطاوعة
١٩٢ - ١٩٣	أشعار عن سهولة المدخل إلى الحب وصعوبة مخرجه [حاشية] .
١٩٣	الحكمة في تحريم النظر إلى مالا يحل نكاحه .
١٩٥ - ٢٠١	تحقيق الخلاف في القول بأن الحب اضطراري أو اختياري ، والخلاف في ذم العشق أو مدحه .
٢٠١ - ٢٠٧	علاج ابن الجوزي لآفات الهوى .
٢٠٧ - ٢٠٨	تطبيقات ابن قيم الجوزية
	* * *
٢٠٩ - ٢٤٥	الفصل الثاني: حديث «من عشق فف» رواية ودراسة .
٢٠٩ - ٢١٣	ملخص بطرق الحديث ، وملخص القول فيها .

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٢١٤ - ٢١٣	ما ظنُّ أنه في معنى هذا الحديث من نصوص .
٢٢٧ - ٢١٤	كلام طويل نفيس للبقاعي عن حديث من عشق فف
	فكتم ، وتحشيات للمحقق .
٢٢٩-٢٢٨، ٢٢٣	أسانيد لحديث من عشق عند ابن الجوزي ، والخطيب
	البغدادي [حاشية] .
٢٣١ - ٢٢٩	بعض أدبيات الحديث عند العجلوني .
٢٣١	تفسير المناوي لألفاظ الحديث ، وبيانه لبعض أحكامه .
٢٣٤ - ٢٣١	كلام ابن القيم في نقد الحديث المذكور .
٢٣٦ - ٢٣٤	بقية الكلام عن سويد .
٢٤٥ - ٢٣٦	تباين الآراء في الحديث بين من صححه ومن حكم
	بأنه موضوع ، وتحقيق اختياري في ذلك .



٢٦٢ - ٢٤٦	الفصل الثالث : العشاق والوصل :
٢٤٦	تغني ابن حزم بحلاوة الوصل .
٢٤٩ - ٢٤٧	أثر الوصل في الحب والعشق .
٢٥١ - ٢٤٩	استباحة أهل الجاهلية ومن بعدهم من الغواة للشطر
	الأعلى من جسم الحبيب ، وبيان ابن القيم حرمة ذلك
	في الشريعة ، ولأن الشطرين للبعل .

اسم الموضوع	رقم الصفحة
التداوي بالوصل ، و بطلان حديث : أربع لا يشبعن من أربع .	٢٥١ - ٢٥٥
أسطورة أبي الممهر الجعد بن منهج العذري .	٢٥٦ - ٢٦٢
* * *	
الفصل الرابع : فتاوى بين الإباحة والحظر :	٢٦٣ - ٢٩٠
فتوى تجريبية عن موت المحب من ألم الحب .	٢٦٣
أسطورة فتوى مكتوبة على حجر نسبت روايتها إلى الأصمعي .	٢٦٤
قصيدة رائية لأبي نواس يدعي فيها إفتاء بعض العلماء في الحب .	٢٦٥
فتوى ابن أبي الليث .	٢٦٥ - ٢٦٦
أبيات لجامع بن مرخية يدعي فيها إفتاء سعيد بن المسيب .	٢٦٦
شعر جارية سوداء تستفتي الفقيه أبا خليفة وفتواه بشعر .	٢٦٦ - ٢٦٧
شعر ابن الرومي يستفتي الإمام محمد بن داود الظاهري وجوابه بشعر .	٢٦٧ - ٢٦٩
قصيدة لابن قيم الجوزية يحكى فيها فتوى في الحب .	٢٦٩ - ٢٧٠
رجل يستفتي الإمام الشافعي بشعر فيجيبه بشعر ، كما أن ذلك روي عن عطاء .	٢٧٠
بيتان للشافعي أخذ منهما مذهبه في الحب .	٢٧٠

اسم الموضوع	رقم الصفحة
رجل يستفتي سعيد بن المسيب بشعر فيجيبه سعيد بشعر .	٢٧١
شعر لأعرابي يحكي فيه فتوى للفنّي المكي .	٢٧١
شعر يحكي فتوى فقيه مكة .	٢٧٢
رجل يستفتي الشافعي ببيتين على قافية الميم فيجيبه ببيتين على الميم .	٢٧٢
عمرو بن سفيان يحكي فتوى مالك والليث في بيتين على القاف ، ومثلها يحكي فيهما فتوى سفيان بن عيينة .	٢٧٣
بيتان على الرااء لجامع بن مرخية يحكي فتوى علي بن زيد بن جدهان .	٢٧٣
إبراهيم بن المدير يحكي فتوى ابن عياش .	٢٧٣ - ٢٧٤
شاعر (يقول بعضهم : إنه إسحاق بن معاذ) يحكي فتوى الإمام أحمد بن حنبل في بيتين على السين .	٢٧٤
ابن مرخية يحكي فتوى أبي حنيفة في بيتين على العين .	٢٧٤
شاعر يستفتي الطحاوي بقصيدة لامية فيجيبه بقصيدة لامية .	٢٧٤ - ٢٧٦
بيتان يحكيان فتوى بعض المعتزلة .	٢٧٦
بيتان لإسحاق بن شبيب يحكي فتوى الواسطيين .	٢٧٦

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٢٧٧ - ٢٧٦	بيتان على القاف لابن سعد الخير .
٢٨٣ - ٢٧٧	تعقيب ابن قيم الجوزية على تلك الفتاوى برد ثبوت بعضها وتوجيه بعضها .
٢٨٥ - ٢٨٣	شاعر يستفتي أبا الخطاب الكلوذاني فيجيبه بقصيدة على رويها ووزنها على الراء بوصل الهاء .
٢٨٧ - ٢٨٥	شاعر يستفتي ابن الجوزي على قافية الدال فيجيبه بأبيات على وزنها ورويها .
٢٨٨ - ٢٨٧	شاعر يستفتي الإمام ابن حزم بقصيدة لامية فيجيبه أبو محمد بقصيدة على وزنها وقافيتها .
٢٩٠ - ٢٨٨	قصيدة من الشعر العامي لمحيسن المشعلي يدعي فيها فتوى الشيخ الثوري .
	* * *
٥٢٠ - ٢٩١	٥ - <u>الباب الثالث: العشاق بين الموت والدفن والجنون:</u>
٣١٣ - ٢٩٣	توطئة :
٢٩٦ - ٢٩٣	الموت المعقول بسبب الهوى، وبث وجداني للمؤلف عن ذكريات مضت وأنقضت بسلام، والقبائل التي كثرفيها قتلى الغرام، وموجز أخبارهم وأخبار متيماتهم .
٣١٣ - ٢٩٦	تداخل قصص العشاق وأخبارهم .
٤٥٧ - ٣١٤	<u>الفصل الأول : عشاق يموتون بشهقة :</u>
٣١٦ - ٣١٤	قصة ابن عباس - رضي الله عنهما - مع قتيل

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٣١٧ - ٣٢٨	هوى ، وقتواه عن قتيل الهوى لا عقل ولا قود . قصة قتيلين من بني عذرة ، وقيل : القتيلان غالب وجميعة من مزينة .
٣٢٨ - ٣٣٠	قصة المرموز لها باسم هلال .
٣٣٠ - ٣٥٩	أسطورة بشر الأسدي و هند الجهنية .
٣٥٩ - ٣٦١	عامري ومتيمته يموتان بماوية .
٣٦١ - ٣٦٤	أعرابي عاشق يقتل أسداً أصاب عشيقته وينتحر بعد ذلك ، وإشارة إلى قصص متماثلة عن عشيقين دفنا بقبر واحد .
٣٦٤ - ٣٦٦	قتيلان أسديان .
٣٦٦ - ٣٦٧	مرة وجميلة قتيلان نهديان .
٣٦٧ - ٣٦٨	قصة بدوية تطوف على قبر فتموت .
٣٦٨ - ٣٧١	الحكواتي النجدي وصنع القصص الغرامي ، وأسباب وضع القصص ، وقصة يذكرها والدممدوح الومير رحمهما الله .
٣٧١ - ٣٧٩	أسطورة الفتيان الجلاعيد الأربعة ، وقصة عالي الجلعودي .
٣٧٩ - ٣٨٢	أسطورة الوليحي .
٣٨٣	المرتفعات والعشاق .
٣٨٤ - ٣٩٠	خبر غرام فهد للشعلان وقوت .

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٣٩٢ - ٣٩٠	أسطورة أبوفهاد .
٣٩٤ - ٣٩٢	أسطورة عواد خطيب وضحا .
٣٩٤	المثل والأسطورة .
٤٥٧ - ٣٩٤	أسطورة غرام محمد بن عبدالرحيم مطوع أشيقر وثلاث قصائد من شعره .
٣٩٩ - ٣٩٤	اسمه ونسبه وعصره وأنه في وقت وجود بني عقيل بالأحساء .
٤٢٢ - ٣٩٩	تحليل قصيدته ودلالاتها ، ونفي دلالتها على أسطورة الغرام المشهورة .
٤١٧ - ٣٠٤	إطلاق الغزال لمشابتها للمحبوب في الشعر العربي فصيحته وعاميه .
٤٢٠ - ٤١٨	مقارنة بين مبالغات ابن عبدالرحيم والمبالغات في الشعر العربي .
٤٢٣ - ٤٢٠	دلالة قصيدتي ابن عبدالرحيم البائية والعينية وصلتها بدلالة القصيدة الهائية .
٤٣٨ - ٤٢٣	أسطورة عشق المطوع في سياق جماع الشعر الجامي .
٤٣٤ - ٤٢٧	وجه استدلال العوام بهائية المطوع على صحة الأسطورة ، ونفي دلالتها على الصحة .
٤٣٤	أبيات متكلفة زائفة أضيفت إلى القصيدة الهائية .

اسم الموضوع	رقم الصفحة
إن صح أن للمطوع قصة غرام أرداء فيلتبس لها سند غير الشعر المعروف من نظمه .	٤٣٥
قصيدة المطوع الهائية .	٤٣٨ - ٤٤٨
قصيدة المطوع البائية .	٤٤٩ - ٤٥١
قصيدة المطوع العينية .	٤٥١ - ٤٩٤
قصيدة المطوع الميمية .	٤٥٤ - ٤٥٥
قصيدة المطوع اللامية .	٤٥٥ - ٤٥٧
<u>الفصل الثاني : عشاق يطولهم الضنى فيموتون جلدأ</u> على عظم :	٤٥٨ - ٤٩٨
غرام أبي عفاص من صنع المؤلف على مذهب الواقعية في الأدب القصصي .	٤٥٨ - ٤٩٨
أحاديث عن الحجاب [حاشية] .	٤٦٣ - ٤٦٤
ثبوت قتالى للغرام ولكن بعد الضنى ، وأما من مات بشهقة فلصدمة خير مفاجئ .	٤٦٤ - ٤٦٥
النحول وأكاذيب الشعراء ، وتعليل ابن داوود له طيباً ، وقبول ابن خلدون لبعض المحال كالصبر عن الجوع والأكل أربعين يوماً .	٤٦٥ - ٤٦٩
وقصيدة الأحوص وكتاب ابن المرزبان عنه .	
قتول الهوى غياث الدين بن خولجا .	٤٦٩ - ٤٧٠

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٤٧١ - ٤٩٦	الدجيماء وأخباره .
٤٧١ - ٤٧٢	ما قيل من الشعر عن هوى الدجيماء ، والتعريف به ، ونكر عصره والاختلاف في اسمه واسم أبيه .
٤٧٣	بيتان للمورقي يخاطب الدجيماء .
٤٧٣ - ٤٧٤	قصة غرام الدجيماء ، ودعوى أنه مات وهو يرى رحيل الأظعان .
٤٧٥	دلالة شعره على أنه صاحب صيد ثم زراعة .
٤٧٥ - ٤٨٠	قصيدته على قافيتي النون والراء .
٤٨٠ - ٤٨١	قصيدته على قافيتي الراء والنون بوصل الهاء في الأخيرة
٤٨٢ - ٤٨٣	قصيدته على قافية الدال .
٤٨٦ - ٤٨٧	قتيل الخبر المفاجئ ابن باخوت وبيتان للدجيماء فيه على اللحن الشيباني .
٤٨٧	قصيدته على قافيتي الميم والهاء .
٤٨٧ - ٤٨٨	الرمز عن الفتاة يزيد وثلاث .
٤٨٨ - ٤٨٨	قصيدته في بندقيته على قافيتي التاء والضاد بوصل الهاء فيهما .
٤٨٩ - ٤٩٠	قصيدته على قافيتي اللام والفاء بوصل الهاء فيهما .
٤٩٠ - ٤٩١	قصيدته على قافيتي الراء والحاء بوصل الهاء في الأولى .
٤٩١ - ٤٩٢	قصيدته على قافيتي الحاء .
٤٩٢	قصيدته على قافيتي الراء .

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٤٩٣	قصيدة على قافيتي النون والباء يحتمل أنها للدجيماء .
٤٩٤	قصيدة لامية لمخلد القثامي نسبت للدجيماء .
٤٩٦ - ٤٩٧	ومن قتلى الغرام الشاعر القطري محمد بن قاسم بن محمد بن عبدالوهاب الفيحاني السبيعي .
٤٩٤ - ٤٩٥	قصيدته على قافية الميم .
٤٩٥ - ٤٩٦	ضرب الشعراء المثل بالدجيماء .
٤٩٧ - ٤٩٨	ابن حماد .
٤٩٨	ومنهم مغتر الرشيدى .
٤٩٩ - ٥٠٦	الفصل الثالث : عشاق يقتلهم الأهل للألفة :
٤٩٩ - ٥٠١	مغامرات حبة الربابي .
٥٠١ - ٥٠٣	مغامرات عبد بني الحساس .
٥٠٣ - ٥٠٦	أسطورة زيد والعامرية .
	* * *
٥٠٦ - ٥١٥	الفصل الرابع : عشاق يهيمون أو يختلطون :
٥٠٦	الحب في ذاته جنون في عرف الأدباء .
٥٠٦ - ٥٠٧	عاشق من شيوخ ابن حزم يختلط .
٥٠٧ - ٥٠٨	جارية تختلط من أجل عشقها لكاتب من أصدقاء ابن حزم .
٥٠٨	اختلاط مروان بن يحيى .
٥٠٨ - ٥٠٩	اختلاط أحمد الدمياطي .

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٥١٢ - ٥٠٩	دعوى جنون خليل بن عايد .
٥١٢	إشارة عن جنون ابن عمار .
٥١٥ - ٥١٢	ميمية ناهض بن عبدالعزيز الناهض ، ودعوى أنه مات غراماً .

* * *

٥١٩ - ٥١٦	<u>الفصل الخامس : عشاق يموتون فرحاً بعد الوصل :</u>
	غرام ماجد الحبيبي و بنت الدعيمي .
٥٢٠ - ٥١٩	<u>الفصل السادس : شعراء يحبون فحسب :</u>
	غرام الدغيري بن غازي وما ذكره من غرام الزوبعي والخريصي .

* * *

٥٣٤ - ٥٢١	٥ - ثبت بالمصادر والمراجع .
٥٥٠ - ٥٣٥	٦ - فهرس تفصيلي .

والحمد لله رب العالمين وسلام على عباده المرسلين .

الرياض / داره داود
آخر نهار يوم السبت ١٤١٢/٨/٥ هـ
ثم في جده فجر الأحد الموافق ١٤١٧/١٠/٢ هـ